

أدبنا في الحرب والصلح

تأليف

محمد الطاهر

القاضي بالمحاكم الشرعية

(الطبعة الاولى)

(١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م)

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

مطبعة التبعاذه بجوار محافظة تبصر

أدبنا في العرب في الجاهلية

تأليف

محمد نعيان الجارم

القاضي بالمحاكم الشرعية

(الطبعة الاولى)

١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

أهداء الكتاب

الى خدن الشباب ومن أراه
ومن لبس المحامد سابغات
ومن يولى الصديق الود صفوا
لمن يخشى الأله ويتقيه
الى خير الصحاب ولست اغلو
الى الخل الوفى الى (الودينى)
لمن تزهى بمدحته القوافى
أحب الى من عهد الشباب
وحل من الفضيلة فى اللباب
كان تميره ماء السحاب
ويرجو عنده حسن الثواب
اذا سميته خير الصحاب
سيد القول ذى رأى الصواب
(لاجد عارف) اهدى كتابى
محمد نعمان الجارم

A 2



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تقدست ذاته وتعالى اسماءه وصفاته والشكر له عز فضله وتوالت
آلاؤه استوجب سبحانه وتعالى الحمد الجزيل الجميل ذاته واستحق جل جلاله
عظيم الثناء لسنى صفاته وجب أن تذلل الجباه لذاته لانه مصدر الموجودات
وحق أن تعنو الوجوه اليه وتخصه بالعبادة لانه فاطر الأرض والسموات لا
معبود بحق سواه قل لو كان فيهما آلهة الا الله ارسل رسوله محمداً بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله فبين مناهجه ووضع طرائقه ووضع له
الصوى (١) والأعلام حتى لا تمشى أمته من بعده في ظلام فعلية أفضل الصلاة
وازكى السلام وعلى آله واصحابه منار الاسلام (وبعد) فهذا كتاب اسهبت
فيه القول على أديان العرب قبل الاسلام وبينت فيه ما ابتدعوا من جهالة
وأوهام حتى تغير دين الهدى وطمس الطريق اليه وخفى الحق وعز الطالب
له ونشأ بعد المختلفين قبيل عاشوا في ظلمات بعضها فوق بعض فلم يدركوا نور
الهدى ولم يشوقهم مشوق اليه ثم طمست ظلمة الضلالة عقولهم فأعرضوا عن
الحق حتى مع وجود الدال عليه اللهم الا بعض أفراد لمحو نور الاهتداء ولم
يقيد فكرهم تعليم الأمهات ولا تقليد الآباء فتركوا للفكر العنان حتى ظهر
لهم الحق بالدليل والبرهان وتجلت لهم الحقيقة تجلى الشمس في وسط النهار
فاختل صرح الكفر لديهم وانهار وهذا الكتاب هو جزء من أجزاء كتابى
(العرب فى الجاهلية) يرشدك الى معتقدات العرب فى الجاهلية وأوهامها التى
هدمها الاسلام والله اسأل أن يجعله مقبولا لديه فان الامر كله منه واليه انه
اكرم مسئول وييده القبول

(١) الصوة بالضم حجر يكون علامة فى الطريق جمعة صوى

مقدمة

الانسان يمتاز عن سائر الحيوان بالنفس الناطقة وبقوة التفكير فيها تستدل بالأثر على وجود المؤثر ثم ينتهى بها البحث الى أن المؤثر في الأكو ان لا بد أن يكون واجب الوجود لذاته تلك فطرة في الانسان ولذلك ذهب الأمام الأعظم أبو حنيفة النعمان ومن تابعه على ما هو الصحيح الموافق لظاهر الرواية الى أن التكليف منوط اما ببلوغ دعوة الرسل واما بمضى مدة يتمكن العاقل فيها أن يستدل بالمصنوعات على وجود صانعها وذلك لأن الدين من خواص النفس الناطقة كما تقدم — وذهب علماء الأخلاق الى أن الدين ليس من لوازم النفس الناطقة لأن بعض الأمم والقبائل لا تدين بدين

هذا والدين قديم وجد مع الانسان أما عند اهل الأديان السماوية فلأن آدم أبا البشر كان نبياً واما عند غيرهم فلأن الناس في أطوارهم الأولى كانوا يعتقدون باليوم الآخر وان للانسان نفساً خالدة فكانوا يدفنون مع الميت أمتعته ومقتنياته ليفتفع بها في العالم الآخر وهذا من المبادئ الدينية وجميع الأمم والقبائل الآن تعتقد بعالم الأرواح والمتوحشون منهم يسبون الموت والمرض للروح وهذه عندهم كالنفس الا أن الروح أقوى واكثر دخلا في أحوال الناس ومصالحهم فينسبون اليها الموت والمرض والحزن والخطوب لذلك ترى المتوحشين يحرضون على دفع غضب الأرواح الشريرة باسترضاء الأرواح الصالحة التي هي غالباً نفوس السلف الصالح من آباءهم وأجدادهم الذين لهم في القبيلة أثر محمود ومقام مشكور لانهم يرون أن نفوسهم أقوى وأقدر على جلب المصالح ودفع المضار فعظموهم لذلك بعد الموت ونصبوا لهم التماثيل ولجئوا اليها يستعينون بهم عند نزول الخطوب وهذا أصل عبادة الأجداد .

هذا وان الدين من غير نظر الى الوحي ابتداء باعتقاد الانسان ان له موجدآ

أوجده وغيره من الممكنات وان له نفساً أو روحاً خالدة تصير بعد الموت في عالم آخر ذلك مبدأ اعتقاده بالروح والروحانيات ثم توسع في عالم الروح فاعتقد أن لكل كائن من الكائنات روحاً تدبره حيواناً كان ذلك الكائن أو جماداً وهذه الروح تكون قوية اذا كان الكائن المتصلة به من عظيم المخلوقات وما زال يرتقى في الوهم حتى تخيل بعض الارواح آلهة فعبدتها بعبادة المادة المتعلقة بها ومن ذلك عبادة الهنود انهر الكنجج والمصريين القدماء انهر النيل والمجوس للنار والصابئين للكواكب وعبادة أهل الهند وافريقية الغربية للأفاعى وما عبادة الشمس وغيرها مما عبد من دون الله الا من هذا القبيل

والأديان تنقسم قسمين — أديان الهية وهي ما أنزله الله سبحانه وتعالى على رسله الكرام . وأديان وصعية وهي ما ليس كذلك كدين المجوس عباد النار والبراهمة والبوذيين واشباههم — والأديان السماوية كثيرة وهي من حيث ذاتها قبل افسادها بالتحريف والتبديل تتضمن توحيد الله جل ثناؤه ووصفه باوصاف الكمال وتنزيهه عن مشابهة الحوادث وتحث على مكارم الأخلاق والاداب والفضائل وتنص على الأحكام التي تسكنل نظام المجتمع وتناسب الزمان الذي أنزلت فيه والذي يليه الى أن تنسخ بشرع رسول آخر فيصبح الناسخ الذي جاء به الرسول المتأخر هو الحق الذي يجب اتباعه ويصبح ما تقدمه من الدين منسوخاً وذلك سر ما يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب حينما رأى بعضهم يقرأ ورقة من التوراة وقال لو كان موسى حياً ما وسعه الا اتباعى وقوله تعالى ومن يدتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . والذي يوحى اليه من الله تعالى نبى أو رسول ويطلق النبى عرفاً على رجل سليم من منفر معصوم عن كل رذيلة اكمل معاصريه غير الرسل اصطفاه الله من بين عباده وأوحى اليه بشرع سواء أمره بتبليغه أم لا ولو أمر بتبليغه فرسول سواء كان له كتاب أم لا نسخ بعض شرع من قبله أو لم ينسخ ولا جزم في عدد الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم قال أبو البقاء في الكلبيات « وأول رسول ارسله الله الى أهل الارض

نوح عليه السلام أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى كان الناس أمة واحدة انه قال ذكر لنا انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحاً . لكن الا كثرون على عد آدم من المرسلين

والاديان السماوية كثيرة ولم يبق منها الآن سوى اليهودية المبعوث بها سيدنا موسى الكليم عليه السلام ويعتنيها ثمانية ملايين ونصف من الانفس والنصرانية المبعوث بها سيدنا عيسى عليه السلام ويدين بها نحو اربعمائة وثلاثة وسبعين مليوناً من الأنفس والاسلام المبعوث به سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ويعتنيها نحو مائتي مليون من الانفس تقريباً

واكثر ديانات العالم اتباعاً الديانة البوذية وهي منسوبة الى بوذا رجل كان في سنة ستمائة واثنين وعشرين قبل المسيح قصد بها في الاصل اصلاح الديانة البراهمية (١) وتهذيب اعمالها ولكن نشأت بين معتنقي الديانة البراهمية والبوذية منافسات ومناظرات انتهت اخيراً بفوز الديانة البوذية وانتشارها على الديانة البراهمية واكبر انتشارها في الصين واليابان وكوريا ومنشوريا وتبت ومنغوليا ويعتنيها نحو خمسمائة مليون من الأنفس

ولقد كانت العرب في جاهليتها تدين بأديان شتى كما ستراه مفصلاً في هذا الكتاب فمنهم عباد الاصنام والشمس والكواكب وغير ذلك ومنهم الموحدون الذين كانوا يستضيئون بهدى الانبياء الذين أرسلهم الله لهم أو لغيرهم من الأمم

ولقد بعث الله في العرب قديماً انبياء فبعث هوداً (٢) عليه السلام لعاد وكانت ديارهم بالدو والذهناء وعالج ويبرين ووبار الى عمان والى حضرموت بين اليمن وعمان وبعث صالحاً عليه السلام لثمود وكانوا يسكنون بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام وبعث شعيباً لمدين وكانت منازلهم تجاور

(١) نسبة الى براهمة كبير آلهة الهند

(٢) علماء الانساب يسمون هودا عابراً أو عبيراً على وزن جعفر

ارض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز فكان من العرب من يدين بدين هؤلاء النبيين واكثر العرب كانوا على دين أبيهم ابراهيم عليه السلام وسبب كثرة الاديان عندهم مجاورتهم لكثير من الأمم المتدينة فتيسر لهم بالرحلة والتجارة معرفة اديان مجاوريهم وناهيك ببلاد الشام وهي الارض التي بورك فيها لكثرة من أرسل لها من النبيين فنقلوا تعاليم هذه الديانات الى بلادهم واعتنقها من اعتقدها منهم . وكان التوحيد دين اكثر العرب ثم غلبت الوثنية عليه حتى طمست معالمه وراجب عبادة الاوثان فارسل الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد وما زال يغالب الكفر ويهزم جيشه ويفصل شعائر الدين ويدعو الخلق لعبادة الله وحده ويحض على مكارم الاخلاق ويبين الاحكام المتكفلة بسعادة الدنيا والآخرة حتى ردت جيوش النوحيد كتاب الكفر والزيف مهزومة واصبحت أبطال الضلال والالحاد صرعى مكلومة ولم ينزل به الموت حتى اكمل الله للناس دينه وأتم عليهم نعمته ورضى لهم الاسلام ديناً وختم به الانبياء والمرسلين فمن ادعى بعد محمد صلى الله عليه وسلم انه يوحى اليه من الله تعالى بشرع فهو ضال كافر

ابراهيم الخليل واسماعيل عليهما السلام

نسب القول في تاريخهما لان اكثر العرب تدين بدينهما فنقول . ولد ابراهيم عليه السلام بارض بابل بالعراق ونشأ بها في دولة حمورابي الدولة البابلية الأولى التي هي من سنة الفين واربعمائة وستين قبل الميلاد الى سنة الفين وواحد وثمانين قبل الميلاد وكانوا يعبدون الاصنام ولم يكن بينه وبين نوح نبي الالهود وصالح فدعاه قومه لعبادة الله وحده فلم يؤمنوا فطفق يسهه أحلام قومه ويطعن على آلهتهم ثم انتهز فرصة خروجهم في يوم عيد لهم ولم يخرج وخالف الى اصنامهم فكسرها فلما رأوا منه ذلك أمر نمرود حاكمهم بأحراقه والتي في النار فجعلها الله برداً وسلاماً فلما نجاه الله أجمع أمره والذين اتبعوه على فراق قومهم ومعهم لوط عليه السلام ابن أخيه فنزل

ابراهيم بالسبع من ارض فلسطين ونزل لوط بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ثم ولد لابراهيم من هاجر اسماعيل عليه السلام . وروى أبو هريرة خبر وصول هاجر لابراهيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم عليه السلام قط الا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحدة في شأن سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتى يغلبنى عليك فان سألك فاخبريه انك أختى فانك أختى فى الاسلام فانى لا أعلم فى الأرض مساماً غيرى وغيرك (١) فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه فقال لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها ان تكون الا لك فارسل اليها فأتى بها وقام ابراهيم الى الصلاة فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعى الله ان يطلق يدى ولا أضرك ففعلت فماد فقبضت يده أشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك فعاد فقبضت يده أشد من القبضتين الأوليين فقال ادعى الله أن يطلق يدى ولا أضرك ففعلت فطاقت يده ودعا الذى جاء بها فقال له انك انما جئتني بشيطان ولم تأتني بانسان فأخرجها من أرضى وأعطاه هاجر قال فاقبلت تمشى فلما رآها ابراهيم انصرف فقال مهيم (٢) فقالت خيراً كفى الله يد الفاجر وأخدم خادماً قال أبو هريرة فتملك أمكم يا بنى ماء السماء « (٣) وانما كانت هاجر أم العرب لأن سارة ملكتها لابراهيم فولدت له اسماعيل أبا العرب ولم يكن لسارة من ابراهيم ولد فأنها ولدت اسحاق بعد ولادة اسماعيل فيما رووا بأربع عشرة سنة . قال ابن أبى زيد فى نواته وهاجر أول امرأة ثقت أذناها وخفضت من النساء وأول من جرت ذيلها وذلك أن

(١) أى فى الارض التى يحكمها ذلك الجبار والا فقد آمن به ابن أخيه لوط وآمن به جماعة من قومه (٢) كلمة استفهام بلفظة أهل اليمن أى ما حالك وما شأنك أو ما وراءك (٣) يقال للعرب بنو ماء السماء لكثرة ملازمتهم للفلوات التى بها مواقع المطر

سارة غضبت (١) خلعت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها فأمرها إبراهيم أن تبرقسمها بثقب أذنيها وخفاضها فصارت سنة في العرب وأوحى الله لإبراهيم أن يحمل اسماعيل وأمه إلى مكة . وكان من أمرهم ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال أول ما اتخذت النساء المنطق (٢) من قبل أم اسماعيل اتخذت منطقاً لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعة حتى وضعهما عند البيت عند دوحه (٣) فوق زمزم في أعلى المسجد (٤) وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء (٥) فيه ماء ثم قام إبراهيم منطلقاً (٦) فتبعته أم اسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا في هذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت له ذلك مراراً وجرى لا يلتفت إليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت إذاً لا بضيعتنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية (٧) حيث لا يروونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال (ربنا انى أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها فجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال يتلبط (٨) فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي

(١) روى أنها أخرجت هاجر غيرة منها لا غضبا (٢) المنطق بكسر

فسكون ففتح ازار له حجرة (٣) الدوحة الشجرة الكبيرة

(٤) أى مكان المسجد لأنه لم يكن بنى (٥) السقاء (بكسر اوله)

قربة صغيرة (٦) أى ولى راجعاً (٧) الثنية الجبل (٨) يتلبط

يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض

الانسان المجهود (١) حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صه (٢) تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث (٣) فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجباحه (٤) حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه (٥) وتقول بيدها هكذا (٦) وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف . قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء (٧) لكانت زمزم عينا معينا (٨) قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة (٩) فان هاهنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالراية تأبیه السيول فمأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى سرت بهم رفقة من جرهم (١٠) مقبلين من طريق كداء فزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائماً (١١) فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء

(١) المجهود هو الذي أصابه الجهد بفتح الجيم وتضم المشقة (٢) بفتح المهلة وسكون الهاء وبكسرهما منونة كأنها خاطبت نفسها فقالت لها اسكتي (٣) بفتح أوله للأكثر وتخفيف الواو وليس في الأصوات فعال بفتح أوله غيره — وجزاء الشرط محذوف تقديره فاغثنى (٤) شك من الراوى (٥) بحاء مهلة وضاد معجمة ونشديد أى تجعله مثل الحوض (٦) هو حكاية فعلها وهذا من إطلاق القول على الفعل (٧) شك من الراوى (٨) عينا معينا أى ظاهراً جانياً (٩) الضيعة بفتح الضاد أى الهلاك (١٠) جرهم هو ابن قحطان . وفي رواية عطاء بن السائب وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة (١١) العائف هو الذي يحوم على الماء ويتردد ولا يمضى عنه

فارسلوا حريا أو جريين (١) فاداهم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا .
 قال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا اتأذنين لنا أن نزل عندك قالت نعم ولكن
 لاحق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
 فإني (٢) ذلك أم اسماعيل وهي تحب الانس (٣) فزروا وارسلوا الى أهليهم
 فزروا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم
 وأنفسهم (٤) واعجبهم حين شب فلما أدرك روجه امرأة منهم (٥) وماتت
 أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته (٦) فلم يجد
 اسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا (٧) ثم سألتها عن عيشهم
 وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة فشكت اليه قال فاذا جاء زوجك
 أقرني عليه السلام رقبتي له يغير عتبة بابه (٨) فلما جاء اسماعيل كأنه آانس
 شيئا فقال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك
 فاخبرته وسألني كيف عيشنا فاخبرته أنا في جهد وشدة قال فهل أوصاك بشيء
 قالت نعم أمرني ان اقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك أبي
 وقد أمرني أن أفارقك الحق باهلك فطلقها وتزوج منهم امرأة أخرى (٩)

(١) بفتح الجيم وفتح الراء ولشديد الياء أى رسولا وقد يطلق على
 الوكيل وعلى الأجير قيل سمى به لانه يجرى مجرى مرسله أو موكله
 (٢) النى أى وجد (٣) الأانس بضم الهمزة ضد الوحشة
 (٤) أنفسهم بفتح الفاء بلفظ افعل التفضيل من النفاسة أى كثرت
 رغبتهم فيه (٥) روى ان اسمها عمارة بنت سعد بن اسامة وحكى
 السيملى ان اسمها جدى بنت سعد (٦) بكسر الراء أى يتفقد حال
 ما تركه (٧) يبتغى لنا أى يطلب لنا الرزق (٨) عتبة بابه كناية
 عن المرأة - وقد كانت العرب ترى طلاق النساء كأبيهم ابراهيم
 (٩) ذكر الواقدي ان اسمها سامة بنت مهلهل بن سعد وذكر الدارقطنى
 ان اسمها السيدة بنت مضا

فلبث عنهم ابراهيم ماشاء ثم أتاهم بعد فلم يجدوه فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف أنتم وسألها عن عيشتهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل فقال ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء قال الا هم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو (١) عليهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه قال فاذا جاء زوجك فاقريء عليه السلام ومريه يثب عتبة بابه فلما جاء اسماعيل قال هل أتاكم من أحد قالت نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فاخبرته فسألني كيف عيشتنا فاخبرته أنا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك ان تذب عتبة بابك قال ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يرى نبلا (٢) تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد (٣) ثم قال يا اسماعيل ان الله أمرني بأمر قال فاصنع ما أمرك ربك قال وتعينني قال أعينك قال فان الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها قال فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر (٤) فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم قال فجعلا بينيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك (٥) ومن ذريتنا (٦) أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا (٧) وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا (١) حلوت بالشئ واختليت اذا لم أخلط به غيره ويقال أخلى الرجل الابن اذا لم يشرب غيره (٢) « النبل » السهم قبل أن يركب فيه نصله وريشه وهو السهم العربي (٣) يعنى من الاعتناق والمصافحة وتقبيل اليد ونحو ذلك (٤) بهذا الحجر يعنى مقام ابراهيم (٥) مسلمين أى خاضعين (٦) يعنى واجعل من ذريتنا (٧) أرنا مناسكنا أى عرفنا متعبداتنا في

وابعث فيهم رسولا (١) منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة (٢) ويذكهم (٣) انك أنت العزيز الحكيم . ولما فرغا من بناء البيت أمر الله ابراهيم ان يؤذن في الناس بالحج فاجاب دعاء ربه ونادى أيها الناس كتب الله عليكم الحج الى البيت العتيق ثم حج ابراهيم واسماعيل ومن معهما من المسلمين . وقد أمر الله ابراهيم بذبح ولده فامتثل أمر ربه ولما هم بذبحه فداه الله بذبح عظيم . ولقد اختلف في أي ولديه الذبيح أهو اسماعيل أم اسحق وقد قال بكل من القولين جماعة من المسلمين . قال أبو البقاء في الكليات واتفقت الأحاديث الصحيحة وتضافرت نصوص العلماء على ان العرب من عهد ابراهيم عليه السلام على دينه لم يكفر أحد منهم قط ولم يعبد صنما الى عهد عمرو بن لحي الخزاعي فانه أول من غير دين ابراهيم عليه السلام وعبد الاصنام وسبب السوائب - وذكر السهيلي (٤) ان اسماعيل نبي مرسل أرسله الله الى اخواله من جرهم والى العماليق الذين كانوا بارض الحجاز فآمن بعضهم وكفر بعض - وحكى الحلبي في سيرته ان اسماعيل ارسل الى جرهم والى العماليق والى قبائل اليمن في زمن أبيه ابراهيم وكذا بعث أخوه اسحق الى أهل الشام وبعث ولده يعقوب الى الكنعانيين في حياة ابراهيم فكانوا أنبياء على عهد ابراهيم عليه السلام وتوفي اسماعيل عليه السلام بمكة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر . أما الشرع الذي بعث به اسماعيل فهو شرع أبيه ابراهيم

﴿ المختلف في نبوتهم من العرب ﴾

لقد أوحى الله دينه لمن ارتضى من خلقه فان لم يأمرهم بتبليغ فهم الانبياء وان أمرهم به فهم المرسلون ومن الانبياء المختلف في نبوته وعدهم أبو البقاء

الحج أو بصرنا بها (١) منهم أي من انفسهم وقد استجيب دعاؤه فلذلك قال رسول الله انا دعوة أبي ابراهيم (٢) الحكمة الشريعة وبيان الاحكام (٣) يذكهم يطهرهم من الشرك وسائر الانجاس . (٤) ما نقله عن السهيلي فن كتبه الروض الأثف

في كلياته فقال (والمختلف في نبوتهم نيف وعشرون لقمان وذو القرنين والخضر وذو الكفل وسام وطالوت وعزير وتبع وكالب وخالد بن سنان وحنظلة بن صفوان والاسباط وهم أحد عشر وحواء ومريم وأم موسى وسارة وهاجر وآسية — ولم يشتهر عن مجتهد غير الشيخ أبي الحسن الأشعري القول بنبوة امرأة والواحد لا يخرق الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة بدليل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا) ولنتكلم على العرب منهم وهم تبع وخالد بن سنان وحنظلة بن صفوان فنقول

اما تبع فهو لقب ملك اليمن لا يلقب به حنى بملك اليمن والشجر وحضر موت ولا أدري أى التباينة المختلف في نبوته أهو الرأش وهو تبع الأول أو ابو كرب تبان اسعد (١) وهو تبع الآخر أو غيرهما . وتبع الآخر هو الذى عمر البيت الحرام وكساه وجعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة فر بها ولم يهج اهلها وخلف بين أظهرهم ابنه فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال اهلها وقطع نخلها فقال له أحد احبار اليهود من اهلها . الملك أجل من أن يطير به نزع أو يستخفه غضب وأمره اعظم من أن يضيق عما حمله أو نحرم صفحه مع أن هذا البلد مهاجر نبي يبعث بدين ابراهيم فاعتقد صدقه وتهود وادخل اليهودية بلاد اليمن وكان دينهم الوثنية

وأما خالد بن سنان بن غيث العبسى فذهب بعضهم الى انه كان مؤمنا ولم يكن نبيا والكثيرون على نبوته قال الحلبي في سيرته قال بعضهم لم يكن في بنى اسماعيل نبي غير خالد بن سنان قبل محمد الا انه لم يبعث بشريعة مستقلة بل بتقرير شريعة عيسى وكان بينه وبين عيسى ثلاثمائة سنة وخالد هذا هو الذى اطفأ النار التى خرجت بالبادية بين مكة والمدينة كادت العرب تعبيدها كالجوس كان يرى ضوءها من مسافة ثمان ليال وربما كان يخرج منها العنق فيذهب في الارض فلا يجد شيئا الا أكله فأمر الله تعالى خالد بن سنان باطفائها (١) تبان اسعد اسمان جعل اسما واحدا فان شئت أضفت كما تضيف

معدى كرب وان شئت جعلت الاعراب في الاسم الآخر

وكانت تخرج من بئر ثم تفتش فلما خرجت وانتشرت أخذ خالد يضربها ويقول
 بدا بدا (١) كل هدى (٢) وهي تتأخر حتى نزلت الى البئر وهو خلفها
 فوجد كلاباً تحتها فضربها وضرب النار حتى اطفأها . وقيل انه كان السبب في
 خروجها . فانه لما دعا قومه كذبوه وقالوا له انما نخوفنا بالنار فان نسل علينا هذه
 الحرة ناراً اتبعناك فتوضأ ثم قال اللهم اذ قومي كذبوني ولم يؤمنوا بي الا
 أن تسيل عليهم هذه الحرة ناراً فأرسلها عليهم ناراً فخرجت فقالوا يا خالد
 ارددها فأنا مؤمنون بك فردها قيل وكان خالد بن سنان اذا استسقى يدخل
 رأسه في جيبه فيجىء المطر ولا يقلع الا أن يرفع رأسه روى ان ابنته قدمت
 وهي عجوز على النبي فأكرمها وبسط لها رداءه وقال مرحباً بابنته اخي مرحباً
 بابنة نبي ضيعة قومه فأسلمت (٣) وهذا الحديث مرسل رجاله ثقات وفي
 البخاري أنا اولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة وليس بي وببيته نبي
 (٤) قال بعضهم وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان . وقد يقال
 مراده صلى الله عليه وسلم بالنبي الرسول الذي يأتي بشريعة مستقلة وحينئذ
 لا يشكل هذا لما علمت انه لم يأت بشريعة مستقلة

وأما حنظلة بن صفوان فحكى الحلبي ان الله ارسله لاصحاب الرس بعد
 خالد بن سنان بمائة سنة والرس كما في القاموس وشرحه البئر المطوية بالحجارة
 وقيل القديمة سواء طويت أم لا ومنه ما في الاساس وقع في الرس أي بئر لم
 تطلو « سموا بذلك لانهم قبلوا حنظلة ودسوه فيها فغار ماؤها وعطشوا بعد
 ريهم ويديست اشجارهم وانقطعت ثمارهم بعد ان كان ماؤها يرويههم ويكفي
 أرضهم جميعاً وتبدلوا بعد الألس الوحشة وبعد الاجتماع الفرقة

(١) روى ابن عباس ان العرب سمت هذه النار بداً (٢) في تاريخ
 ابن الاثير ان خالداً توسط النار وضربها بعصاه ففرقها وهو يقول بداً بداً
 كل هاد مؤد الى الله الأعلى لادخنها وهي تلظى ولا خرجن منها وثيابي تندي
 (٣) يروي بعضهم ان البنت التي جاءت الرسول ليست بنته الصليبية
 بل كانت من ذريته ونسله (٤) قيل كان خالد نبياً قبل عيسى

﴿ الحرم ومكاته عند العرب ﴾

الحرم مكة وما حوالها مما يحرم صيده وقطع شجره وحشيشه وغير ذلك
وحدود الحرم من مكة تختلف قريباً وبعداً فيحد من جهة المدينة بثلاثة أميال
ومن جهة اليمن والعراق والطائف بسبعة أميال ومن جهة جدة بعشرة أميال
ومن جهة الجعرانة بتسعة أميال وللحرم علامات منصوبة * حكى في الروض
المعطار عن الزبير أن أول من وضع علامات الحرم ونصب العمدة عليه عدنان
ابن أد خوفاً من أن تندرس معالم الحرم أو تتغير . ومقتضاه أنها موضوعة
قبل ذلك وهو الحق فانها من صنع ابراهيم الخليل وممن ذكر ذلك السيوطي
في كتابه الفلك المشحون حيث قال « وأول من نصب انصاب الحرم ابراهيم
الخليل وكان جبريل يريه مواضعها ثم لم تحرك حتى كان قصي فجدها ثم لم
تحرك حتى كان رسول الله فبعث عام الفتح تميم بن أسيد الخزاعي فجدها ثم
لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب فبعث أربعة من قريش كانوا ينتدرون في
نواحيها فجددوا انصابه وهم مخزومة بن نوفل وأبو هود سعيد بن يربوع المخزومي
وحويطب ابن عبد العزى وأزهر بن عوف الزهري حتى كاتب عثمان بن
عثمان فبعث على الحجيج عبد الرحمن بن عوف وأمره أن يجدد انصاب الحرم
فبعث عبد الرحمن نقرأ من قريش منهم حويطب بن عبد العزى وعبد الرحمن
ابن أزهر وكان سعيد بن يربوع قد ذهب بصره في خلافة عمر وذهب بصر
مخزومة بن نوفل في خلافة عثمان فكانوا يجددون انصاب الحرم في كل
سنة فلما ولي معاوية كتب الى مكة فأمر بتجديدها ثم لما حج عبد الملك بن
مروان أرسل الى أكبر شيخ يعلمه من خزاعة وشيخ من قريش وشيخ من
بنى بكر وأمرهم بتجديد انصاب الحرم ، وقال النووي في شرح المذهب ان
تلك الانصاب لا تزال الآن ثابتة في جميع جوانبه الا من جهة جدة وجهة
الجعرانة فليس فيها انصاب

وقد جعل الله مكة وما حوالها حرماً آمناً يتخطف الناس من حوله

واختلف في حرمتها على قولين (الاول) انها صارت حرمًا بسؤال ابراهيم (رب اجعل هذا بلدًا آمنًا) يعنى مكة وما حواليتها فأجاب الله سؤاله ويعاضده رواية أبى هريرة عن رسول الله انه قال ان ابراهيم كان عبد الله وخليله وانى عبد الله ورسوله وان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة ما بين لا بتيها عضاهها وصيدها ولا يحمل بها سلاح لقتال ولا يقطع بها شجر الا لعلف بعير « والقول الثانى » انها كانت منذ وجدت حرمًا آمنًا من الجبابرة والمتسلطين ومن الخسف والزلازل وانما سأل ابراهيم ربه أن يجعل حرمه آمنًا من الجذب والقحط وأن يرزق اهله من الثمرات ويؤيده ما روى عن أبى شريح الخراعى أن النبى لما افتتح مكة قام خطيبًا فقال أيها الناس ان الله سبحانه حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى يوم القيامة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا أو يعضد (١) بها شجرًا وانها لا تحل لأحد بعدى ولم تحل لى الا هذه الساعة غضبًا على أهلها ألا وهى قد رجعت على حالها بالأمس الا ليلبغ الشاهد الغائب فن قال رسول الله قتل بها فقولوا ان الله تعالى قد أحلها لرسوله ولم يحلها لك

وكانت العرب على دين أبيهم ابراهيم فى ذلك فكانوا لا ينفرون صيد الحرم ولا يؤذونه قال عمرو بن الحارث بن مضا

فسحت دموع العين تبكى لبلدة	بها حرم آمن وفيها المشاعر
وتبكى لبیت ليس يؤذى حمامه	تظل به آمنًا وفيه المصافر (٢)
وفيه وحوش لا تزال أنيسة	إذا خرجت منه فليست تغادر

وقال النابغة الذبياني

والمؤمن العائذات الطير تمسحها ركبان مكة بين الغيل والسعد (٣)

(١) العضد القطع (٢) تظل به آمنًا أى ذات أمن ويجوز أن يكون آمنًا جمع آمن مثل ركب جمع راكب وأراد المصافر وحذف الياء ضرورة ورفعها على المعنى أى وتأمين فيه المصافر (٣) أقسم بالله الذى أمن (العائذات)

ماقلت من سيئ مما أتيت به اذا فلا رفعت سوطي الى يدي
وكانوا يؤمنون ساكن الحرم محسناً أو مسيئاً ولذلك قال الزبيدي في العاص
ابن وائل لما اغتصبه ماله يستحث الناس على انصافه منه وتخوينه وان كان
مقيماً في الحرم

ان الحرم لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر
ويرون مكة بلداً لقاحاً لا تؤدي اتاوة ولا تدين للملوك وهي كذلك ولذلك
سمى بيت الله بالبيت العتيق لانه لم يزل حراً ولم يملكه أحد

قال الزبرقان بن بدر لرجل من بني عوف هجا أبا جهل وتناول قريشاً
أتدري من هجوت أبا حبيب جليل خضارم سكنوا البطاحا (١)
وزاد الركب تذكر ام هشاماً وبيت الله والبلد اللقاحا (٢)
روى الزبير أن عثمان بن الحويرث قدم على قيصر في الجاهلية فتوجه
وولاه أمر مكة فلما جاءهم بذلك أنقوا من أن يدينوا للملك وصاح الاسود
ابن أسد بن عبد العزى الا أن مكة حى لقاح لا تدين لملك فلم يتم له مراده
وكانوا يجرمون غزو الحرم والقتال فيه وشاهده قول حرب بن أمية لأبي
مطر الحضرمي يدعوه الى حلقه ونزول مكة
أبا مطر هلم الى صلاح فتكنف كالندامى من قريش (٣)

وهي الحديثة النتاج من الحيوانات جمع عائذة و (تمسحها ركبان مكة) أى
تمسح عليها ولا تهيجها بأخذ و (الفيل) بكسر الغين و (السعد) أجمتان كانتا
منافع ما بين مكة ومنى (١) الخضارم جمع خضرم وهو الجواد المعطاء
و (البطاح) جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دفاق الحصى
(٢) و (أزواد الركب) مسافر بن أبي عمرو وزمعة بن الاسود وأبو أمية
ابن المغيرة لانه لم يكن يتزود معهم أحد في سفر يطعمونه ويكفونه الزاد
و (هشام) هو ابن المغيرة اعظمته قريش حتى أركخوا بموته
(٣) صلاح اسم من اسماء مكة و (تكنف) أى تصير فى حرز

وتأمن وسطهم وتميش فيهم أبا مطر هديت خير عيش
وتسكن بلدة عزت قديما وتأمن أن يزورك رب جيش
وقول خدّاش بن زهير في يوم من أيام الفجار لما اقتتلوا ففرت قريش
إلى الحرم وقد دخل الليل

ياشدة ما شدّنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم (٢)
وكانوا يكرهون الظلم في الحرم وشاهده قول رجل من جرهم ينهى عمرو
ابن لحي لما ظلم بمكة

يا عمرو لا تظلم بمكة أنها بلد حرام
وقول سبيعة بنت الأخب (٣) بن زينة تنهى ابنها خالد بن عبد مناف
عن الظلم في الحرم وتمظّم حرمة مكة

ابني لا تظلم بمكة لا الكبير ولا الصغير
واحفظ محارمها ولا يغرك بالله الغرور
ابني من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور
أبي يضرب وجهه ويلج بخديه السعير
ابني قد جربتها فوجدت ظالمها يبور
والله أمنها وما بذيت بعرضتها قصور
والله أمن طيرها والعصم تأمن في ثبير

وقد بلغ احترامهم للحرم أنهم كانوا ينزلونه نهارا ولا يبيتون فيه ليلا .
وإذا نزل أحدهم نهارا وأراد قضاء حاجة الإنسان خرج إلى الحل تنزيها له
ولا يبيتون فيه بقاء ولقد مر عليك قول سبيعة بنت الأخب
والله أمنها وما بذيت بعرضتها قصور

(٢) سخينة لقب تعير به قريش لاتخاذها إياها وهي طعام رقيق يتخذ
من دقيق (٣) قال سيديويه الأخب بالحاء المهملة يقوله أهل النسب
وأبو عبيدة يقوله بالجيم

وانما كانوا اذا نزلوا في الحرم ينزلون في العريش وكانت العمالة وجرم حين ولايتهم الحرم يفتجعون جبال مكة وأوديتها ينزلون بها وكانت خزاعة حين ولايتها على الحرم تنزل بطن مرة فاما كانت ولاية الحرم لقريش في قصي ابن كلاب بن دار الندوة وهي أول دار بنيت بمكة وجعل بابها جهة البيت وأمر قريشاً أن يبنوا بيوتهم في الحرم حول الكعبة لتهايبهم العرب ولا تستحل قتالهم فبنوا حول البيت وجعلوا أبواب بيوتهم جهته لكل بطن منهم باب ينسب اليه كباب بن شيبه وباب بن سهم وباب بن مخزوم وباب بن جهم وتركوا قدر الطواف قال المبرد في الكامل ثم عزت قريش بعد ذلك بهذا الجوارحى كان يقال يكفيك من قريش انها أقرب الناس من بيت الله بيتا وكان يقال لدار أسد بن عبد العزى رضيع الكعبة لانها كانت تنىء عليها الكعبة صباحاً وتنىء على الكعبة عشياً وان الرجل من ولد أسد ليطوف بالبيت فينقطع شسع نعله فيرمى به في منزله فيصلح له فاذا عاد في الطواف رمى بها اليه وفي ذلك يقول الشاعر

لهاشم وزهير فضل مكرمة بحيث حلت نجوم الكعبش والاسد
مجاور البيت ذى الاركان بينهما مادونهم في جوار البيت من أحد
قالوا وقد سميت بمكة لانها لا تقر طلما ولا يغيا ولا يبنى فيها أحد الا
مكته وأخرجته وفد روى الاصمعي فول الراجز في تلبيته

يا مكة الفاجر مكى ولا تمكى مدحجا وعجا
وثانف اسمى أيضا بالناسة لانها تنس من أحد فيها أى تطرده وتنفيه
وبالناسة لانها تنس من أحد فيها أى تحطمه وتهاككه ومنه قوله تعالى وبست
الجبال بساً

واقصد كان اجتباب الظلم في الحرم شريعة عامة وديننا متبعاً وان حصل
اعتداء على النفس أو المال فنادر كما آذى كفار قريش زيد بن عمرو بن ثعلبة
في مكة لما طرح عبادة الاصنام كراهة أن يفسد عليهم دينهم فقال وهو يعظم
حرمة علي من استحل منه ما اسنحل من قومه

لا هم انى محرم لاحله (١) وان بيتى أوسط المحلة (٢)

عند الصفا ليس بذى مضله

ومن ذلك أيضا ما روى أن قيس بن شيبه السلمي باع متاعا من أبي بن خلف فلواه بحقه فاستجار برجل من بني جمح فلم يقيم بجواره فقال يال قصي كيف هذا في الحرم وحرمة البيت واعلاق الكرم أظل لا يمنع منى من ظلم

فبلغ الخبر العباس بن مرداس السلمي فقال

ان كان جارك لم تنفعك ذمته وقد شربت بكأس الغل أنفاسا (٣)

فأت البيوت وكن من أهلها صيدا لا يلق ناديم حشا ولا باسا (٤)

وتم كن بفناء البيت معتصما تاق ابن حرب وتلق المرء عباسا

قرمي قريش وحلا في ذؤابنها بالمجد والحزم ما حازا وما ساسا (٥)

ساقى الحجييج وهذا ياسر فلج والمجد يورث أخماسا وأسداسا

وما زالت تقع بالحرم مظالم بين حين وآخر سببها أما الطيش والحقاقة وأما الاعتماد على القوة

(حلف الفضول)

لقد أدرك بعض العملاء ان ما كان يقع من المظالم في الحرم لو لم ينفذ الحق في سبيلها وترد الحقوق لأصحابها لسقطت هيبة الحرم من نفوس العرب واعندى على سكان البلد الحرام فتكلموا في ذلك ثم نهضوا على نصرة المظلوم على الظالم وسموه حلف الفضول . فكان في الحقيفة حلفا سياسيا اجتماعيا عادت فائدته على قريش خاصة وعلى العرب عامة ودفعهم لعقده أيضا الدين بحافة ان يعاقبهم الله على البغى في الحرم

(١) محرم ساكن في الحرم (٢) المحلة المنزل (٣) الدمه بالكسر العهد

والغل الحقد (٤) كن حدد البيوت أى قبالتها وقربها (والفحش) عدوان

الجواب و (البأس) العذاب (٥) (القرم) السيد (والذؤابة) من العز

والشرف وكل شيء أعلاه

أما العدوان الذي كان سبباً مباشراً لهذا الحلف فهو ما روى أن رجلاً من بني ربيد قدم مكة معتمراً في الجاهلية ومعه تجارة له فاشتراها منه العاص بن وائل السلمي وكان ذا قدر بمكة وشرف فخبس عنه حقه ثم تغيب فابتغى الزبيدي متاعه فلم يقدر عليه فجاء إلى بني سهم يستعديهم عليه فعرف أن لا سبيل إلى ماله فطوف في قبائل قريش يستعين بهم فتخاذلت القبائل عنه وانتهره إلا حلاف عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم وعدى وكعب . فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقد أخذت قريش مجالسها حول الكعبة وصاح بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعنه بيطن مكة نأى الدار والنفر
ومحرم اشعث لم يقض عمرته يا آل فهر وبين الحجر والحجر
اقائم من بني سهم بذمتهم ام ذاهب في ضلال مال معتمر
ان الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وحلف ليعقدن حلفاً بينه وبين بطون من قريش يسمعون القوى من ظلم الضعيف والقاطن من ظلم الغريب وقال

حافت لنعقدن حلفاً عليهم وان كنا جميعاً أهل دار
نسميه الفضول اذا عقدنا يعزبه الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالى البيت انا أباق الضيم نمنع كل عار

ثم قال الزبير ما لهذا مترك يا قوم انى والله لا حشى أن يصينا ما أصاب الأمم السالفة من ساكنى مكة ومشى إلى عبد الله بن جدعان التيمي وهو يومئذ شيخ قريش واخبره بظلم بني سهم وقد كان أصاب بني سهم أمران ظنونهما للبنى . احدهما احتراق المقاييس منهم . وهم قيس ومقيس وعبد قيس بصاعقة . وثانيهما ان ركبا منهم أقبلوا من الشام فنزلوا بماء يقال له القطيعة وصبوا فضلة خمر لهم في اناء فشربوا ثم ناموا وقد بقيت منهم بقية فكرع منها حية أسود ثم تقيأ في الاناء فهب القوم فشربوا منه فماتوا عن آخرهم فأذكره الزبير هذا ومثله واجتمعت كلمة بني هاشم وبني اسد

ابن عبد العزى (١) وبنى زهرة وبنى تيم بن مرة فى دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاما وتحالفوا وكانت حرب الفجار فى شعبان وحلف الفضول بعدها فى ذى القعدة قبل مبعث رسول الله بعشرين سنة (٢) فتحالفوا فى شهر حرام قياما يتماسحون بأكفهم وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة على ألا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد حتى يأخذوا له بحقه ويكونوا جميعا مع المظلوم على الظالم حتى يؤدوا اليه مظلمته ممن ظلمه شريفا أو وضيعا منهم أو من غيرهم أو يبلغوا فى ذلك عذرا وعلى ألا يتركوا لأحد عند أحد فضلا إلا أخذوه وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما بل بحر صوفة ومارسى حراء ونبير مكانهما وعلى التأسى فى المعاش والتساهم بالمال ثم عمدوا الى ماء زمزم فجعلوه فى جفنة وبعثوا به الى البيت فغسلت به أركانه ثم أتوا به فشر به ثم انطلقوا الى العاص بن وائل فقالوا والله لا نفارقك حتى تؤدى اليه حقه فاعطى الرجل حقه فكثروا كذلك لا يظلم أحد بمكة إلا أخذوا له حقه . ولم يكن لعبد شمس فيه نصيب حتى قال عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس لو ان رحلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتى أدخل فى حلف الفضول ولقد شهد رسول الله فعن عائشة أنها سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول . أما لو دعيت اليه اليوم لأجبت . وما أحب ان لى به حمر النعم وانى تقضته وفيه يقول الزبير بن عبد المطلب

ان الفضول تحالفوا وتعاهدوا الا يقيم بيطن مكة ظالم (٣)

أمر عليه تعاهدوا وتواثقوا فالجار والمعتز فيهم سالم (٤)

(١) تابعنا ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة وروى الاغانى عن محمد بن فضالة عن أبيه قال لم يكن بنو أسد بن عبد العزى فى حلف الفضول (٢) فى رواية انه صلى الله عليه وسلم يومئذ كان ابن خمس وعشرين سنة (٣) الفضول هم القبائل التى عقدت هذا الحلف (٤) المعتز الفقير والمتعرض للمعروف من غير ان يسأل

وسبب تسميته بذلك ان قريشا لما تكلموا في عقده قال المطيبون والله
لئن تكلمنا في هذا ليغضبن الاحلاف وقال الاحلاف والله لئن تكلمنا في
هذا ليغضبن المطيبون . وقال ناس من قريش تعالوا فليكن حلفا فضولا دون
المطيبين ودون الاحلاف وقيل انما سمي بذلك لأن قريشا قالوا والله لقد دخل
هؤلاء في فضل من الامر . ونقل السهيلي سبب هذه التسمية عن ابن قتيبة فقال
كان قد س في قريشا الى مثل هذا الحلف جرهم في الزمن الأول فتحالف منهم
ثلاثة ومن بينهم أحد هم الفضل بن فضالة والثاني الفضل بن وداعة والثالث
وضيل بن الحارث هذا قول القتيبي . وقال الزبير الفضيل بن شراعة والفضل
ابن وداعة والفضل بن قضاة . فاما أشبهه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء
الحرميين سمي حلف الفضول والفضول جمع فضل وهي أسماء أولئك الذين
تقدم ذكرهم وهذا الذي قاله ابن قتيبة حسن ولكن في الحديث ما هو
أقوى منه وأولى وهو ما رواه الحميدى عن سفيان عن عبيد الله عن محمد
وعبد الرحمن بن أبي بكر فالأقال رسول الله صلى عايه وسلم لقد شهدت
في دار عبد الله ابن جدعان حلفا لو دعيت به في الاسلام لأجبت . تحالفوا
ان ترد الفضول على أهأها والا يعز طالم مظلوما فقد بين هذا الحديث لم سمي
حلف الفضول

وكان هذا الحلف أكرم حلف في العرب وأشرفه لوفرة منافعه جاهلية
واسلاما . فقد رد العدل الى نصابه في كثير من الحوادث .
فمن أثار نفعه في الجاهلية ما ذكره قاسم بن ثابت في غريب الحديث ان
وحلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له يقال لها القتل من أوضاً
نساء العالمين فانحصبها منه نديه بن الحجاج وغيبها عنه فقال الخثعمي من يعديني
على هذا الرجل فليل له عليك يحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى
يا حلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا اسيا فهم
يقولون جاءك الغوث فما لك فقال ان نديها ظلمني في ابنتي وانزعها مني قسراً
فساروا معه حتى وقفوا على باب الدار فخرج اليهم فقالوا أخرج الجارية

ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه فأخرجها إليهم
ومن ذلك ما في الاغانى أن رجلا من ثمالة قدم مكة فباع سلعة له من
أبي بن خلف الجهمى فظلمه وكان يسمى المخالطة فأتى الثمالي الى أهل حلف
الفضول فاخبرهم فقالوا له اذهب فاخبره انك أتيتنا فان اعطاك حقك والا
فارجع إلينا فأتاه فاخبره بما قال له أهل حلف الفضول فأخرج له ماله واعطاه
اياه بعينه وقال الثمالي فى ذلك

اياخذنى فى بطن مكة ظلما أبى ولا قولى لدى ولا صحبى
وناديت قولى صارخا لتجيبنى وكم دون قولى من فياف ومن سهب
ويا أبى لكم حلف الفضول ظلامتى بنى جمع والحق يؤخذ بالغصب
ولقد قطع الاسلام ما كان فى الجاهلية من قولهم يا فلان عند التحزب
حتى لقد سمع رسول الله يوم المريسيع رجلا يقول يا للمهاجرين وآخر يقول
يا للانصار . فقال دعوها فانها منتنة لان الله جعل المؤمنين أخوة فلا يقال
الا يا لله ويا للمسلمين وجاز يا لحلف الفضول خصوصية له لقوله عليه السلام
ولو دعيت به اليوم لأجبت يريد لو قال مظلوم ذلك لأجبت وذلك لان
الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم فلم يزد به هذا الحلف الا قوة
وليس المراد بقوله عليه السلام وما كان من حلف فى الجاهلية فلن يزيده
الاسلام الا شدة أن يقول الحليف يا فلان لحلفائه فيجيبوه بل الشدة فى
الحديث ترجع لمعنى التعاطف والتواصل

ولقد هم الحسين بن على بن أبى طالب بان يهتف به فلقد روى انه كان
بينه وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان أمير المدينة من قبل معاوية منازعة
فى مال كان بينهما بذى المروة فتحامل الوليد على الحسين فى حقه لسلطانه
فقال له الحسين احلف بالله لتنصفنى من حتى أو لا آخذن سبى ثم لا قومى
فى مسجد رسول الله ثم لا دعون بحلف الفضول وكان عبد الله بن الزبير عند
الوليد حينئذ فقال . وأنا احلف بالله لئن دعا به لا آخذن سبى ثم لا قومى
معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا . وبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل

الزهرى وعبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقالا مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى . ومن ذلك ما فى الاغانى أن الحسين بن على كان بينه وبين معاوية كلام فى ارض له فخرج مغضباً من عنده فلحق عبد الله بن الزبير فذكر له الحسين أن معاوية ظلمه حقه . وقال أخيره فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم (١) أن يجعلك أو ابن عمر بينى وبينه . أو يقر بحقى ثم يسألنى فأهبه له أو يشتريه منى . فان لم يفعل فوالذى نفسى بيده لا أهتفن بحلف الفضول . قال ابن الزبير : والذى نفسى بيده لئن هتفت به وأنا قاعد لأقومن أو قائم لأمشين أو ماش لاشتدن حتى يفنى روحى مع روحك أو ينصفك . قال ثم ذهب ابن الزبير الى معاوية فقال لقينى الحسين فخيرك فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم قال معاوية . لا حاجة لنا بالصيلم انك لقيته مغضباً فهات الثلاث . قال تجعلنى أو ابن عمر بينك وبينه قال . قد جعلتك بينى وبينه أو ابن عمر أو جعلتكما قال . أو تقر له بحقه وتسأله اياه قال . أنا أقر له بحقه واسأله اياه . قال أو تشتريه منه قال . وأنا اشتريه منه قال فلما انتهى الى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحسين لودعانى الى حلف الفضول لأجبتة . فقال معاوية لا حاجة لنا بهذا

بناء الكعبة وكسوتها

أول من بنى الكعبة ابراهيم عليه السلام ذكر صاحب الروض المعطار ان ابراهيم بناها ولم يجعل لها سقفا ثم انهدمت فبنتها العمالقة ثم انهدمت فبنتها جرهم (٢) ثم انهدمت فبناها قصى بن كلاب وسقفها بنخشب الدوم وجريد النخل وجعل ارتفاعها خمسا وعشرين ذراعاً . وفى بناء جرهم وقصى لها يقول اعشى قيس

(١) الصيلم الامر الشديد والداهية (٢) قال السهيلي : وقد قيل انه بنى فى أيام جرهم مرة أو مرتين لان السيل كان قد صدع حائطه . ولم يكن ذلك بنيانا انما كان اصلاحاً لما وهى منه وجدارا بنى بينه وبين السيل بناء عامر الجارود

حلفت بثوبى راهب الشام والتي بناها قصى وحده وابن جرهم
ثم بنتها قريش وشهد رسول الله بناءها وعمره خمس وعشرون سنة .
وكان بابها في الارض فقال أبو حذيفة بن المغيرة . يا قوم ارفعوا الباب حتى
لا يدخل الا بسلم فانه لا يدخلها حينئذ الا من أردتم فان جاء أحد ممن
تكرهون رميتم به فيسقط فكان نكالا لمن رآه ففعلت قريش ذلك . ولما
أجمعت قريش أمرها على هدمها وبنائها قال أبو وهب بن عمرو بن عائذ
المخزومي . يا معشر قريش لا تدخلوا في بناءها من كسبكم الا طيبا لا يدخل فيه
مهر بنى ولا بيع ربا ولا مظلة أحد من الناس (١)

وهدموها حتى انتهى بهم الهدم الى أساس ابراهيم ورأوا ان ما أخرجوا
من النفقة لا يكفي للبناء فاجمعوا أمرهم على ان يبنوا من البيت على أساس
ابراهيم بقدر ما أخرجوا من النفقة ويتركوا بقيته في الحجر عليه جدار مدار
يطوفون من ورائه فتركوا من شمال البيت ست أذرع وشبرا وبنوا أساساً
في بطن الكعبة يبنون عليه وشرعت القبائل في بنائها حتى اذا بلغ البنيان
موضع الركن وهو الحجر الأسود اختصموا . كل قبيلة تريد أن تضعه موضعه
حتى تحالفوا وأعدوا للقتال عدته ثم اتفقوا على ان يحكموا أول من يدخل
من باب المسجد فكان رسول الله فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضيناها هذا
محمد وأخبروه خبرهم فدعا عليه السلام بثوب فأتى به ثم قال لتأخذ كل قبيلة
بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه أخذته
بيده الشريفة فوضعه موضعه (٢) ثم بنى عليه ولم تزل على بنائها الى أن
تولى عبد الله بن الزبير أمر مكة في زمن يزيد بن معاوية فأرسل يزيد
اليه الحصين بن نمير في عسكر كثيف من أهل الشام فالتجأ ابن الزبير
للمسجد فرماه الحصين بالمنجنيق فأصاب مقذوفه الكعبة فهدمها وحرق

(١) فيه دليل على حرمة الزنا والربا والظلم عليهم يعلمون ذلك ببقية من
بقايا شرع ابراهيم (٢) حكى الزبير بن أبي بكر ان الذي وضع الركن في بناء
عبد الله بن الزبير ابنه حمزة اغتتم فرصة شغل الناس بالصلاة خلف أبيه في

كسوتها وبعض خشبها ثم مات يزيد وانصرف جنده فهدمها عبد الله بن الزبير وبنائها على قواعد ابراهيم وكسا بابها بصفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب وأدخل الحجر فيها وجعل لها بابين ملصوقين بالارض شرقيا وغربيا يدخل من واحد ويخرج من الآخر وذلك لما حدثته به عائشة أم المؤمنين عن رسول الله انه قال « الم ترى قومك حين بنوا الكعبة اقتصدروا عن قواعد ابراهيم حين عجزت بهم التفقة ثم قال عليه السلام لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها خلفاً (١) والصقت بابها بالارض وأدخلت فيها الحجر » وكان فراغه من بنائها في السابع عشر من شهر رجب سنة أربع وستين

فلما تولى عبد الملك بن مروان أرسل لابن الزبير جيشاً وعلى رأسه الحجاج ابن يوسف فحاصره في مكة حتى استشهد سنة ثلاث وسبعين فدخل الحجاج مكة وكتب لعبد الملك بما صنعه ابن الزبير في الكعبة فقال لسنا من تخليط أبي خبيب (٢) بشيء وأمره ان يعيدها الى ما كانت عليه زمن رسول الله فهدم من جانبها الشامي الشمالي ست أذرع وشبرا وبني على أساس قريش ورفع الباب الشرقي وسد الغربي ولم يغير من باقية شيئاً فلما فرغ من بنائها قدم على عبد الملك الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقباع وهو أخو عمر ابن أبي ربيعة ومعه رجل آخر فحدثاه حديث عائشة المتقدم فندم وجعل ينكث الارض بمخصرة في يده ويقول « وددت اني تركت أبا خبيب وما تحمل في ذلك »

فلما تولى أبو جعفر المنصور أراد أن يبنيتها على ما بناها ابن الزبير وشاور في ذلك . فقال له مالك بن أنس . أنشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك لا يشأ أحد منهم أن يغيره الا غيره فتذهب المسجد فوضعه حين أحس منهم التنافس في ذلك وخاف الخلاف فأقره أبوه (١) خلفاً أي باباً آخر من خلفها (٢) أبو خبيب كنية عبد الله بن الزبير تكنى باسم ولده خبيب

هيئته من قلوب الناس فصرفه عن ذلك فالكعبة الى اليوم حائطها الشمالى من بناء الحجاج وباقي حوائطها من بناء ابن الزبير

أما كسوتها فقد كسيت في الجاهلية من زمن قديم اعظاماً لها وأول من كساها تبع الآخر وهو تبان أسعد المتقدم ذكره عند الكلام على المختلف في نبوتهم من العرب روي انه قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بها ستة أيام ينحر للناس ويطعم اهلها ويستقيهم العسل المصفى وأرى في المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف (١) ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الثياب المعافريه (٢) . ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل (٣) قال ابن هشام (واوصي بالبيت ولاته من جرم وأمرهم بتطهيره والا يقربوه دمأ ولا ميتة ولا مثلاة وهي المحائض (٤) وجعل له باباً ومفتاحاً) وقال في كسوته

وكسونا البيت الذي حرم الله ملاء معضدا وبرودا (٤)
فأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه أقليدا (٥)
ونحرننا بالشعب ستة آلا ف ترى الناس نحوهن ورودا
ثم سرنا عنه ثؤم سهيلا فرفعنا لوأنا معقودا
وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا اسعد الحميري فانه أول من كسا الكعبة

وقالت سبيعة بنت الاحب من قصيدة

(١) جمع خصفة وهي ثوب غايظ أو شيء ينسج من الخوص والاياف
(٢) نسبة الى معافر بفتح الميم بلد أو ابو حي من همدان (٣) الوصائل ثياب حبرة من عصب اليمن سميت بذلك لأنها كانت يوصل بعضها ببعض واحدها وصيلة (٤) قال السهيلي لم يرد النساء الحيض لان حائضاً لا يجمع على محائض وانما هي جمع محيضة وهي خرقة المحيض (٥) المعضد كمعظم ثوب له علم في موضع العضد (٦) الاقليد المفتاح .

ولقد غزاها تبع وكسا بنيتها الحبير (١)
وأذل ربى ملكه فيها فأوفى بالندور
يمشى اليها حافيا بفنائها الفا بعير
ويظل يطعم أهلها لحم المهارى والجزور
يسقيهم العسل المصفى والرحيض من الشعير (٢)

ثم كستها العرب بأنواع كثيرة روى عن ابن مليكة انه قال بلغنى أن الكعبة كانت تكسى فى الجاهلية كسى شتى وكانت البدن تجمل الحبر والبرود والأكسية وغير ذلك من عصب اليمن . وكان يهدى للكعبة هدايا من كسى شتى سوى جلال البدن حبر وخز وأنماط فتكسى منه الكعبة ويجعل مابقى فى خزانة الكعبة فاذا بلى منها شئ أخلف عليها مكانه ثوب آخر ولا ينزع منها شئ وعنه أيضا انه قال :

كانت قريش فى الجاهلية ترافد فى كسوة الكعبة فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها من عهد قصى بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم . وكان يختلف الى اليمن يتجر فيها فأثرى فى المال فقال لقريش انا أكسو الكعبة وحدى سنة وجميع قريش سنة فكان يفعل ذلك حتى مات يأتى بالحبر الجندية من الجند وهى بلدة باليمن فيكسو الكعبة فسمته قريش العِدل (٣) لانه عدل بفعله فعل قريش . وعن ابن جريج أن الكعبة فيما مضى انما كانت تكسى يوم عاشوراء اذا ذهب آخر الحاج حتى كان بنو هاشم . فكانوا يعلقون القميص يوم الترويه (٤) من الديباج (٥) ليراهم الناس فى بهاء وجمال فاذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الأزار .

(١) غزاها طلبها وقصدها وتريد بالحبير الحبرات (٢) الرحيض من الشعير أى المثقى والمصفى منه (٣) فى الاغانى أن العدل هو عبد الله بن أبى ربيعة وقد قيل أن العدل هو الوليد بن المغيرة (٤) هو اليوم الثامن من ذى الحجة (٥) اختلف فى اول من كساها الديباج فقال الزبير النسابة انه عبد الله بن الزبير وحكى ابن اسحاق انه الحجاج لكن روى الدارقطنى أن تتيلا أم

وعن عمر بن الحكم . قال . نذرت أمي بدنة تنحرفها عند البيت وجللتها شقتين من شعر ووبر فنحرت البدنة وسيرت للكعبة بالشقتين والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة لم يهاجر فنظرت الى البيت يومئذ وعليه كسي شتى من وصائل وأنطاع وكرار وخر ونمارق عراقية كل ذلك رأيت عليه وذكر ثياب البيت أبو طالب عمه عليه السلام في قصيدته الالامية المشهورة فقال

واحضرت عند البيت رهطى وأخوتي وأمسكت من أثوابه بالوصائل وأقر الاسلام ما كانوا عليه من كسوته فكساه النبي عليه السلام الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمان ومعاوية والأُمويون وكان العباسيون يكسونها الحرير الأسود وينسجون كسوتها بتنيس احدى مدن مصر التي عفت ولما ضعفت شوكتهم صارت ترسل كسوتها من ملوك اليمن حيناً وحيناً من ملوك مصر ثم وقف على كسوتها الملك الصالح بن قلاوون قريتي بسوس وسنديس بمديرية القلوية واستمرت مصر ترسلها من يومئذ الى الان في كل عام وكانوا في الجاهلية لا ينزعون من ثيابها شيئاً فمن ابن أبي مليكة انه قال . كانت على الكعبة كسي كثيرة من كسوة أهل الجاهلية من الأنطاع والأكسية والكرار والأنماط فكانت ركاباً بعضها فوق بعض فلما كسيت في الاسلام من بيت المال كان يخفف عنها الشيء بعد الشيء الى أن كانت أيام معاوية فكتب اليه شيبه بن عثمان الحجبي يرغب اليه في تخفيفها من كسي الجاهلية حتى لا يكون عليها شيء مما مسته أيديهم فكتب اليه معاوية أن يجردها وبعث اليه بكسوة من ديباج وقباطى وخبرة فجردها شيبه حتى لم يبق عليها شيء وكساها الكسوة التي بعث بها معاوية وقسم الثياب التي كانت عليها بين أهل مكة وكان ابن عباس حاضراً في المسجد فلم ينكر عليه ذلك ولا كرهه وانكرت عائشة قسمتها بين أهل مكة وقالت لشيبه العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلت العباس صغيراً فنذرت ان هي وجدته أن تكسو الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته

بها واجعل ثمنها في سبيل الله

ثم لم تكن تجرد في كل عام حتى حج الخليفة المهدي العباسي سنة مائة وستين من الهجرة فشكا اليه سدة الكعبة كثرة الكساوى التى عليها فأمر بها فانزلات وأمر الا يعلق عليها الا كسوة واحدة فلم تزل كذلك الى الآن

تعظيم المعجم والعرب للكعبة

قد عظمت المعجم والعرب الكعبة فن تعظيم المعجم لها أن قدماء المصريين كانوا يسمون بلاد الحجاز بالبلاد المقدسة لمكان البيت منها . وكان الهنود يعتقدون أن روح شبيه أحد آلهتهم وهو الأ قنوم الثالث من تمثال بوذا قد تقمصت في الحجر الاسود حين زيارته بلاد الحجاز . وكان الفرس يعتقدون أن روح هرmez حلت في الكعبة . وذكر بعضهم أن اسلاف الفرس كانوا يحجون البيت الحرام ويطوفون به تعظيما لجدهم ابراهيم وتمسكا بهديه وحفظا لانسابهم لاعتقادهم انهم من نسل ابراهيم . قال المسعودى سميت زمزم لان الفرس كانت تحج اليها في الزمن الاول فزمزمت عليها - والزمزمة صوت تخرجه من خياشيمها . وقال غيره . وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك فأتى البيت وطاف به وزمزم على البئر وفي ذلك يقول الشاعر في القديم من الزمان

زمزمت الفرس على زمزم وذاك من سالننها الاقدم

والزمزمة كلام المجوس وقراءتهم على صلاتهم وطعامهم . وقد افتخر بعض

شعراء الفرس في الاسلام فقال

وما زلنا نحج البيت قدما ونلقى بالاباطح آميننا

وساسان بن بابك سار حتى أتى البيت العتيق باصيدينا

وطاف به وزمزم عند بئر لاسماعيل تروى الشاربينا

وقد خصها العرب بأنواع من الاحترام لانها بيت الله الحرام وبناء أيهم ابراهيم واسماعيل . فمنها انهم كانوا لا يبنون عندها بيوتا حتى صارت ولاية الحرم لقصى بن كلاب فبنى دار الندوة وأمر قريشا أن تبني بيوتها حوله

لتهابهم العرب لمكان البيت فامتنلوا أمره . و (كانوا) لا يرفعون بناءهم فوق
بنائها تعظيما لها . و (كانوا) يتحامون التربيع في البناء كيلا يشبهها وأول من
بنى بيتا مربعا حميد بن زهير أحد بنى أسد بن عبدالمزى كما في الحيوان للجاحظ
لكن في صبح الاعشى ان أول من فعل ذلك هو بديل بن ورقاء الخزاعي
و (كانوا) يخلمون نعالهم عند دخولها . وفي صبح الاعشى ان أول من
خلع نعليه عند دخولها الوليد بن المغيرة . و (كانوا) يحلفون بها والشواهد
على ذلك كثيرة منها قول زهير بن أبي سلمى

فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرحم
و (كانوا) لضمخون البيت في الجاهلية بلحوم الأبل ودمائها فلما جاء
الاسلام قال أصحاب رسول الله فنحن أحق ان نضمخ فانزل الله تعالى لن
ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم

ولقد اشترك اليهود والنصارى والمشركون في احترامها واتخذوها معبدا
كل يعبد ربه فيه كما أمره دينه حتى صوروا بها المسيح والمذراء وصوروا بها
ابراهيم واسماعيل وفي أيديهما الأزلام ووضعت كل قبيلة صنمها الذي تعبده
عليها حتى اجتمع على سطحها ثلاثمائة وخمسة وستون صنما وما زالت كذلك
حتى بعث رسول الله فمحا الصور وكسر الأصنام وخلصها لعبادة الله وحده

ولعظيم مكانة الكعبة والحرم لدى العرب اعترفوا لسكان الحرم ومجاوري
البيت الحرام بالرئاسة . وهذا ما دعا بعضهم لبناء بيت واتخاذ حرم ليضاهى
به حرم الله وبيته فلم يتم له ما أراد كبناء (بس) وكنيسة (القليس)

اما بس — فحكى الاغانى خبره وهو أن بنى بغيض بن غطفان لما
استشعروا من نقصهم القوة عند ما انتصروا على صداة — وهى قبيلة من
مذحج — قالوا والله لنتخذن حرما مثل حرم مكة لا يقتل صيده ولا يعصد
شجره ولا يهاج عائذه فاتخذوه عند ماء لهم يقال له بس وكان القائم على أمر
الحرم وبناء حائطه رياح بن ظالم (١) فلما بلغ فعلمهم هذا زهير بن جناب وهو
(١) في القاموس بس بيت لغطفان بناء ظالم بن أسعد لما رأى قريشا

يومئذ سيدكاتب . قال والله لا يكون هذا أبدا وأنا حي فسار في قومه حتى غرا غيلقان فظفر بهم وأسر فارسا في حرمهم فقال لأحد أصحابه اضرب رقبتك فقال انه بسل فقال زهير وأبيك ما بسل على بحرام . ثم قام اليه وعطل ذلك الحرم وكانت الولاية على هذا الحرم لبني مرة بن عوف

واما كنيسة القليس (١) فقد بناها أبرهة الاشرم ملك اليمن من قبل النجاشي بصنعاء الى جنب غمدان لما دانت له قبائل العرب وملك قيادها ولما تم له بناؤها كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء بيتا لم تبني العرب والعجم مثله ولن أنهي حتى اصرف حاج العرب اليه ويتركوا الحج الى بيتهم فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك الى النجاشي غضب رجل من النساء أحد بني وقيم ابن عدي بن عامر فخرج حتى أتى القليس فأحدث فيها ثم خرج فاحق بقومه فلما أخطر بذلك أبرهة سأل عمن صمعه فقبل له صنعه رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي بمكة لما سمع قولك أصرف اليها حج العرب . فغضب أبرهة وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه . ثم سار بجيشه ومعه الفيل . فلما نزل بالانمس وهو مكان قريب من مكة أرسل الى قريش فاخبرهم انه لا يريد الا هدم البيت فان لم يتعرضوا لقتاله لا يقاوتهم وعلمت قريش انها لا طاقة لها بحربه فأخذ عبد المطلب بحلقة باب الكعبة وقام ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستصرونه على أبرهة وجنده وقال

لا هم ان العبد يخذل مع رحله فامنع حلالا (٢)

يطوفون بالكعبة ويسمعون بين الصفا والمروة فذرع البيت وأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة فرجع الى قومه فبنى بيتا على قدر البيت ووضع الحجرين فقال هذان الصفا والمروة واجتزءوا به عن الحج فاغار زهير بن جناب الكلبي فقتل دالما وهدم بئاه (١) قال السهيلي سميت هذه الكنيسة القليس لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلائس لأنها في أعلى الرؤوس (٢) العرب تحذف الألف واللام من الهم وتكتفى بما بقي .

و (الحلال) القوم الحلول في المكان

وانصر على آل الصلابة وعابديه اليوم آلاك
 لا يغلبن صلابهم ومحالهم أبدا محالك (١)
 ان كنت تاركهم وقبـ لمتنا فأمر ما بدا لك

ثم خرج مع قريش من مكة وتحرروا في شعف الجبال والشعاب تخوفا
 عليهم من معرة الحبش وأخذوا ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة اذا دخلها ولما
 أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهياً فيله وعبي جنده . فلما وجهوا الفيل الى
 جهة الكعبة برك فضر بوا رأسه بالفأس ليقوم فأبى فادخلوا لهم محاجن في
 مراقبه حتى أدموه ايقوم فأبى فوجهوه الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى
 الشام فقام يهرول ووجهوه الى المشرق فقام يهرول ووجهوه الى مكة وبرك
 وجعل الله كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من
 سجيل (٢) لا تصيب منهم أحدا الا هلك نخرجوا يتساقطون بكل طريق
 ويهلكون بكل مهلك ومعهم أبرهة مصاب في جسمه يسقط أنملة أنملة حتى
 قدموا به صعاء وهو مثل فرخ الطائر فامات حتى انصدع صدره عن قلبه
 فلما رأت العرب ما حل باصحاب الفيل أعظموا قريشاً . وقالوا أهل الله قاتل
 عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم

ولقد استذل أبرهة أهل اليمن في بقاء القاييس وبنائها بحجارة قصر بلقيس
 صاحبة سليمان عليه السلام . وكان مبنيًا بموضع من هذه الكنيسة على فراسخ
 وبه بقايا من آثار ملكها فاستعان بذلك على ما أراد من بهجتها وحسنها
 فوضع أبرهة الرجال نسقا يناول بعضهم بعضا الحجارة والخشب فنقل اليها منه
 العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب حتى نقل ما كان في قصر
 بلقيس مما احتاج اليه ولقد وصفها ابن العربي (٣) نقلا عن ابن اسحاق فقال :

(١) و (المحال) بكسر الميم الكيد أو التدبير أو المكر أو القدرة أو

القوة والشدة (٢) الابابيل الجماعات و (السجيل) الشديد السلب

(٣) هو محي الدين ابن العربي وجميع ما نسبته له فمن كتابه محاضرة

الابرار ومسامرة الاخيار في الادبيات والنوادر والاخبار

وكان عرض حائط القليس ست اذرع . وكان له باب من نحاس عشر اذرع
طولا في اربع اذرع عرصا . وكان المدخل منه الى بيت في جوفه طوله ثمانون
ذراعا في اربعين ذراعا محلى بالساج المنقوش . ومساميره الفضة والذهب ثم
يدخل من البيت الى ايوان طوله اربعون ذراعا عن يمينه وعن يساره عقد
مضروبة بالقسيه ساء مشجرة بينها كواكب الذهب ظاهرة ثم يدخل من الايوان
الى قبة ثلاثون ذراعا في مثلها بالذراع القصير فيها صلب منقوشة بالذهب والفضة
وفيه راحة مما يلي مطلع الشمس من اليلق مربعة عشر اذرع في مثلها تعشى
عين من نظر اليها من بطن القبة تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة
وكان تحت الرخامة منبر من خشب الآبنوس مفصل بالعاج الابيض ودرج
المنبر من حشب الساج ملبسة ذهباً وفضة . وفي القبة سلاسل فضة . وكان في
القبة وفي البيت خشبة من ساج منقوشة طولها ستون ذراعا يقال لها كعيب
وخشبة من ساج نحوها في الطول يقال لها امرأة كعيب كانوا يتبركون بهما في
الجاهلية . وكان يقال لكعيب الأحمري . وهو في لسانهم الحر ، روى انه
لما هلك أبرهة ومرقت الحبشة كل ممزق واقفر ما حول هذه الكنيسة فلم
يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات اتفق أن بعضهم أخذ منها شيئاً
فأصيب بأذى فنسب رطاع اليمين ما أصابه الى الصنمين كعيب وامرأته فتحاماهما
الناس فبقيت بما فيها من الخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التي
تساوى قناطر من المال الى زمن أبي جعفر المنصور فكتب لعامله على اليمين
العباس بن الربيع بن عبید الله الحارثي يأمره بهدمها فهدمها وأصاب العباس
مالاً كثيراً بما باعه من رخامها ودعا بالسلاسل فعلقها في كعيب والخشبة
التي معه فلم يقربهما أحد مخافة مما كان أهل اليمين يقولون فيهما فعلق السلاسل
في العجل ثم جذبهما الثيران حتى أبرزوا من السور . فلما لم ير الناس شيئاً
مما كانوا يخافون من مصراتهما اشترى رجل عراقي الخشبة وقطعها لدار
له . واتفق أن العراقي أصيب بجذام فافتتن بذلك رعا ع اليمين واطغامهم وقالوا
أصابه كعيب

قال أبو المنذر (١) وكان رجل من جهة يثينة يقال له عبد الدار بن خديب قال لقومه هلم نبني بيتا نضاهي به الكعبة ونعظمه حتى نستميل به كثيرا من العرب فأعظموا ذلك وأبوا عليه فقال في ذلك

ولقد أردت بأن تقام بنية ليست بحوب أو تطيف بمأثم
فأبى الذين إذا دعوا لعظيمة راغوا ولا ذوا في جوانب قودم
يلحون أن لا يأمرؤا فاذا دعوا ولوا واعرض بعضهم كالأبكم
الأربعة الأشهر الحرم - والبسل

كما كانوا على دين إبراهيم في تحريم الحرم وتكريم الكعبة كذلك كانوا على دينه في تحريم ذى القعدة وذى الحجة والمحرم ورجب . فكانوا ينزعون فيها الاسنة عن الرماح ويقعدون عن شن الغارات وطلب الثارات ويأمن الخائف فيها عدوه حتى يلتقي الرجل فيها قاتل أبيه أو أخيه فلا يتعرض له . ولم تكن العرب كلها تحرم الأشهر الحرم فقد كانت طى كلها وخثعم كلها وكثير من أحياء قصاعة ويشكر وبنى الحارث بن كعب على ما حكاه الجاحظ في الحيوان يحاين لا يرون للحرم ولا للشهر الحرام حرمة وكانوا لا يحجون ولا يعتمرون وبين السهيلي سر مشروعتها فقال

« ان تحريم القتال في الأشهر الحرم كان حكما معمولاً به من عهد إبراهيم واسماعيل وكان من حرمان الله ومما جعله مصلحة لأهل مكة . قال الله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام » وذلك لما دعا إبراهيم لذريته بمكة إذ كانوا بواد غير ذي زرع أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ففرض الله على الناس حج البيت قواما لمصلحتهم ومعاشهم . ثم جعل الأشهر الحرم أربعة ثلاثة سردا وواحدا فردا وهو رجب أما الثلاثة فليأمن الحجاج على أنفسهم وأهليهم واردين إلى مكة وصادرين عنها شهرا قبل شهر الحج وشهرا بعده قدر ما يصل الركب من أقصى بلاد العرب ثم يرجع حكمة (١) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي المشهور بابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هجرية وما نعرزه إليه بكنية أبي المنذر فما ذكره في كتاب الاصنام

من الله . وأما رجب فللمعتمدين فيه مقبلين وراجمين نصف الشهر للاقبال ونصفه للأياب اذ لا تكون العمرة من أقاصى بلاد العرب كما يكون الحج . وأقصى منازل المعتمرين بين مسيرة خمسة عشر يوماً فكانت الأقوات تأتي أهل مكة فى المواسم وفى سائر العام تنقطع عنهم ذؤبان العرب وقطاع السبل مصلحة لأهلها ونظرا من الله لهم دبره وإبقاه من ملة إبراهيم »

ولا عتيادهم الاعتار فى رجب سموه من منصل الألة (١) لأنهم كانوا ينصلون الألسنة عن الرماح حتى يخرج الشهر . قال الأعشى

تداركه فى منصل الألة بعد ما مضى غير أداء وقد كاد يعطب (٢)
وكانوا يدعونه الأصم لأنهم كانوا لا يتغازون فيه ولا يتنادون فيه بالفلان
ويالفلان ولا تؤخذ فيه الثارات . وكانت مضر تعظم رجبا أكثر من سائر
العرب وتذبح فيه قربانا تسميه الرجبية حتى أضيف إليها فقبل رجب مضر
وكانوا يرون رجبا أسرع الاوقات لاجابة الدعاء فكانوا يؤخرون الدعاء
على الظالم حتى اذا دخل رجب دعوا عليه فيه * روى ابن عباس أن عمر بن
الخطاب رأى رجلا مبتلى فقال ما رأيت افطع منظرا منه . فقيل له أما تعرفه
يا أمير المؤمنين قال لا . قيل هذا ابن ضبعان السامى الذى دعا عليه عياض .
فقال لعياض اخبرنى خبرك . فقال يا أمير المؤمنين كان بنو ضبعان عشرة وأنا
ابن عم لهم فكنت مستجيرا بهم وجارا لهم فظلمونى وأخذوا مالى عدوانا
فذكرتهم بالله والرحم والجوار فلم ينفذ فأمهلتهم الى دخول رجب فرفعت يدي
الى السماء وقلت

لاهم ادعوك دعاء جاهدا تقتل بنى ضبعان الا واحدا

ثم اضرب الرجل فذره قاعدا اعمى اذا ما قيد أعيى القائدا

وكان ذلك فى الجاهلية فتتابع منهم تسعة ماتوا فى عام واحد وبقي منهم
هذا اعمى رماه الله فى رجليه بما ترى . فقال عمر سبحان الله ان هذا لأمر

(١) الألة الألسنة - والألة الحربة - يقال أله يؤله ألا اذا طعنه

(٢) الأداء ثلاث ليال من آخر الشهر

عجيب . وكانوا قبيل دخول الاشهر الحرم وعند انسلاخها حريصين على الاخذ بالثأر أو انتهاز اغتيال يدعوا اليه الحق والفساد . فقد روى ابن أبي الحديد عن شيخه أبي علي ان الرياشي ذكر أن العرب تسمى آخر يوم من شوال فلتة من حيث أن كل من لم يدرك ثأره فيه فاته ثم قال والذي رواه عن أهل اللغة قول لا نعرفه والذي نعرفه انهم يسمون الليلة التي ينقضي بها آخر الاشهر الحرم ويتم فلتة . وهي آخر ليلة من ليالى الشهر لانه ربما رأى الهلال فوم لتسع وعشرين ولم يبصره الباكون فيغير هؤلاء على أولئك وهم غافلون . فلهذا سميت تلك فلتة (١)

فمن سارعتهم بأخذ الثأر قبيل دخول الشهر الحرام ما كان من عاصم بن المفشعر الضبي فانه لما علم أن الخنيفة الضبي قتل أخاه بيده في آخر يوم من جمادى الآخرة نهض عاصم فبسل دخول رجب وانطلق حتى اذا كان بغناء خباء الخنيفة ناداه مستجدا فلما خرج اليه الخنيفة وسار معه داباه عاصم حتى قاربه ثم قنعه بالسيف فأطار رأسه وقال (العجب كل العجب بين جمادى ورجب) فسارت كلمته مثلاً

فاذا انسليخت الاشهر الحرم كانوا بين حروب أو قدت نارها الاحقاد
وغارات أثارها ملاب الثأر أو السلب أو الميل للفساد وشاهده قول طفيل
الغنوى وهو شاعر جاهلي

ظلمائن أبرقن الخريف وشمته وخفن الهمام ان تقاد قنابله (٢)

يعنى دخلت شهور الحل نخفن ان يغير الهمام عليهن فتسكن ناحيته
وتباعدن عنه . وقد توعد تأبط شرا العوص بقتالهم عند انسلاخ الأشهر
الحرم وذلك انه خرج يوما وصاحبان له حتى أغاروا على العوص من بحيلة

(١) في القاموس الفلتة آخر ليلة من كل شهر أو آخر اليوم من الشهر
الذي بعده الشهر الحرام (٢) أبرقن الخريف رأين برق الخريف - وقال
بعضهم دخلن في برق الخريف و (شمته) أبصرته - والشيم المظر الى البرق
خاصة و (القنابل) جمع قنبلة وهي الجماعة من الخيل

فاخذوا نعماءهم واتبعهم العوص فادركوهم وقد كانوا استأجروا لهم رجالا كثيرة : فلما رأى تأبط شرا ان لا طاقة لهم بهم عدا وتركهما فقتل صاحباه فقال يرثيهما ويتوعد .

لنعم فتى نلتهم كأنت رداءه على سرحة من سرح دومة شائق (١)
فعدوا شهور الحرم ثم تعرفوا قتيل أناس أو فتاة تمانق (٢)
ومع هذا فقد قتل بعضهم بعضا في الشهر الحرام بل وفي الحرم نفسه
لسبب الغضب الذي يملك على العقل زمامه أو الاستهانة بأمر الدين . كما كان من
الشنفري فانه لما قدم منى وبها حرام بن جابر فقتل له هذا قاتل أبيك فقتله
ثم سبق الناس على رجله وقال

قلت حراما مهديا بلبد بيطن منى وسط الحجيج المصوت (٣)
وقد أغار معبد بن زرارة على بنى عامر بن مالك في شهر رجب الحرام
وكذلك قتل ضبة بن اد بن طابخة في الشهر الحرام الحارث بن كعب .
وكان من خبره ما روى ان الحارث لقي سميد بن ضبة وهو غلام قد خرج
في ابل لأبيه قد ضات وكان عليه بردان فاقيه الحارث فسأله برديه فأبى عليه
فقتله ومكث ضبة ماشاء الله ان يمكث . ثم حج فوافى عكاظ فلقى بها الحارث
ابن كعب وعليه بردا ابنه سميد فمرفهما . فقال له هل أنت مخبري عن هذين
البردين . قال بلى لقيت غلاما وهما عليه فسألتها اياهما فأبى علي فقتلته واخذتهما
فقال ضبة بسيفك هذا قال نعم . قال : فاعطني انظر اليه فاني أظنه صارما
فاعطاه الحارث سيفه فلما أخذه من يده هزه . وقال : الحديث ذو شجون
ثم ضربه به حتى قتله . فقتل يا ضبة أفي الشهر الحرام فقال : سبق السيف
العذل فال الفرزدق .

لا تأمنن الحرب ان استعارها كضبة اذ قال الحديث شجون
ومن ذلك قتل البراص بن قيس السكناني عروة الرجال الهوازي في
(١) شائق مشدود (٢) تعرف طلب المعرفة حتى عرف
(٣) المهدي سهيق الهدي وهو ما أهدي الى الحرم

حديث روه وهو ان البراض كان سكيراً فاستقاخلمه قومه وتبرءوا منه فلحق
 بالنعمان بن المنذر بالحيرة وكان النعمان يبعث الى سوق عكاظ بالطيعة (١) لتماع
 فيه ويشترى له بثمانها أدم من أدم الطائف . وكان يرسلها في جوار رجل
 من أشرف العرب . فلما جهز اللطيمة قال من يجيرها فقال البراض أنا أجيرها
 على بنى كنانة فقال له النعمان انما أريد رجلاً يجيرها على أهل نجد وتهامه وكان
 عروة الرحال حاضراً فقال أنا أجيرها لك أبيت اللعن . فقال البراض أتجيرها
 على كنانة فقال نعم وعلى الناس جميعاً أفكذب خايع يجيرها نخر ج فيها عروة
 الرحال وخرج البراض يطلب غفلاته حتى اذا كان بالعالية غفل عروة فوثب
 عليه البراض فقتله في الشهر الحرام فكان ذلك سبب حرب الفجار الثاني (٢)
 فجار البراض وایامه يوم نخلة ثم يوم شمطة ثم يوم العبلاء ثم يوم عكاظ ثم يوم
 الحرية (٣) وهي حرة الى جنب عكاظ كما في الاغانى وكانت حرب الفجار في
 الاشهر الحرم في القاموس (ایام الفجار بالكسر أربعة أفجرة في الاشهر
 الحرم (٤) كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قبس عيلان وكانت
 الدبرة على قيس فلما قاتلوا قالوا فجزنا حضرها النبي صلى الله عليه وسلم
 وهو ابن عشرين وفي الحديث كنت أنبل (٥) على عمومي يوم الفجار
 ورميت فيه بأسهم وما أحب انى لم أكن فعلت) . وقد أخرجه أعمامه
 معهم وقيل لم يقاتل في فجار البراض أى لم يرم فيه بأسهم .

وفي الاغانى ان النبي شهد أيام حرب الفجار الا يوم نخلة وكان يناول

(١) اللطيمة العير التي تحمل الطيب والبز للتجارة (٢) الفجار الاول كانت
 الحروب فيه ثلاثة أيام ولم تسم باسم تشهر بها (٣) الحرية كهيرة . وقد جمل
 السهيلي أيام الفجار خمسة أفجرة فزاد فيه يوم الشرب قال وهو أعظمها يوماً
 وفيه قيد حرب وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كى لا يفروا فسموا
 العنابس (٤) استظهر الحلبي في سيرته ان حرب الفجار لم تكن في الشهر
 الحرام بل كانت في شوال وقيل في شعبان (٥) أنبل على عمومتى أى أرد
 عليهم نبل عدوهم اذا رموهم بها

عمره وأهله النبيل وعمره يومئذ عشرون سنة وطمعن عليه السلام أبا براء ملاعب
الأسنة وسئل عن مشهده يومئذ فقال (ما سرتني اني لم أشهده انهم تعدوا
على قومي عرضوا عليهم ان يدفعوا اليهم البراض صاحبهم فأبوا)

ولقد رد الجاحظ في الحيوان على من يعترض كون النبي شهد هذه الحرب
بقوله (ولا يزال الطاعن بقول قد علمنا ان العرب لم يسموا حروب ايام
الفجار بالفجور وفريشا خاصة الا ان القتال في البلد الحرام كان عندهم فجورا
وتلك حروب قد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم وآله وهو ابن أربع عشرة
سنة وابن أربع عشرة سنة يكون بالغاً . وقال شهدت الفجار مكنت أنبل
على عمومي (وجوابها في ذلك) ان بى عامر بن صعصعة طالعوا أهل
الحرم من قريش وكثافته بحريرة البراض بن قيس في قتله عروة الرحال . وقد
عاموا انهم يطالبون من لم يجن ومن لم يعاون وان البراض بن قيس كان قبل
ذلك خابعا مطرودا فأتوهم الى حرمهم يلزمونهم ذنب غيرهم فداوموا عن أنفسهم
وعن أموالهم وعن ذراريتهم والفاجر لا يكون المسعى عابه . ولذلك أشهد
الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ذلك الموقف وانه نصره كما
نصرت العرب على فارس يوم ذى قاربه عليه الصلاة والسلام ومخرجه)

وخالف السهيلي الجاحظ فانكر قتال النبي فيها بقوله « وانما لم يقاتل
رسول الله مع أئمه و كان بذل عليهم وقد كان بلغ من القتال لأنها كانت
حرب فجار وكانوا أيضا كافرا ولم يأذن الله تعالى لمؤمن ان يقاتل بها
الا لتكون كلمة الله هي العليا » وانى لأعجب من السهيلي في قصره المقاتلة
على الرمي بالسهم أو الطعن بالرمح مع ان من كان بذل على المقاتلة مشترك
في القتال ومعين عليه . ودعواه ان الله لم يأذن لمؤمن في القتال الا لأغلاء
كلمته مردودة لأن القتال كما يكون لذلك يكون لدفع الظلم والفساد

وكون الأشهر الحرم أربعة كما قدمنا مذهب أكثر العرب ومنهم قوم
لم يقفوا عند شريعة ابراهيم فتجاوزوا حدود الله وزادوا في الدين فجعلوا
الأشهر الحرم ثمانية وهو (البسل) قال في القاموس البسل ثمانية أشهر حرم

كانت لقوم من غطفان وفيس . وذكرا بن اسحاق بن مرة بن عوف وهم قوم دخلوا في نسب غطفان فقال وفيهم كان البسل فيما يرعمون بسببهم ثمانية أشهر حرم لهم من كل سنة من بين العرب . قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونها ولا يدفعونه يسرون به الى أي بلاد العرب شاءوا لا يخافون منهم شيئا :
السنى

ولما كانت العرب تدين بدن ابراهيم من تحريم الفبال في الاربعة الأشهر الحرم ذى القعدة وذى الحجة والمحرم وشهر رجب وكانوا يحاولون لشن الغارات وتلب الثارات كرهوا يأتوا في ثلاثة أشهر لا يغزون فيها وأخذوا النساء وكانوا يسألونهم تأخير حرمة المحرم الى صفر قاله أبو علي القالى في أماليه (١) وقال أبو عبيد انهم اذا احتاجوا للحرب في المحرم أحروا شهره الى صفر ثم يؤخرون صفر في سنة أخرى . وكانت النساء من بني فقيم بن عدى بن عامر بن نعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة قال الشاعر .

أزعم اني من فقيم بن مالك لعمرى لقد غيرت ما كنت اعلم
لهم ناسي يمدون تحت لوائه يحل اذا شاء الشهور ويحرم
أما مكان السنى وذكر انه كان جرة العقبة وكان يقف عندها الناس
اذا صدر الحاج من منى فيقول اللهم اني ناسي الشهور وواضعها ولا أعاب
في أمري ولا يرد لي قضاء اللهم اني قد أحللت دماء المحايين من طي وحشم (١)
ماقتلوهم حيث تقفتموهم — فيسألونه أن يدسهم شهرا فان قال ان آلهتكم قد
(١) عبارته تقضي ان السنى لا يكون في رجب لانه فرد وخالفه
الفيروز نادی في القاموس لقوله (التلمس رجل كنان من ساء الشهور
كان يقف عند جرة العقبة ويقول اللهم اني ناسي الشهور وواضعها مواضعها
ولا أعاب ولا أجاب اللهم اني قد أحللت أحد المسلمين وحرمت صفر المؤخر
وكذلك في الرجيين يعني رجبا وشعبان اتقروا على اسم الله)
(٢) أحل دماءهم لأنهم كانوا محايين يمدون على الناس في الشهر الحرام

أحلت لكم المحرم فأحلوه عقدوا الاوتار وركبوا الازجة واغاروا وان قال ان الهنكم قد حرمت عليكم المحرم خرموه حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة وذكر المقریزی أن الناسی كان يقوم على باب الكعبة اذا فرغت العرب من حجها فيقول لهم : ان آلهتكم العزی قد انسأت صفرا الاول وكان يحله عاما ويحرمه عاما وكان اتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم وتيم تلك عبارته فلعل الناسی كان ينسی مرتين مرة عند جرة العقبة وأخرى على باب الكعبة وحصر الناسی ابن هشام فقال وكان أول من نسا الشهور على العرب فأحلت منها ما أحل وحرمت منها ما حرم القامس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد بن حذيفة ثم قام بعد عباد قلع (١) بن عباد ثم قام بعد قلع أمية بن قلع ثم قام بعد أمية عوف بن أمية ثم قام بعد عوف أبو ثامة جنادة بن عوف وكان آخرهم . وعليه قام الاسلام . فجعلهم ستا يقوم الولد بالامر بعد والده

وذهب المقریزی الى أن أول ناسی سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك ابن كنانة ثم من بعده ابن أخيه القامس وهو عدى بن عامر بن ثعلبة ثم صار النسيء في ولده الى آخرهم أبو ثامة جنادة بن عوف . وذكر أبو بكر الانباري ان من النساء نعيم بن ثعلبة وتعقبه السهيلي بان هذا ليس بمعروف وفي صبح الاعشى ان أول من نسا النسيء عمرو بن لحي وهو أبو خزاعة (٢) ولقد أكثر الشعراء من بنى كنانة الافتخار بالنساء من ذلك قول بعضهم — ومننا ناسیء الشهر القامس — وقال غيره

سئوا الشهور بها وكانوا أهلها من قبلكم والعلم يتحول
وقال عمير بن قيس جذل الطعان الكنانی

(١) نقل السهيلي عن ابن السكبي انه قال فنسا قلع بن عباد سبع سنين ونسا بعده أمية بن قلع احدى وعشرين سنة ثم نسا من بعده جنادة وهو القامس أربعون سنة (٢) جميع من ذكر النسيء بهذا المعنى جعل النساء من بنى كنانة فلعل عمرو بن لحي مبتدع النسيء بمعنى تأخير الحج عن وقته

أقد علمت معدان قومي كرام الناس ان لهم كراما (١)
 فأى الناس فاتونا بوتر وأى الناس لم نملك لجاما (٢)
 ألسنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما

وهناك نوع ثان من النسيء، وهو تأخير الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية لأن وقت الحج في دين ابراهيم في شهر ذى الحجة . وهو شهر هلالى يدور في كل فصل من فصول السنة . فأرادوا وقوع حجهم حين يعتدل الزمان وتذكر الفاكية والغلال ليأدوا مناسكهم ويتجروا ببصائعهم
 فقد كانت تقام في أشهر الحج ثلاث أسواق كبرى مجمة بالظهران وعكاظ بين نخلة والطائف تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما وذو الحجاز بالجانب الايسر من عرفة على فرسخ منها وتنقضى اليوم الثامن من ذى الحجة فأخروا الحج في كل سنة احد عشر يوما لموافقة السنة الشمسية ففسدوا المحرم الى صفر وصفرا الى ربيع الاول وهكذا فوقع الحج في السنة الثانية في عاشر المحرم وصار في اعتبارهم ذا الحجة وآخر شهور السنة وصار في السنة محرمان ثانيهما للنسيء وصارت عدة الشهور ثلاثة عشر ثم بعد مرور سنتين أو ثلاث نقلاوا الحج للشهر الذى يليه . فكانوا يديرون النسيء على جميع شهور السنة فيكون لهم في سنة صفران وفي أخرى ربيعان وهكذا وهذا مصداق قول مجاهد كانت الجاهلية يحجون في كل شهر من شهور السنة وفي المثل للشهر ستانى ، كانوا يكبسون في كل عامين شهرا وفي كل ثلاثة أعوام شهرا . وكانوا اذا حجوا في شهر من هذه السنة جعلوا يوم التروبة (٣) ويوم عرفة ويوم النحر كهيئة ذلك في شهر ذى الحجة فيكون يوم المحرم عاشر ذلك الشهر

وانكر المرحوم محمود باشا الفلكى معرفة العرب للنسيء بهذا المعنى وقد

(١) أى ان لهم آباء كراما واخلاقا كراما (٢) تقول اعلمت الفرس لجامه اذا رددته عن تنزعه فمضغ الاجام كالملك من نشاطه يعنى أى الناس لم يسكنهم كما تكف الفرس بالاجام (٣) هو اليوم الثامن من ذى الحجة

نقص دليله عند الكلام على علم الفلك من كتابي (علوم العرب في الجاهلية)
ومن لطيف الاشارات في الرد عليه ما نقله السهيلى عن شيخه أبى بكر في قوله
تعالى (يسئلك عن الأهل فل هي موايت للناس والحج) قل « وحسن الحج
بالذكر دون غيره من العبادات الموقنة بالآوقات بأ كيدا لا اعتباره بالأهل
دون حساب الاعاجم من أجل ما كانوا أحدثوا في الحج من الاعتبار بالشهور
المعجمية » . وقد حرم الله تعالى النسيء بقوله عليه السلام في خطبة حجة الوداع
« اد الزمان قد افسدنا زمانه فليكن يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر
شهرا - منها أربعة حرم ثلاثة من ايات دوافع وذو الحجة والحرم . ورجب
مصر (١) الذى بين جمادى وشعبان ثم تلا قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله
اثنا عشر شهرا (٢) في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم
ذلك الدين القيم فلا تظنوا فيهن أنفسكم . وقالوا المشركين كافة كما يقابلونكم
كافة واعصوا الله مع المتقين انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين
كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما (٣) ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا
ما حرم الله (٤) رين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين
والمعنى لقد نادى الحج في دى الفعدة وبطل النسيء بنوعيه لما فى أحدهما
من كون السنة ثلاثه عشر شهرا ولما فى الثانى من عدم توالى الملااة الاشهر الحرم

(١) قال المروى فانوا كان بين بين مضر وبين ربيعة اختلاف في رجب
فكانت مضر تجعل رجا ما بين جمادى وشعبان وكان ربيعة تجعله رمضان
فلهذا أصابه النبي صلى الله عليه وسلم وقال السهيلى انما قال رجب مصر لان ربيعة كان
يحرم في رمضان وتسميه رجا من رجب الرجل ورجبته اذا عظمت (٢) أى
لا ثلاثة عشر شهرا كما كانوا يفعلون لموافقة السنة الشمسية (٣) أى يحلون
الشهر من الاشهر الحرم عاما ويحرمونه عاما - وهذا يصدق على النسيء بنوعيه
(٤) يواطئوا أى يوافقوا والمعنى ليوافقوا العدة الى هى الاربعة وقاتهم
التخصيص الذى هو أحد الواجبين

الحج - أحكام الاحرام به ^(١) الحس

فرض حج البيت في دين ابراهيم وأمر بتبليغه فنأدى أيها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج الى البيت العتيق ثم حج معه اسماعيل حجة كحجة الاسلام وقد ذكر ابن الأثير في السكامل كيفية حجه فقال . ثم خرج ابراهيم باسماعيل معه الى التروية فنزل به منى . ومن معه من المسلمين مائة . صلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة . ثم بات حتى أصبح فبدأ بهم الفجر ثم سار الى عرفة فقام بهم هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر . ثم راح بهم الى الموقف من عرفة الذي يقذف عليه الامام فوقف به على الأراك (٢) فلما غربت الشمس دفع به ومن معه حتى أتوا المزدلفة لجمع بها الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ثم بات بها ومن معه حتى اذا طلع الفجر صلى الفداة ثم وقف على قزح حتى اذا استند دفع به وعن معه يريه ويعلمه كيف يصنع حتى رمى الجمرة وأراه المنحدر ثم نحر وحاق وأراه كيف يطوف ثم عاد به الى منى ليريه كيف رمى الجمار حتى فرغ من الحج . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل هو الذي أرى ابراهيم كيف يحج

تلك عبارة ابن الأثير ومقتضى ما في السلوات الخمس شرعت في دين ابراهيم ولم أر غيره نقل ذلك الا أن الرواية ذكر في شرح مسلم أن المزدلفة سميت بجمع لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء ومقتضى ما أنهم كانوا يمسكونها لأن علة التسمية تبقاها بعد ما كانت بذلك في الجاهلية . وقد كانت العرب تحج بيت الله الحرام وشاة أو ركبانا ومنها من كان ينذر حجه لقول أبو طالب

ومن حج بيت الله من كل راكب ومن كل ذي نذر ومن كل راجل (٣)
(١) الاحرام بالحج الدخول في اعماله لان الحاج يحرم على نفسه أشياء من الحلق وتقليم الاظفار ومباشرة النساء وقتل الصيد وغير ذلك ويقابله الاحلال (٢) الأراك كسحاب موضع بعرفة قرب نمرة (٣) روى السيوطي في اسباب النزول عن مجاهد قال . كانوا لا يركبون ورخص لهم فيه بقوله تعالى « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »

ومنه من كان لا يتكلم في الحج تقربا لله تعالى روى البخارى في صحيحه بسنده عن قيس بن أبى حازم قال دخل أبو بكر على امرأة من أحبس يقال لها زينب فرآها لا تكلم فقال ما لها لا تكلم قالوا حجت مصمتة . قال لها تكلمي فان هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية فتكلمت وهم ينقسمون بالنسبة لأعمال الحج ثلاثة أقسام .

القسم الاول : من كانوا على دين ابراهيم لم يبدلوا فيه وحج هؤلاء موافق لما كان عليه أسلافهم الى زمن ابراهيم
القسم الثانى من بدلوا دين ابراهيم فأدخلوا عليه تعظيم الاصنام وهؤلاء خلطوا أعمال الحج المشروعة فى دين ابراهيم بالتقرب للاوثان من الاهلال بالحج عندها أو التحليل لديها أو غير ذلك

القسم الثالث : من ميزوا أنفسهم عن سواهم فلم يشتركوا مع غيرهم فى كل أعمال الحج كما فعلت قريش ومن تبعهم فى رأيهم وامتازوا بأمور ابتدعوها فسموا حمسا (١) وغيرهم الحلة فقسموا العرب بفعلهم الى حلة وحس . وبين ابن اسحاق مادعا قريشا لا بتداع النحس فقال

وقد كانت قريش لا أدري قبل الفيل أو بعده (٢) ابتدعت رأى الحس رأيا رأوه وأداروه فقالوا نحن بنو ابراهيم وأهل الحرم وولاة البيت وقطان مكة وساكنوها . فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا . ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا . فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتمكم . وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والافاضة منها وهم يعرفون ويقرون انها من المشاعر والحج ودين ابراهيم ويرون لسائر العرب

(١) فى القاموس الحس لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم فى الجاهلية لتحمسهم فى دينهم أى شددهم أو لالتجائهم بالحساء وهى الكعبة لان حجرها ابيض الى السواد (٢) ذهب ابن الاثير الى ان قريشا ابتدعوا رأى الحس بعد الفيل

أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها . الا انهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن المحسن - والمحسن أهل الحرم - ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم اياهم يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم . وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك »

ومن المحسن أيضا جديلة قيس كما حكاه النووي . وقال أبو عبيدة النحوي أن بني عامر بن صعصعة تبعوا قريشاً في رأى المحسن . وذكر ابن العربي أن منصور بن عكرمة تزوج حفصة بنت سلمى بنت ضبيعة بن علي بن يعمر بن قيس بن عيلان فولدت له هوازن فرض مرضاً شديداً فنذرت سلمى أن يرى لتحمسنه فاما يرى حمسته وعليه فهو اذن من المحسن أيضا

وروا أن الرجل من أهل الجاهلية اذا أحرم تقلد قلادة من شعر فلا يتعرض له أحد . فاذا حج وقضى حجه تقلد قلادة من اذخر . وقيل كانت الرجل يقلد بعيره أو نفسه قلادة من لحاء شجر الحرم فلا يخاف من أحد ولا يتعرض له أحد بسوء

وعن قتادة في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد قال جعلها حواجز وأبقاها الله بين الناس في الجاهلية فكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يتناول ولم يقرب وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام لم يتعرض له ولم يقربه وكان الرجل اذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فأحتمه (١) ومنعته من الناس وكان اذا نذر تقلد قلادة من الاذخر أو من لحاء الشجر فمنعته من الناس حتى يأتي أهله حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية

قال ابن عباس رضى الله عنه وكان ذو المجاز وعكاظ متجراً للناس في الجاهلية فلما جاء الاسلام كأنهم كرهوا ذلك ظناً منهم انها تحل باخلاص العمل حتى نزل قوله تعالى « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم »

(١) أحتمه جعلته حتى لا يقرب

ومنهم قوم استحبوا الحج بلا زاد وقالوا نحن المتوكلون وكانوا يضيفون على الناس (١) حتى نزل قوله تعالى « وتزودوا فان خير الزاد التقوى »
 وابتدعت الخمس في الحج من باب التزهّد والتأله أشياء حكّاها ابن العربي من حديث ابن اسحاق بسنده عن ابن عباس قال فلم تكن نساء الخمس ينسجن ولا ينزلن الشعر ولا يسلّان السمن (٢) اذا أحرمن . وكانت الخمس اذا أحرمن لا يأقطن الا قط ولا يأكلون السمن ولا يسلّثونه ولا يمحضون اللبن ولا يأكلون الزبد ولا يابسون الوبر ولا الشعر ولا يستظلون به ماداموا محرمين ولا ينزلون الشعر ولا الوبر ولا ينسجونه وانما يستظلون بالأدم . ولا يأكلون شيئاً من نبات الحرم وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ولا يخفرون فيها بذمة ويطوفون بالبيت وعليهم ثيابهم . وكانوا اذا أحرّم الرجل منهم في الجاهلية وأول الاسلام فان كان من أهل المدر بعى من أهل البيوت والقرى نقب نقباً في ظهر بيته فنه يخرج ولا يدخل من بابه وكانت الخمس اذا أحرمت وأرادت دخول بيتها تسورت من ظهور البيوت وأدبارها ويحرمون الدخول من أبوابها حتى يمّث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فاحرم عام الحديبية ودخل بيته من بابه . وكان معه رجل من الانصار فوقف بالباب فقال له ألا تدخل فقال الانصارى أنا أحس يا رسول الله فقال رسول الله وأنا أحس دينى ودينك سواء فدخل الانصارى مع رسول الله لما رآه دخل بابه . فأنزل الله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) . وخالف التبريزى في شرح حماسه أبى تمام . فقال (وكان الرجل اذا أحرّم قبل الحج فان كان من أهل المدر اتخذ نقباً في ظهر بيته فنه يدخل ويخرج ولا يدخل من باب بيته ولا يخرج منه ويتخذ سله يصعد فيه وينحدر - وان كان من أهل الوبر دخل من خلف البيت الا أن يكون من الخمس فدخل رسول الله وهو محرم من باب بنى بنيانا واتبعه رجل من أهل الاسلام يقال له قطبة بن عامر أحد بنى سلمة ولم يكن من الخمس فدخل

(١) ضفته أضيفه نزلت عليه ضيفاً (٢) سلاء السمن طبخه وعلاجه

معه فأذكر ذلك عليه وقال اجتنبني فانك محرم وقد دخلت من الباب فقال
يارسول الله وأنت محرم فقال له اني أحس فقال الرجل ان كنت أحسباني
أحسبى رضيت بهديك وسنتك ودينك فنزل وليس البر بأن تأتوا البيوت من
ظهورها الآية)

فأنت ترى ان بين عبارتهما اختلافا ظاهرا فقد ذهب ابن العربي الى ان
الحمس لا يدخلون البيوت ولا يخرجون منها من أبوابها وناقضه التبريزي فأجازه
للحمس كما اختلفا في سبب نزول الآية فجعل التبريزي النبي منكرا على الرجل
متابعته في دخول البيت من بابه لانه أحس والرجل ليس بأحس وجعله ابن
العربي أمرا له بأن يتابعه في الدخول . وبالرجوع لتفسير ابن جرير الطبري ترى
الروايات مختلفة هذا الخلاف أيضا . ونحن اذا رجحنا رواية ابن العربي بأن
قريشا أولى بتحريم دخول البيوت من أبوابها لانهم اخترعوا النحس في
الدين وهو التشدد وفي هذا من التشدد ما فيه وجدنا رواية التبريزي يرجحها
أن قريشا كانت ترى نفسها معزوزة الجانب عند الله لا يحول بينها وبين الرحمات
التي تنزل من السماء سقف ولا غيره حتى سموا أنفسهم آل الله ولا كذلك غيرهم
ويناسب هذا انها لا تحرم كغيرها دخول البيوت من أبوابها في حج ولا عمرة
لمكانها من الله ويعززه رواية الزهري ان ناسا من الانصار اذا أهلوا بالعمرة
لم يحل بينهم وبين السماء شيء ينخرجون من ذاك فلا يدخل أحد منهم من باب
الحجرة من أجل سقف الباب أن يحول بينه وبين السماء وكانت الحمس لا يبالون
ذلك . وحسبنا في الكلام على أديان العرب ونحلهم ان هذا مذهب قوم من
العرب في حجهم وعمرتهم . وللحديث على الحمس بقية تذكر عند الكلام على
الطواف بالبيت والوقوف بعرفة

قال الجاحظ في الحيوان : وكانوا في الاحرام يابدون شعورهم . والتلبيد
أن يأخذ شيئاً من خطمي وآس وسرو وشيئاً من صمغ فيجعله في أصول
شعره وعلى رأسه كي يتلبد شعره ولا يفرق ويدخله الغبار ويختم فيقمل
قال شاعرهم

يارب رب الراقصات عشية بالقوم بين منى وبين ثبير (١)
 وحف الرواح تراقصت تمشى بهم يحملن كل ملبد مأجور (٢)
 وكانوا فى الاحرام يكرهون تسريح الشعر وقتل القمل . قال عبد الله بن
 العجلان النهدي

انى وما مار بالفريق وما قرقر بالجلهتين من شرب (٣)
 من شعر كالليل يذبذ بالقم ل وما مار من دم سرب (٤)
 وقال أمية بن أبى الصلت
 ساجى أياطلهم لم ينزعوا تفثا ولم يسلوا لهم قلا وصئبانا (٥)

التلبية - الطواف بالبيت - السعى - الوقوف بعرفة

كانوا يهللون ويلبون فى الحج وشاهد التهليل قول نبيه بن الحجاج
 اننى والذى يحج له شم ط اباد وهللوا تهليلا (٦)
 ومبيتا بذى المجاز ثلاثا ومتى كان حجنا تحليلا (٧)

وشاهد التلبية قول ابى المنذر « وكانت نزار تقول اذا ما أهلت لبيك اللهم
 لبيك . لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك . فيوحدونه
 بالتلبية ويدخلون معه آلهتهم ويجمعون ملكها بيده . قال تعالى (وما يؤمن

(١) الراقصات الابل تسير الخبب و (ثبير) جبل بجوار مكة (٢) وحف
 الرواح الوحف الاسراع و (الرواح) العشى أو من الزوال الى الليل أى مسرعة
 ذلك الوقت (٣) مار الشعر تحرك و (الفريق) الطائفة من الناس أكثر من
 الفرقة ويريد جماعة الحاج و (ماقرقر) أى وبعير هدر و (جلها الوادى) جانباه
 و (من شرب) أى من عطش وفعله شرب كفرح (٤) مار الدم جرى
 و (سرب) جار (٥) ساجى فعله سجا سجا سجا سكن ودام و (أياطل) جمع
 أياطل والاياطل الخاصرة و (التفث) فى المناسك الشعث وما كان من نحو قصص
 الاغفار والشارب وتنف الابط وغير ذلك و (الصئبان) بيض القمل مفردة
 الصئابة كغرابة (٦) هلى قال لا اله الا الله (٧) التحليل يستعمل فى كل

أكثرهم بالله الا وهم مشركون) اى ما يوحدوننى بمعرفة حتى الا جعلوا معى شريكاً من خلقى . وكانت تلبية عك اذا خرجوا حجاجاً قدموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانهم فكانا امام ركبهم . فيقولان — نحن غرابا عك (١) — فتقول عك من بعدهما

عك اليك طانيه عبادك اليمانيه

كيا نحج الثانيه

وكانت ربيعة اذا حجت فقضت المناسك ووقفت فى المواقف نفرت فى النفر الأول ولم تقم الى آخر التشريق . « وروى مسلم ان ابن عباس قال (كان المشركون يقولون لبيك لا شريك لك قال فيقول رسول الله . ويلكم قد. قد (٢) فيقولون الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت) ولما جاء الاسلام عدل المسلمون عما يدل على الشرك الى غيره حتى هداهم الدين لما يقولون قال عمرو بن معديكرب : الحمد لله لقد رأيتنا من قريب ونحن اذا حججنا نقول :

لبيك تعظيماً اليك عمراً نغدوا بها مضمرات شُرراً (٣)

قد تركوا الاوطان خلوا صفراً

ونحن نقول اليوم كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وكان لا يشرك فى تلبيته مع الله أحداً من كان على دينه السماوى وجانب الاوثان مثل زيد بن عمرو بن نفيل فلقد كان يستقبل الكعبة ويقول :

لبيك حقاً حقاً تعبداً ورقاً

عذت بما عاذ به ابراهيم مستقبلاً القبلة وهو قائم اذا قال

شئ لم يبالغ فيه (١) أغربة العرب سودانهم (٢) قد . تكون اسماً بمعنى حسب أو اسم فعل بمعنى يكنى أو كنى (٣) العمر بالفتح وبالضم وبضممتين الحياة أى طول الحياة و(الضمير) بالضم وبضممتين الهزال و(الشُرر) النظر عن يمين وشمال وشُرر جمع شُرراء

أَنْفَى لَكَ اللَّهُمَّ عَانَ رَاغِمٍ مَهْمَا نَجْشَمِي فَاثِي جَاشِمِ (١)
 الْبَرِّ الْغَمِي لَا الْخَالِ لَيْسَ مَهْجَرٌ كَمَنْ قَالَ (٢)
 وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَطُوفُونَ فِي الْحَجِّ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ (٣) قَالَ مِضَاذُ بْنُ
 عَمْرٍو: بِنِ الْحَارِثِ الْجَرْمِيِّ

وَنَحْنُ وَلِيْنَا الْبَيْتَ مِنْ بَعْدِ نَابِطٍ لَطُوفٍ بِذَلِكَ الْبَيْتِ وَالْخَيْرِ حَاضِرٍ (٤)
 وَبِحَمَاوَنَ نِزَوَافِهِمْ سَبْعَا قَالَ حَسَانُ بْنُ سَبْعٍ

ثُمَّ دَامَنَا بِالْبَيْتِ سَبْعَا وَسَبْعَا وَسَجَدْنَا عِنْدَ الْمَقَامِ سَجُودَا
 وَفِي قَوْلِ حَسَانٍ وَسَجَدْنَا عِنْدَ الْمَقَامِ سَجُودَا دَلِيلٌ عَلَى إِحْتِرَامِهِمْ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ
 وَتَقْدِيرِهِ وَقَدْ أَقْسَمَ بِهِ أَبُو طَالِبٍ فِي قَوْلِهِ

وَمَوْطِيَّ إِبْرَاهِيمَ بِالصَّخْرِ رَطْبَةً عَلَى قَدَمِيهِ حَافِيَا غَيْرِ نَاعِلٍ
 وَلَمْ تَكُنْ عِمَادَةُ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ عِنْدَهُمْ مَقْصُورَةً عَلَى فَرِيضَةِ الْحَجِّ .

وَكَانُوا يَتَسَجَّدُونَ بِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَشَاهَدَهُ قَوْلُ أَبِي طَالِبٍ

وَبِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ إِذَا يَسْجُدُونَ إِذَا اكْتَنَفُوهُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ (٥)

(١) رَغِمَ أَنْفُهُ ذَلِكَ وَ (نَجْشَمِي) تَكْلَفِي عَلَى مَشَقَّةٍ (٢) فِي رَوَايَةٍ : الْبَرُّ أَبْنَى
 وَ (الْخَالِ) الْخَيْلُ وَالْكَبَرُ وَ (هَجَرٌ) مَشَى فِي الْهَاجِرَةِ أَيْ لَيْسَ مِنْ هَجَرٍ
 وَذَلِكَ كَمَا فِي آثَرِ الْفَائِلَةِ وَالْيَوْمِ (٣) قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ حُجَّةِ اللَّهِ الْبَالِغَةِ فِي
 سِرِّ إِحْتِرَامِ الْبَيْتِ « وَأَمَّا الْكَعْبَةُ فَكَانَ النَّاسُ فِي زَمَنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 نَوَغُوا فِي مَاءِ الْمَعَابِدِ وَالْكَنَائِسِ بِاسْمِ رُوحَانِيَةِ الشَّمْسِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْكُفْرِ الْكَبِيرِ
 وَكَانَ عِنْدَهُمُ التَّوْحِيدُ إِلَى الْخَيْرِ غَيْرِ الْخُسُوسِ بِدُونِ هَيْكَلٍ يَبْنِي بِاسْمِهِ يَكُونُ
 الْخَلُوفُ فِيهِ وَالنَّاسُ بِهِ يَقْرَبُونَهُ أَمْرًا مُحَالًا تَدْفَعُهُ عَقُولُهُمْ بِأَدَى الرَّأْيِ
 فَاسْتَوْجَبَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ أَنْ يَظْهَرَ رَحْمَةُ اللَّهِ بِهِمْ فِي صُورَةِ بَيْتٍ يَطُوفُونَ
 بِهِ وَبِمُتَرَبِّونَ بِهِ إِنْ أَلَّ اللَّهُ فَدَعَوْا إِلَى الْبَيْتِ وَتَعْظِيمِهِ ثُمَّ نَشَأَ قَرْنٌ بَعْدَ قَرْنٍ عَلَى
 عِلْمٍ أَنَّ تَعْظِيمَهُ مَسَاقُوقٌ لِعَظِيمِ اللَّهِ وَالتَّفْرِيطُ فِي حَقِّهِ مَسَاقُوقٌ لِلتَّفْرِيطِ فِي حَقِّ
 اللَّهِ فَعَمِدَ ذَلِكَ وَجِبَ حُجَّتُهُ وَأَمَرُوا بِتَعْظِيمِهِ (٤) كَانَتْ وَلَايَةُ الْبَيْتِ لِنَابِطٍ
 مِنْ أَعْدَادِ إِسْمَاعِيلَ ثُمَّ سَارَتْ بَعْدَ الْجُرْمِ (٥) قَالَ السَّهِيلِيُّ قَوْلَهُ بِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ

ومن العرب من كان يطوف بالبيت طاريا حكى ابن هشام في سيرته وابن العربي أن قريشاً لما ابتدعت رأى الحمس قالوا لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل الى الحرم اذا جاءوا حججا أو عمارا ولا يطوفوا بالبيت اذا قدموا أول طوافهم الا في ثياب الحمس يستعبرونها منهم للطواف بها حتى انهم كانوا يقفون عند باب المسجد فيقولون للحمس من يعبر معوزا من يعبر مصونا فان أعاره أحس ثوبه طاف به فان لم يجسدوا طافوا بالبيت عراة فان أنف منهم أحد من رجل أو امرأة أن يطوف عربا اذا لم يجد ثياب الحمس فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل القاها اذا فرغ من طوافه ثم لم ينتفع بها ولم يمسه هو ولا احد غيره ابدا وكانت العرب تسمى هذه الثياب اللقي - قال شاعرهم يذكر شيئا تركه من ثيابه فلا يقربه وهو بحمه

كفى حزنا كرى عليها كآبها لقي بين أئدى الطائفين حريم (١)

فكان رجال الحل اذا لم يعرهم الحمس ثوبا طافوا عراة اما النساء فكانت أحدهن تضع ثيابها كلها الادراعا مفرجا ثم تطوف فالت صماعة (٢) بنت عامر ابن صعصعة ثم من بنى سامة بن قشير وهي تطوف بالبيت كذالك اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله (٣)

وروى مسلم بسنده عن هشام عن ابيه قال كانت العرب تطوف بالبيت عراة الا الحمس - والحمس قریش وما ولدت - كانوا يطوفون عراة الا ان يعطيهم فيه زحاف يسمى الكف وهو حذف النون من مناعيلين وهو بعد الواو من الأسود و (الاصائل) جمع أصيلة والاصل جمع اصيل والاصيلة لغة معروفة في الاصيل وهو ما بعد صلاة العصر الى الغروب (١) حريم اي محرم لا يؤخذوا ينتفع به (٢) ذكر محمد بن حبيب ان رسول الله خطبها فذكرت له عنها كبرة فتركها فقل انهما ماتت كمدا وحزنا على ذلك قال السهيلي : ان كان صح هذا فما آخرها عن أن تكون اما للمؤمنين وزوجا لرسول رب العالمين الا قولها (اليوم يبدو بعضه أو كله) تكرمة من الله لنبيه وعلما منه بغيرته والله أغير منه (٣) رواية . وما بدا منه فما أحله

الحمس ثيابا فيعطى الرجال الرجال والنساء النساء — فانزل الله على رسوله فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عراة وحرّموا ما جاءوا به من الحل من الطعام « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين »

على أن من العرب من كان يطوف بالبيت مكشوف السوأة في غير الحج لغرض يقصده فمن ذلك ما ذكره البغدادى في خزانة الادب قال : مرض أبو جندب وهو شاعر جاهلى وكان له جار من خراة اسمه خاطم فقتله زهير اللحياني وقتلوا امرأته فلما برى أبو جندب من مرضه خرج من أهله حتى قدم مكة فاستلم الركن وكشف عن استه وطاف فعرف الناس أنه يريد شرا فقال انى امرؤ أبكى على جاريه أبكى على الكعبي والكعبيه ولو هلك بكيا عليه كانا مكان الثوب من حقويه

فلما فرغ من طوافه وقضى من مكة حاجته خرج فى الخلاء من بكر وخزاعه فاستجاشهم على بنى لحيان فخرجوا معه حتى صبح بهم بنى لحيان فى العرج فقتل فيهم وسي من نسائهم وذرايرهم

وقد أمسك رسول الله عن الحج حين قدم من تبوك لما ذكر مخالطة المشركين للناس فى حجهم وتلبيتهم بالشرك وطوافهم عراة بالبيت وبعث ابا بكر بسورة براءة لينبذ الى كل ذى عهد عهده من المشركين الا بعض بنى بكر الذين كان لهم عهد الى أجل خاص ثم أردف لعلى . قال أبو هريرة فأمرنى على أن أطوف فى المنازل من منى براءة فكنت أصيح حتى صحل حلقى (١) فقيل له بم كنت تنادى فقال بأربع الا يدخل الجنة الا مؤمن والا يحج بعد هذا العام مشرك والا يطوف البيت عريان ومن كان له عهد فله أجل أربعة أشهر ثم لا عهد له — وكان المشركون اذا سمعوا النداء براءة يقولون لعلى سترون بعد الأربعة أشهر بأنه لا عهد بيننا وبين ابن عمك الا الطعن

(١) صحل صوته يح . رووا أنه انما أرسل علياً بذلك لان العرب لا تعتد

برسالة الامير الا اذا كان المرسل بها من أهله

والضرب ثم ان الناس في تلك المدة رغبوا في الاسلام حتى دخلوا فيه طوعا
وكرها وحج رسول الله في العام القابل وحج المسلمون وقد عاد الدين كله
لله رب العالمين

لقد علمت انقسام العرب بالنسبة للطواف في ثيابهم الى حلة وحس قال
محمد بن حبيب - وهناك نوع ثالث وهم الطلس كانوا يأتون من أقصى اليمن
طلسا من الغبار فيطوفون البيت في تلك الثياب الطلس فسموا بذلك

اما الرمل (١) في الثلاثة الاشواط الاولى من الطواف بالبيت والاضطباع (٢)
فيه فهو من سنن الاسلام وأصله ان النبي رمل وندب أصحابه اليه لظهار
الجلد للمشركين وابداء القوة لهم فانه لما قدم مكة اضطفت كفار قريش عند
دار المدوة ينظرون له ولأصحابه ويستضعفونهم ويقولون أوهنتهم حتى يثرب
فلما دخل رسول الله المسجد اضطبع بردائه ورمل . ومقتضاه عدم سننائه
بمدأن أظهر الله الاسلام لكن ثبتت سننائه بما روى عن ابن عمر أنه قال كان
رسول الله اذا طاف بالبيت الطواف الاول خب نلائوا مشى أربعاء وكذا أصحابه
رملوا من بعده وكذا المسلمون الى يومنا هذا فصار الرمل سنة متواترة

وكانوا في الجاهلية يسمعون بين الصفا والمروة وشاهده قول أبي طالب

واشواط بين المروتين الى الصفا وما فيهما من صورة وتمائل (١)

وكان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة - وهما صفتان فكانوا يسمعون
بينهما ويتمسحون بهما وكان عمرو بن لحي نصب مناة بالمشلل مما يلي قديدا

(١) الرمل الهرولة في السير (٢) والاضطباع ان يدخل الرداء من تحت
ابطه الأيمن ويرد طرفه على يساره ويسدى منكبيه الأيمن ويغطي اليسر
سمى اضطباعا لما فيه من ابداء الضممين وهما المضدان

(١) ثنى المروة وهي واحدة جريا على مذهب العرب كقول الفرزدق
عشية سال المربدان كلاهما - وانما هو مربد البصرة وقولهم نسألني برامتين
سلجما والعرب يشيرون بالثنائية الى جانبي المكان المثنى أو الى أعلاه وأسفله
فيجعلونها اثنين على هذا المغزى و(تمائل) جمع تمثال وأصله تمثيل فحذف الياء

وكانت الارد والانصار وغسان تهمل لها بالحج وكان من أهل لمناة لا يحل له ان يطوف بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام كره المسلمون الطواف بينهما لما كان من فعل الجاهلية فانزل الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) . وروى مسلم بسنده عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبي : ما أرى على أحد لم يطوف بين الصفا والمروة شيئاً وما أبالي الا أطوف بينهما . قالت : بئس ما قلت يا ابن أخي طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف المسلمون فكانت سنة وانما كان من أهل لمناة الطاغية التي بالمشلل لا يطوفون بين الصفا والمروة فلما كان الاسلام سألنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله عز وجل ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما « ولو كان كما نقول لكانت فلا جناح عليه الا يطوف بهما . قال الزهري : فذكرت ذلك لابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فاعجبه ذلك وقال ان هذا العلم

ويظهر ان مرتبة اساف و نائلة في الالهية عندهم دون مرتبة مناة فلذلك لم يجزوا لمن أهل لمناة ان يسمى بينهما ويتمسح باساف و نائلة المنصوبين عليهما وكانوا يقفون في الجاهلية بعرفة في الحج قال العدوي

واقسم بالبيت الذي حجت له قريش وموقف ذي الحجيج الال (١) وقول المابغة الديباني

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأمن ذو أمة وهو طائع (٢)
بمسطحات من لصف وثيرة يزرن الا لا سيرهن التدافع (٣)
وقال أبو طالب

(١) الال كسحاب وكتاب جبل عن يمين الامام بعرفة سمى بذلك لان الحجيج اذا رأوه ألوا في السير أي اجتهدوا ليدركوا الموقف (٢) الريبة الشك و (ذو أمة) بالضم والكسر ذو دين واستقامة (٣) لصف وثيرة موضعان اقسم بالابل التي يمتطيها الحجاج الى مكة تعظيما لها و (سيرهن التدافع) اي من الاعياء يعني يتعاملن تحاملا من الجهد والتعب

وبالمشعر الاقصى اذا عمدوا له الال الى مفضى الشراج القوابل (١)
وكان وقوفهم يوم ناسع الحجة

وكانت قريش ومن تبع دينها حين ابتدعت رأى الحمس تقف بالمشعر الحرام
وهو جبل بالمزدلفة يقال له قزح (٢) ولا تجاوز المزدلفة الى عرفة كسائر الناس
فقد قالت قريش نحن ولالة البيت وسكان الحرم فلا يحل لنا تعظيم شيء من
الحل كتعظيم الحرم لئلا نستخف العرب بحرمننا فتركوا لذلك الوقوف بعرفة
والإفاضة منها لان عرفة من الحل وهم يعرفون انها من المشاعر والحج ودين
ابراهيم ويرون لسائر العرب الوقوف بها والإفاضة منها فلما حج النبي عليه
السلام حجة الاسلام ظنت قريش انه سيقف بالمشعر الحرام كعادتهم ولا
يتجاوزه فتجاوزه الى عرفات

وأُنزل الله في ابطال ما أحدث الحمس من ترك الوقوف بعرفة « ثم أفيضوا
من حيث أفاض الناس » (٣)

ولقد طهر الله نبيه في الجاهلية من صنع الحمس ووفقه لدين ابراهيم . روى
مسلم في صحيحه عن جابر بن مطعم قال أضللت بعيرا لي فذهبت أطالبه
يوم عرفة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا مع الناس بعرفة (٤)
فقلت والله ان هذا لمن الحمس فما شأنه هاهنا . وكانت قريش تعد من الحمس
وكانوا يدفعون من عرفات قبل الغروب . قال صاحب كتاب حجة الله
البالغة . (ولما كان ذلك قدراً غير ظاهر ولا يتعين ومثل هذا الاجتماع لا بدله

(١) المشعر الاقصى عرفة والال جبل بعرفة فهو بدل بعض من كل
(الشراج) جمع شرج وهو مسيل الماء (ومفضى الشراج) تجمعها و (القوابل)
المتقابلة كناية عن اجتماع الناس في مكان واحد وهو عرفة (٢) فيل أن المشعر
الحرام كل مزدلفة (٣) الخطاب في أفيضوا لقريش ومن دان دينهم والمراد
بالناس من عداهم من سائر العرب أمرهم ان يفيضوا من عرفات وهو يقتضى
تكليفهم بالوقوف عليه ليتمكن الإفاضة منه (٤) روى الترمذى أن حجج
النبي اثنتان بمكة قبل الاسلام والثالثة بالمدينة وهى حجة الوداع

من نعين وجب أن يعين بالغروب) وكان الذي يلى الاجازة للناس بالحج من عرفة الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وولده من بعده ويقال له ولولده صوفة (١) وكانت ولايته من قبل ملوك كندة كما نقله بعضهم . وذهب ابن هشام الى انه انما ولى ذلك لان أمه وكانت امرأة من جرهم كانت لا تلد فنذرت لله ان هى ولدت رجلاً أن تصدق به على الكعبة ليكون عبداً لها يخدمها ويقوم عليها فولدت الغوث فكان يقوم على الكعبة فى الدهر الاول مع اخواله من جرهم فولى الاجازة للناس من عرفة لمكانه الذى كان به من الكعبة وولده من بعده حتى انقرضوا . قال مر بن أد يذكر ولده الغوث ووفاء نذر أمه

انى جعلت رب من بنيه ربيطة بمكة العلية (٢)

فباركن لى بها اليه واجعله لى من صالح البرية

وكان الغوث بن مر فيما زعموا اذا دفع بالناس قال

لاهم انى تابع تباعه ان كان اثم فعلى قضاءه

قال السهيلي « وانما خص قضاة بهذا لان منهم محلين يستحلون الاشهر

الحرم كما كانت خثعم وطبي تفعل . وكذلك كانت النساء تقول اذا حرمت صفراً أو غيره من الاشهر بدلاً من الشهر الحرام يقول قائلهم قد حرمت

(١) قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت

شيئاً من غير أهله أو قام بشئ من خدمة البيت أو بشئ من أمر المناسك يقال

لهم صوفة وصوفان . قال أبو عبيدة لانه بمنزلة الصوف فيهم القصير والطويل

والاسود والاحمر ليسوا من قبيلة واحدة وقال ابن السكبي . انما سمي الغوث

ابن مر صوفة لانه كان لا يعيش لأمه ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة

ولتجعلانه ربيطاً للكعبة ففعلت فقيّل له صوفة ولولده وهو الربيط - وقيل

ان أم الغوث لما ولدت وكانت نذرت ان ولدت غلاماً لتعبدنه للكعبة ربيطته

عند البيت فأصابه الحر ففرت به وقد سقط وذوى واسترخى فقالت ما صار

ابى الا صوفة فسمى صوفة

عليكم الدماء الا دماء المحلين . فلما انقرض بنو الغوث عن آخرهم وورثهم من بعدهم بنو سعد بن زيد مائة بن تميم . وكانت الاجازة في آل صفوان ابن جناب بن شجنة بن عطار بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مائة ابن تميم قال ابن اسحاق وكان صفوان هو الذي يجير للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذي قام عليه الاسلام كرب بن صفوان وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدي

لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم (١) حتى يقال أجزوا آل صفوانا
مجد بناء لنا قدماً أوائلنا وأورثوه طوال الدهر اخرا
وكانت الاجازة من منى لصوفة أيضاً كما سنذكره
(النزول بمزدلفة ومنى وبقية أعمال الحج)

كانوا اذا دفعوا من عرفة في الحج باتوا ليلة مزدلفة قال أبو طالب
وليلة جمع والمنازل من منى وهل فوقها من حرمة ومنازل (٢)
والمبيت بمزدلفة سنة قديمة في العرب وكانوا في الجاهلية يوقدون ناراً
على قرح وهو جبل بمزدلفة ليراهم من دفع من عرفة وأول من أوقدها كما
قال السيوطي وغيره قصي بن كلاب ولا تزال توقد الى الآن وكانت الافاص
من المزدلفة في عدوان لا يدفع الحاج منها حتى يجيرهم رجل من عدوان بن عمرو
ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار وفي أجازتهم يقول ذو الاصبع العدواني
ومنها من يجيز الناس بالسنة والفرض

روى أن هذه الاجازة كانت لخزاعة فغلبتها عدوان عليها ولم نزل فيهم
يتوارنونها حتى كان آخرهم الذي قام عليه الاسلام أبو سياره عميلة بن الاعزل (٣)

(١) المعرف الموقف بعرفات وفي رواية : ولا يرمون في التعريف موفهم
(٢) جمع بفتح الجيم وسكون الميم وعين مهملة هي المزدلفة سميت بذلك من
التزلف والازدلاف لان الحجاج اذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا اليها أي تقربوا
قال النووي . سميت بجمع للجمع بين المغرب والعشاء ومقتضاه أن هاتين
الصلاتين كانا في الجاهلية (٣) كذا قال ابن اسحاق وقال الخطابي اسمه

أحد بنى وايش بن زيد بن عدوان . وكان يدفع بالناس على حمار له اسود أجاز
الناس عليه أربعين سنة حتى ضرب المثل به ف قيل (أصبح من غير أبى سيارة)
وقيل كانت له أتان سوداء عوراء خطامها ليف دفع عليها أربعين سنة وفيه
يقول شاعر من العرب

نحن دفعنا عن أبي سيارة (١) وعن مواليه بنى فزاره (٢)
حتى أجاز سالما حمارة مسنقبل القبلة يدعو جاره (٣)
وكانت اجازته أن يتقدمهم على حمارة ثم يخطبهم فيقول
لا هم ائى تابع تباه ان كان اثم فعلى قضاءه (٤)
لا هم مالى فى الحمار الاسود أصبحت بين العالمين أحسد
هلا يكاد ذو البعير الجلعد فق أبى سيارة المحسد (٥)
من شر كل حاسد اذا حسد ومن أذاة النافثات فى العقد (٦)

اللهم حبيب بين نساءنا - وعاد بين رعائنا واحمل المال فى سمحائنا أو فوا
بمهدكم واكرموا جاركم واقروا ضيفكم ثم يقول

أشرق ثبير كما نغير - ثم ينفر ويتبعه الناس - حكى ذلك الميدانى فى
مجمع الامثال والاصبهانى عن أبى عمرو الشيبانى والسكاكى وقد جمعنا بين أقوالهم
وكانوا فى الجاهلية لا ينفرون من مزدلفة الا والشمس على رؤوس الجبال
ولذلك قال مجيزهم أشرق ثبير كما نغير . وثبير جبل عال بجوار مكة اطلع عليه
الشمس قبل كل موضع أى ادخل يانبير فى الشروق كما نسرع للنجو ولم يقرهم
الاسلام على ذلك ففى صحيح البخارى عن عمر انه صلى بمجمع الصبيح ثم
وقف فقال ان المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون أشرق

العاصى واسم الاعزل خالد ذكره الاصبهانى (١) رواه : خلوا السبيل
عن أبى سيارة (٢) يعنى بمواليه بنى عمه لانه من عدوان وعدوان وفزاره
من قيس عيلان (٣) أى يدعو الله عز وجل يقال اللهم كن لنا جاراً مما نخافه
أى مجيراً (٤) لان من قضاء محلين (٥) الكيد المكروه و (الجلعد)
الصلب الشديد و (فق) من الوقاية وهى الصون (٦) الأذاة المكروه

تبير وإن النبي صلى الله عليه وسلم خالفهم ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس
 فاذا أفاضوا من مزدلفة نزلوا منى وفيها كانوا يرمون الجمار وينحرون ويحلقون
 فقد كانوا إذا حجوا ساقوا الهدى فإن كان من الأبل قلدوها النعال وألبسوها
 الجلال وأشعروها لتعرف (١) فلا يتعرض لها أحد إلا المحايين من طيى وخثعم
 قال عارق الطائي وهو جاهلي يخاطب الملك عمرو بن هند

حلفت بهدى مشعر بكراته يخب بصحراء الغبيط درادقة (٢)
 لأن لم تغير بعض ما قد صنعتم لا تتحين العظم ذوانا عارقه (٣)
 يقول حلفت أيها الملك بقرايين الحرم وقد أعادت بكراتها بعلامة الإهداء
 يسرع بصحراء ذلك الموضع صغارها لأن لم تتدارك ما فاتنا من عدلك لا ميلن
 على كسر العظم الذي أخذت ما عليه من اللحم . والمعنى أ كسر عظمكم
 أن لم ترجعوا عن ذلك الظلم — وأول من أهدى البدن إلى البيت على ما ذكره
 السيوطي الياس بن مضر

وينحرون هديهم بمنى قال شاس بن عبدة أخو عاقمة النحل
 حلفت بما ضم الحجاج إلى منى وما نحر من نحر الهدى المقلد (٤)
 وقدم الشنفرى منى وبها حرام بن جابر فليل للشنفرى هذا قاتل أبيك
 (١) التقليد أن تقلد في عنقها قطعة جلد أو نعل بالية و (الجلال) جمع
 جل بالضم وبالفتح هو ما تلبسه الدابة لنصان به و (الاشعار) أن يلعن السنام
 فيسيل الدم عليه ليستدل بذلك على كونه هديا (٢) الهدى ما يهدى إلى الحرم
 من النعم و (مشعر) اسم مفعول من الاشعار وتقدم تفسيره و (بكراته)
 جمع بكرة وهي الشابة من الأبل و (يخب) من الخب وهو خطو فسيح . والباء
 من بصحراء بمعنى في و (الغبيط) اسم موضع و (الدرادق) جمع دردق كجعفر
 وهي صغار الأبل والضمير في بكراته ودرادقه لا يهدى (٣) واتتحين من الاتحاء
 للشيء وهو التعرض له و (ذو) صفة للعظم و (عارقه) اسم فاعل من عرقت العظم
 أكلت ما عليه من اللحم (٤) الشج سيلان الدم و (الهدى) كغنى ما أهدى
 إلى مكة

فشد عليه وقتله ثم سبق الناس على رجله وقال

قتلت حراماً مهدياً بلبد بطن أمني وسط الحجيج المصوت
وقال أبو قيس بن الأسلت من قصيدة يأمر فيها قريشاً بالكف عن رسول
الله ويذكر فضلهم وأحلامهم

رى طالب الحاجات عند بيوتكم عصائب هلكى تهتدى بعصائب
لقد علم الاقوام أن سراتكم على كل حال خير أهل الجباب
قال البرقي الجباب هي حفر بمنى يجمع فيها دم البدن والهدايا والعرب
تفتخر بها وتمظمها

وكانوا يسوقون الهدى في العمرة أيضاً وشاهده ما روى أن النبي صلى
الله عليه وسلم أحرم عام ست من الهجرة بالعمرة هو وأصحابه وساق معه
الهدى سبعين بدنة وقد جللها وأشمرها وأشعر المسلمون بدنهم وقلدوها وليس
معهم إلا السيوف في القرب سمعت قريش بخروجهم فاستنفروا من أطاعهم
وعاهدوا الله ألا يدخلوا عليهم مكة عنوة أبداً ونزل رسول الله بالحديبية
وهي على تسعة أميال من مكة فأرسلت إليه قريش رسالات طاب منه الانصراف
عن مكة عامه فمضى بعثوا لذلك الحلاس بن عاقمة وكان يتأله - والمتأله المعظم
لأمر الله كالخج والعمرة ونحو ذلك مما بقى عندهم من دين إبراهيم عليه السلام
فأما رآه رسول الله قال لا صحابه هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى في
وجهه فأما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي بقلائده قد أكل أوباره
من طول الحبس عن محله قال سبحانه الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت
ورجع الى قريش ولم يأت رسول الله أعظاما لما رأى وصاح قائلاً هلكت قريش
ورب الكعبة أذا القوم انما أتوا عماراً وقال لا صحابه رأيت البدن قلدت وأشعرت
فما أرى أن يصدوا عن البيت فقول الحليس هذا يدل على أنهم كانوا يسوقون
الهدى في العمرة أيضاً وكانوا يحلقون رؤوسهم بمنى قال الشاعر

فان تمنعوا منا السلاح فعندنا سلاح لنا لا يشتري بالدرهم

جنادل أملاء الا كف كأنها رءوس رجال حلقت بالمواسم (١)
وقال زهير بن أبي سلمى

فأقسمت جهدا بالمنازل من منى وما سحقت فيه المقادم والقمل (٢)
لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن الى الليل الا أن يعرجنى طمل (٣)
وذكر صاحب تاج العروس في مادة (ق ر ر) ان ابن السكبي قال عيرت
هوازن وبنو أسد بأكل القررة . وذلك أن أهل اليمن كانوا اذا حلقوا رءوسهم
بمنى وضع كل رجل على رأسه قبضة دقيق فاذا حلقوا رءوسهم سقط الشعر
مع ذلك الدقيق ويجعلون ذلك الدقيق صدقة فكان أناس من أسد وقيس
يأخذون ذلك الشعر بدقيقه فيرمون الشعر وينفمون بالدقيق قال الشاعر
ألم تر جرما أنجبت وأبوكم مع الشعر في قص الملبد شارع
اذا قررة جاءت يقول أصب بها سوى القمل انى من هوازن ضارع
ولم تكن العرب قاطبة تحلق رءوسها فى منى وشاهده قول ابى المنذر
« ان الأوس والخزرج ومن يأخذ بأخذهم من عرب أهل يثرب وغيرها
كانوا يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رءوسهم فاذا تفروا
أتوا مناة فحلقوا رءوسهم عنده وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماما الا بذلك .
فلا عظام الأوس والخزرج يقول عبد العزى بن وداعة المزنى أو غيره من العرب
انى حلفت يمين صدق برة بمناة عند محل آل الخزرج
وكانت العرب جميعاً فى الجاهلية يسمون الأوس والخزرج جميعاً الخزرج
فلذلك يقول عند محل آل الخزرج »
وكانوا يرمون الجمار قال ابو طالب

(١) موسم الحج مجتمعة (١) والمنازل من منى حيث ينزل الناس منها
و (سحقت) حلقت . يقال سحق رأسه وسبته وحلطه حلقة ويروى سحقت
بالفاء ومعناه حلقت و (المقادم) جمع مقدم الرأس . وأراد بالقمل الشعر رأى
وشعر القمل كقوله تعالى واسأل القرية (٢) لا دأبن من الدؤوب فى السير وقوله
(الا أن يعرجنى طمل) أراد الا أن تلتى ناقتى ولدها فتحبسنى وأقيم عليها .

وبالجمرة الكبرى اذا صعدوا لها يؤمون قذفا رأسها بالجنادل
وقال الهذلي

لأدر كم شعث النواصي كأنهم سوابق حجاج توافي الجمرا (١)
قال ابن اسحاق « كانت صوفة هم بنو الغوث بن مر بن أد بن طابخة
تدفع بالباس من عرفة وتجز بهم اذا تفروا من منى فاذا كان يوم النفر أتوا رمى
الجمار ورجل من صوفة يرمى للناس لا يرمون حتى يرمى فكان ذوو الحاجات
المتعجلون يأتونه فيقولون له قم فارم حتى نرمى معك فيقول لا والله حتى تميل
الشمس فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه
بذلك ويقولون له ويلك قم فارم فيأبى عليهم حتى اذا مالت الشمس قام فرمى
ورمى الناس معه فاذا فرغوا من رمي الجمار وأرادوا النفر من منى أخذت صوفة
بجانبى العقبة فحبسوا الناس وقالوا أجزى صوفة . فلم يجز أحد من الناس حتى
يمروا فاذا نفرت صوفة ومضت خلى سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك
حتى انقرضوا فورثهم في ذلك آل صفوان بن جباب بن شجنة « وقد أقر قصي
ابن كلاب لما علب على أمر مكة آل صفوان وعدوان والنسأة على ما كانوا عليه
لانه كان يراه ديناً . فما زالوا كذلك حتى جاء الاسلام . وروى مجاهد أنهم كانوا
اذا قضوا مناسكهم وقفوا عند الجمرة وذكروا آباءهم في الجاهلية وفعال آباءهم
فيقول الرجل منهم كان أبى يطعم الطعام ويحمل الحملات والديات ليس لهم
ذكر غير فعال آباءهم فنهى الله عن ذلك في قوله « فاذا قضيت مناسككم
فاذكروا الله كذاكم آباءكم أو أشد ذكرا »

ثم يختمون أعمال الحج بالطواف بالبيت فاذا فعلوا ذلك حل لهم كل ما كان
محرمًا في الحج ومنهم من كان لا يتحلل بذلك . روى ابن العربي أن قريشاً
وبنى كنانة وخزاعة وجميع مضر كانوا يعظمون العزى فاذا فرغوا من حجهم
وطوافهم بالكعبة لم يحلوا حتى يأتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها
ويعكفون عندها يوماً وقال أيضاً ان الازد وغسان كانوا اذا طافوا بالبيت

(١) الجمر مشدد الميم حيث يقع حصى الجمار

وأفاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلوا الا عند مناة التي على ساحل البحر
مما يلي قديد وكانوا يعظمونها ويحجونها وكانوا يهلون لها ومن أهل لها لم يطف
بين الصفا والمروة لمكان الصنمين اللذين عليهما

ولنتمم الكلام على التلبية في الحج قبل الانتقال منه فنقول قال أبو العلاء
المعري في رسالة الغفران ان تلبيات العرب منها مسجوع كقولهم لبيك ربنا
لبيك . والخير كله بيدك . ومنها موزون من منهوك الرجز كقولهم

لبيك ان الحمد لك والملك لا شريك لك

الا شريك هو لك تملكه وما ملك

أخو بنات فذك (١)

فتلك من تلبيات الجاهلية وفذك يومئذ فيها اصنام وكقولهم

لبيك يا معطي الأمر (٢) لبيك عن بني النمر

جئناك في العام الزمر (٣) نأمل غيثا ينهمر

يطرق بالسيل الحمر (٤)

ومنها من منهوك المنسرح كقولهم

لبيك رب همدان من شاحط ومن دان

جئناك نبغى الاحسان بكل حرف مذعان (٥)

نطوى اليك الغيطان نأمل فضل الغفران

وكقولهم

لبيك عن بجيلة الفخمة الرجيلة (٥)

ونعمت القبيلة جاءك بالوسيلة

تؤمل الفضيلة

(١) كانوا يقولون ان الاصنام بنات الله و (فذك) قرية بخيبر (٢) الامر

ككتف المبارك (٣) الرمر ككتف القليل الشعر والصوف (٤) الحمر ما وارث من

شجر وغيره (٥) الحرف الناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة و (ناقة مذعان)

منقادة سلسلة الرأس (٥) رجل راجل ورجيل مشاء وكامير الرجل الصلب

وروا في تلبية بكر بن وائل

لبيك حقا حقا تعبداً ورقا
جئناك للنصاحه لم نأت للرقاحة (١)

وروا في تلبية تميم

لبيك لولا ان بكرا دونكا يشكرك الناس ويكفرونكا
ما زال منا عثج يا تونكا (٢)

وروا في تلبية همدان

لبيك من كل قبيل لبوك (٣) همدان أبناء الملوك تدعوك
قد تركوا أصنامهم واتابوك فاسمع دعاء في جميع الاملوك (٤)
ومن التلبية قولهم

لبيك عن سعد وعن بنيها وعن نساء خلفها تعنيها

سارت الى الرحمة تجتنيها

(العمرة)

العمرة من شريعة ابراهيم عليه السلام . وكانت العرب في الجاهلية تعتمر
وتحرم للعمرة وشاهده قول رجل من زبيد في الجاهلية منعه العاص بن وائل
عن بضاعة اشتراها منه وكان ذلك سببا لحلف الفضول

يا آل فهر لمظلوم بضاعته بيطن مكة نائي الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر

أقائم من بنى سهم بذمتهم أم ذاهب في ضلال مال معتمر

وغالب اعتماهم في شهر رجب كما شرع حينئذ في دين ابراهيم ولذلك جعل الله
رجبا شهرا حراما ليتمكن مريد العمرة من السفر الى مكة وقضاء عمرته والعود
الى بلده آمنا على نفسه وماله وأهله . وعندهم أن العمرة في أشهر الحج من أعظم
الذنوب وأبطل الشارع ذلك . روى ابن عباس قال كانوا يرون أن العمرة في أشهر

(١) الرقاحة الكسب والتجارة (٢) العثج الجماعة من الناس (٣) لبوك

أى لزموا أمرك (٤) الملك صاحب الملك جمعه ملوك وأملاك وملاكاء وملاك
وملك كركع و(الاملوك) بالضم اسم للجمع

الحج من أجز الفجور في الارض وكأوا يسمون المحرم صفرا (١) ويقولون اذا برأ الدبر (٢) وعفا الأثر (٣) وانسلخ صفر (٤) حلت العمرة لمن اعتمر . قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة (٥) مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة (٦) فتعاضم ذلك عندهم فقالوا يا رسول الله أى الحل قال : الحل كله (٧) . ومن أعمال العمرة الطواف بالبيت وشاهده ماروى أن عميا (رجل من عدوان وقيل من اباد وكان فقيه العرب في الجاهلية ويفنى في الحج) أقبل معتمرا ومعه ركب فترلوا بعض المنازل في يوم شديد الحر وكان على مرحلتين من مكة فقال عمى لقومه وهم في نحر الظهيرة من أتى مكة غدا في مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى وافوا البيت من الغد في ذلك الوقت . فقال في ذلك كرب بن جبيلة العدواني

وصك بها نحر الظهيرة صكة عمى ولا يبغي الا ظلالها (٨)

وجئن على ذات الصفاح كأنها نعام تبغى بالشطى رئالها (٩)

فطوفن بالبيت الحرام وقضيت مناسكها ولم تحل عقالها

وقد قدمنا في الحج أنهم كانوا يسوقون الهدى في العمرة أيضا

قال ابن الاثير في الكامل . وكان من عادة الاوس اذا أراد أحدهم

(١) هو النسيء وتقدم (٢) برأ ثقه و (الدبر) الجرح الذي يكون في

ظهر الابل من اصطكاك الاقتاب والحمل عليه ومنشقة السمر وكان يبرأ بعد

انصرافهم من الحج (٣) (عفا الأثر) أى درس وامحى أثر الابل وغيرها في

سيرها لطول مرور الايام وقال الخطابي المراد أثر الدبر (٤) صفر هو المحرم

في نفس الامر وقد سموه صفرا (٥) رابعة أى من ذى الحجة (٦) أمرهم أن

يجعلوها الحجة عمرة وذلك خصوصية لهم ليذهب من قلوبهم أمر الجاهلية من

تحريم العمرة في أشهر الحج . (٧) سألوا أهو الحل العام لكل ما حرم بالاحرام

حتى قربان النساء فأجابهم النبي بانه الحل العام لكل ما حرم به (٨) عمى تصغير

أعمى على الترخيم وسميت الظهيرة صكة عمى به و (نحر الظهيرة أولها)

(٩) الرئال جمع الرأل وهو ولد النعام

العمرة أو الحج لم يمرض اليه خصمه ويعلق المعتمر على بيته كرانيف (١) النخل
الطهارة - الصلاة - الزكاة - الصوم - الاعتكاف

كانوا ينظرون من الحدث الاصغر والا كبر في الجاهلية ويصلون ويزكون
ويصومون ويمتكنفون . أما الطهارة بالوضوء لديهم فشاهدها قول صاحب
كتاب حجة الله البالغة (ان هذا الوضوء كان يفعله المجوس واليهود وغيرهم .
وكانت يفعله حكماء العرب) وأما الطهارة بالغسل فشاهدها ما ذكره الزجاجي
في أماليه قال (وكان الحنيف في الجاهلية من كان يحج البيت ويغتسل من
الجمابة وبعسل موته ويختن في اجاء الاسلام صار الحنيف المسلم) وموجب
العسل عندهم الجمابة والحيض وكانا مسلمين فيهم قبل الاسلام والدليل على
الاغتسال عند انقطاع الحيض ما روى أن عمرة بنت سبيع كانت مع زوجها
في سفر وكانت حائضا فطهرت ومعهما ماء قليل فاغتسلت فلم يكف لغسلها
وأفدب الماء فبقيا عطشانين فقال لها زوجها كلمته التي جرت مثلا . وفيها
قال الفرزدق

وَكُنْتُ كَذَاتِ الْحَيْضِ لَمْ يَبْقَ مَاءُهَا وَلَا هِيَ مِنْ مَاءِ الْعَذَابَةِ طَاهِرُ (٢)
وقال الخليل

ان فثيرا من لقاح بن حازم كفايلة حيضا وليست بطاهر
والغسل والوضوء فيهم من آذار الاديان السماوية التي أقرها الاسلام . ولقد
تابعنا صاحب كتاب حجة الله البالغة في القول بموجب الوضوء عندهم وكلام
السهريلي يقتضي خلافه فانه كتب على قول ابن هشام في غزوة السويق ان
أبا سفيان لما رجع من مكة ورجع فل قريش من بدر نذر ألا يمس رأسه ماء
من جمابة حتى يغزو محمدا ماله (في هذا الحديث أن الغسل من الجمابة كان
معمولا به في الجاهلية بقية من دين ابراهيم واسماعيل كما بقي فيهم الحج والنكاح
ولذلك سموها جمابة وقالوا رجل جنب وقوم جنب لمجانبتهم في تلك الحال

(١) الكرانيف جمع كرناف بضم الكاف وكسرهما وهي أصول السعف
الغاطط المراض تبقى في الجذع بعد قطع السعف (٢) العذابة الرحم

البيت الحرام ومواضع قربانهم ولذلك عرف معنى هذه الكلمة في القرآن أعنى قوله « وان كنتم جنبا فاطهروا » فكان الحدث الاكبر معروفا بهذا الاسم فلم يحتاجوا الى تفسيره - وأما الحدث الاصغر وهو الموحب للوضوء فلم يكن معروفا قبل الاسلام فلذلك لم يقل فيه وان كنتم محدثين فتوضؤوا كما قال « وان كنتم جنبا فاطهروا » بل قال « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق » الآية فبين الوضوء وأعضائه وكيفيته والسبب الموحب له كالقيام من النوم والحجى من الغائط وملاسة النساء ولم يحتج في أمر الجنابة الى بيان أكثر من وجوب الطهارة منها للصلاة .

وأما الصلاة عندهم فشاهدها قول صاحب كتاب حجة الله البالغة « وكانت فيهم الصلاة وكان أبوذر رضى الله عنه يصلى قبل أن يقدم على النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وكان قيس بن ساعدة الأيادي يصلى . والمحفوظ من الصلاة في أمم اليهود والنجوس وبقية العرب أفعال تعظيمية لاسيما السجود وأقوال من الذكر . وكانوا تركوا الصلاة والذكر وأعرضوا عنهما فبعث النبي عليه السلام وهذا حالهم » وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الله بن الصامت قال : قال أبوذر يا ابن أخي صليت سبعين قبل بعثت النبي صلى الله عليه وسلم قال . قلت . فأين كنت توجه . قال حيث وجهى الله وكان منهم من يستقبل الكعبة في صلاته كشرع إبراهيم وإسماعيل حكى عامر بن ربيعة انه لقي زيد بن عمرو بن نفيل وهو خارج من مكة يريد حرا فقال يا عامر انى قد فارقت قومي وأتبعك ملة إبراهيم وما كان يعبد إسماعيل من بعده . كان يصلى الى هذه البنية وروى الاصبهاني في الاغانى أن زيد ابن عمرو بن نفيل كان يستقبل الكعبة في صلاته ويقول يا مولاي :

ليبك حقا حقا تعبدنا ورقا
البر أرجو لا الخال وهل مهجر كمن قال
عذت بما عاذ به إبراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم
يقول أنى لك عان راغم مهما تجشمتنى فانى جاشم

ثم يسجد — وحكوا في سر مشروعية استقبال الكعبة في الصلاة أن الكعبة من شعائر الله عند العرب أذعن لها أقاصيهم وأدانيهم وجرت السنة عندهم باستقبالها فلم يكن هناك معنى للعدول عنها

وأما الزكاة عندهم فشاهدها قول صاحب كتاب حجة الله البالغة « ان العرب في الجاهلية كانت فيهم الزكاة . وكان المعمول عندهم منها قرى الضيف وابن السبيل وحمل الكل (١) والصدقة على المساكين وصلة الارحام والاعانة في نوائب الحق (٢) وكانوا يمدحون بها ويعرفون انها كمال الانسان وسعادته . قالت خديجة لرسول الله حين بدى بالوحى . فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق . وان سبيعة ابن ربيع المشهور بابن الدغنة (والدغنة أمه) قال مثل ذلك لأبي بكر « هذا ولا شك ان هذه الشرائع العربية فيهم من آثار الاديان السماوية فان قول خديجة لا يخزيك الله أى لفعلك ما أمر به وفي رواية ليس للشيطان عليك سبيل أى لأن أعمالك من الاعمال الرحمانية التي وردت بها الشرائع السماوية وحكى بعضهم أن الزكاة فيهم من شريعة ابراهيم عليه السلام

وأما صومهم في الجاهلية فكان من الفجر الى غروب الشمس وقد ذكر ذلك صاحب كتاب حجة الله البالغة . ومما كانت تصومه قريش يوم عاشوراء . وشاهده ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلما هاجر الى المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه . وروى البخارى ومسلم عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة (٣) فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء

(١) الكل بفتح الكاف وتشديد اللام العيال واليتيم ومن لا يستقل بأمره وحمل الكل الاعانة بالانفاق على العيال والضعفاء (٢) نوائب الحق الحوادث التي تكون في الحق دون الباطل (٣) يحتمل أن يراد بالمدينة قباء أو يراد بها باطنها

فَسئَلُوا عَنْ ذَلِكَ فَقَالُوا هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَبَنَى إِسْرَائِيلَ عَلَى فِرْعَوْنَ فَنَحْنُ نَصُومُهُ تَعْظِيمًا لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ . قَالَ النَّوَوِيُّ . وَكَانَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَوْمًا تَعْظُمُهُ الْيَهُودُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَتَتَخَذُهُ عِيدًا وَيَلْبَسُونَ نِسَاءَهُمُ اللَّيَاسَ الْحَسَنَ وَالْحُلَى قَالَ الْمَرْحُومُ مُحَمَّدٌ بِأَشَا الْفَلَاسِكِيِّ فِي كِتَابِهِ نَتَائِجُ الْإِفْهَامِ فِي تَقْوِيمِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ « وَفِي كَوْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَهُمْ صَائِمِينَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَشْكَالَ لِأَنَّ يَوْمَ عَاشُورَاءَ هُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ أَوْ هُوَ التَّاسِعُ مِنْهُ كَمَا يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ . فَكَيْفَ يَكُونُ فِي رَجَبِ الْأَوَّلِ . وَأَجِيبُ بِأَنَّ السَّنَةَ عِنْدَ الْيَهُودِ شَمْسِيَّةٌ لَا قَمَرِيَّةٌ فَيَوْمَ عَاشُورَاءَ الَّذِي كَانَ عَاشِرَ الْمُحَرَّمِ وَاتَّفَقَ فِيهِ غَرَقَ فِرْعَوْنُ لَا يَتَّقِيْدُ بِكَوْنِهِ عَاشِرَ الْمُحَرَّمِ بَلْ اتَّفَقَ أَنَّهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ أَيْ زَمَنَ قَدُومِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ وَجُودَ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِدَلِيلِ سَوَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ لَوْ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ مَا سَأَلَ وَمَا يَتَّيْدُ ذَلِكَ مَا فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ لِلطَّبْرَانِيِّ عَنْ خَارِجَةِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَيْسَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ الَّذِي يَقُولُ الْمَاسُ إِنَّمَا كَانَ يَوْمَ تَسْتَرَفِيهِ الْكُفَّةُ وَتَلْعَبُ فِيهِ الْحَبْشَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ . وَكَانَ بِدَوْرٍ فِي السَّنَةِ . وَكَانَ الْمَاسُ يَأْتُونَ فَلَنَا الْيَهُودِي فَيَسْأَلُونَهُ فَلَمَّا مَاتَ أَتَوْا زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَسَأَلُوهُ « ثُمَّ تَقَلَّ عَنْ الْبَيْروُنِيِّ فِي كِتَابِ الْآثَارِ أَنَّهُ قَالَ « وَقَدْ قِيلَ أَنَّ عَاشُورَاءَ عِبْرَانِيٌّ مَعْرَبٌ عَاشُورٌ وَهُوَ الْعَاشِرُ مِنْ تَشْرِىِ الْيَهُودِ الَّذِي صَوْمُهُ صَوْمُ الْكُبُورِ وَأَنَّهُ اعْتَبِرَ فِي شُهُورِ الْعَرَبِ جَعَلَ فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنْ أَوَّلِ شُهُورِهِمْ كَمَا هُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ أَوَّلِ شُهُورِ الْيَهُودِ » ثُمَّ قَالَ فَمِنْ جَمِيعِ مَا ذَكَرَ يَنْتَجِ أَنَّ النَّبِيَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فِي ١٠ تَشْرِىِ وَقَدْ فَرَضَ فِي التَّوْرَةِ صَوْمَ هَذَا الْيَوْمِ وَاخْتَلَفَ الرُّوَاةُ وَأَصْحَابُ السِّيَرِ فِي يَوْمِ دَخُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَهْوَ الْيَوْمُ الثَّانِي أَمْ الثَّامِنُ أَمْ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَجَبِ الْأَوَّلِ كَمَا أَنَّهُمْ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ هَذَا الْيَوْمَ كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ (١) وَعِنْدِي أَنَّ أَرْجَحَ

(١) دَعَاوَاهُ الْإِتْفَاقُ مَمْنُوعَةٌ فَقَدْ حَكَى السَّهِيلِيُّ أَنَّ ابْنَ الْكَلْبِيِّ قَالَ .

خَرَجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْغَارِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ رَجَبِ الْأَوَّلِ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ

هذه الايام ما يدل الحساب على أنه كان يوم الاثنين . وحيث أن الحساب لا يؤدي البتة الى أن الثاني أو الثاني عشر من ربيع الاول كان يوم الاثنين تعين بالضرورة ان الثامن هو يوم وقوع الحادثة . وتكون الخلاصة أن الهجرة أو دخول النبي عليه الصلاة والسلام المدينة كان في يوم الاثنين ثامن ربيع الاول الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ للميلاد و ١٠ تشرى سنة ٤٣٨٣ للهجرة

وأما الاعتكاف فكانوا يعدونه قربة من القرب وينذرونه وشاهده مارواه مسلم في صحيحه بسنده عن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام قال . فأوف بنذرك وكذلك كانت أعتكاف المجاورة قربة . لما رواه عبد بن عمير بن قتادة قال . كان رسول الله يجاور في حراء من كل سنة شهرا . وكان ذلك مما تحنت به قريش في الجاهلية والنحنث التبرر (١) وشاهده قول أبي طالب

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه وراق لبر في حراء ونازل (٢)

فقد أقسم أبو طالب بالصاعد جبل حراء لا نعبد فيه وبالنازل منه

وكان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم اذا جاور ذلك الشهر أن يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدا به اذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ماشاء الله من ذلك ثم يرجع الى بيته . وأول منازل عليه الوحي كان بحراء في جواره . قال ابن عبد البر ولا فرق بين الجوار والاعتكاف الا من وجه واحد وهو أن الاعتكاف لا يكون الا داخل المسجد والجوار قد يكون خارج المسجد

يوم الجمعة لثنتي عشرة منه (١) العرب تقول التحنت والتحنف يريدون الحنيفة فيبذلون بالقاء الثاء وتفعل تقتضي الدخول في الفعل وهو الاكثر فتحنت وتبرر بمعنى دخل في الحنيفية وفي البر (٢) ثور وثبير جيلان من جبال مكة . وفي البيت رواية لابن هشام وهي وراق ليرقى في حراء ونازل ولان الراق لا يرقى قال السهيلي وأصح الروايتين وراق لبر في حراء ونازل قال البرقي هكذا رواه ابن اسحاق وغيره وهو الصواب

ولذلك لم يسم عبيد بن عمير جواره بحراء اعتكافا لان حراء ليس من المسجد
ولكنه من جبال الحرم

الاستسقاء بالدعاء وبالنار

كانت العرب في الجاهلية اذا حبس عنهم المطر لجئوا الى الله تعالى يستمطرونه
ليكشف ما نزل بهم من البلاء وكانوا كثيرا ما يستمطرون في الاماكن المطهرة
طمعا في اجابة الدعاء كما كانوا يستسقون بمن يرجون الخير بيمن طلعت

والاستسقاء فيهم من زمن قديم وهو من بقايا الشرائع السماوية . فقد
ذكر أن عادا أصابهم قحط فتابع عليهم بتكذيبهم هودا فأرسلوا وفدا الى
مكة يستسقون لهم فبعثوا قيل بن عسير ولقيم بن هزال ومرثد بن مسعد .
وكان مسلما يكتنم اسلامه وجاهله بن الخيبري خال معاوية بن بكر ولقمان بن
عاد في سبعين رجلا من قومهم فاستسقوا فأرسل الله على عاد سحابة سوداء
ملاها عذابا فلما طلعت عليهم استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا واذا به
ما استعجلوا به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء مرت به فأهلكهم الله
بريح عاتية تركتهم كأنهم أعجاز نخل خاوية . وعلم الوفد حين رجعوا بمهلك
قومهم . وفي ذلك يقول عباس بن مرداس السلمي

في كل عام لما وفد نسيرهم نختارهم حسبا منا وأحلاما
كانوا كوفد بني عاد أضلهم قيل فأتبع عام منهم عاما
عادوا فلم يجدوا في أرض قومهم الا مغاييبهم فقرا وآراما

ولقد حفظ لنا التاريخ مثلا من دعواتهم في الاستسقاء نذكره لما فيه من الفائدة
والبلاغة . فمن ذلك ما حدث به مخزومة بن نوفل قال : سمعت أمي رقيقة بنت
أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف وكانت لدة (١) عبد المطلب قالت تتابع
على قريش سنون أمحلت (٢) الارض وأذهبت الاموال وأقحلت (٣) اللحم
وأرقت العظم وأشفين (٤) على الانفس فيينا أنا نائمة اللهم أو مهومة (٥) اذا
(١) اللدة الترب بكسر التاء أي النظير في السن (٢) أمحلت أقحطت (٣)
أقحلت أي بست (٤) أشفى أشرف (٥) المهوم من يكون بين النائم واليقظان

أنا بهاتف صيت (١) يصرخ بصوت صحل (٢) أقشعر له جلدى يقول :ياممشر
قريش ان هذا النبي المبعوث فيكم قد أظلتكم (٣) أيامه وهذا أوانه وابان نجومه
(٤) خيهلا بالحيا والخصب والفلاح (٥) ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا طوالا
عظاما أبيض بضاً أو طف الاشفار (٦) سهل الخدين (٧) أشم العرنين (٨) مقرون
الحاجبين له شرف يكظم عليه وسنة تعزى (٩) اليه الا فليخلص هو وولده
وليدلف اليه من كل بطن (١٠) رجل فليسنوا (١١) من الماء وليمسوا من الطيب
ثم ليستاموا الركن (١٢) وليطوفوا بالبيت سبعة وليرتقوا أباقيس الا وفيهم الطيب
الظاهر ألا فليدع الرجل وليؤمن القوم الا فغثم (١٣) اذا شئتم وعشتم قالت
فأصبحت علم الله مذعورة مفراة قد قف لها جلدى وولاه عقلى (١٤) فافتصت
رؤياى فنمت (١٥) فى شعاب مكة فوالحرمة والحرم اسمع بها أبطحى
الا قال هذا شبيهة الحمد عبد المطلب (١٦) وتنامت اليه رجالات قريش

(١) الصيت البعيد الصوت (٢) الصحل صوت فيه بحجة (٣) أظل دنا
وقرب (٤) النجوم الطلوع (٥) حيهل بكذا أى عليك به و (الحيا) المطر
و (الفلاح) البقاء (٦) الوسيط من قولهم أوسطهم حسنا أى اكرمهم وأشرفهم
و (الطوال) الطويل و (العظام) العظيم و (البض) الممتلى وفى رواية أوطف
الاهداب و (الاوطف) طويل الاهداب و (الاهداب) شعر أشفار العيون مفرده
هدب (٧) سهل الخدين قليل اللحم (٨) شمم العرنين طول طرف الانف (٩)
كظم بمعنى أمسك ومنه يكظم غيظه و (السنة) السيرة و (تعزى) أى تنسب
(١٠) الدلف مشى على مهل كمشى الشيخ و (البطن) من لطن العرب دون
القبيلة وقد يطلق عليها (١١) سن عليه الماء بالسین المهمة صبه (١٢) استلام
الركن ضم الحجر (١٣) غثم مطرتم (١٤) الذعر الفزع و (مفراة) بالقاء
الموحدة متحيرة مدهوشة من فرى بكسر الراء تحير ودهش و (قف جلده)
يبس ويروى قب أى ذوى و (الوله) ذهاب العقل (١٥) نمت بتشديد الميم
فشت ومنه النام وبتخفيفها زادت من النمو (١٦) الشعاب جمع شعبة ما صغر
من التلعة والتلعة ما ارتفع من الارض و (الحرمة) الذمه وما يجب حفظه

وانقض (١) اليه من كل بطن رجل فسنوا من الماء ومسوا من الطيب واستلموا الركن أو اطوفوا ثم ارتقوا أباقبيس فطفق القوم يدفون (٢) حوله ما ان يدرك سعيهم مهلة حتى يحملوا ذروته واستكفوا جنابته (٣) ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ غلام قد أيقع أو كرب (٤) فقال عبد المطلب اللهم ساد الخلة (٥) وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسئول غير مبخل (٦) وهذه عبادك واماؤك بعذرات حرمك (٧) يشكون اليك سنتهم التي أذهبت الخف وأفنت الظلف (٨) فاسمع اللهم دعاءنا وأنزل علينا غيثا مريعا مفدقا ودقا (٩) طبقا فما راموا البيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادي بثجيجه (١٠) فسمعت شيخان قريش وجلتها (١١) يقولون هنيئا يا أبا البطحاء اذ عاش بك أهل البطحاء وفي ذلك تقول رقيقة بنت أبي صيفى تمدحه عليه الصلاة والسلام

بشبية الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوز المطر (١٢)

و (الحرم) حرم مكة و (الابطحى) هو القرشي من مكة خاصة و (شبية الحمد) هو عبد المطلب (١) تنامت اجتمعت و (انقض) أسرع (٢) طفق دام و (يدفون) يتداولون (٣) ذروة كل شئ أعلاه و (استكفوا) أحاطوا به ينظرون اليه و (جنابته) ناحيته (٤) أيقع الغلام قارب الاحتلام و (كرب) من أفعال المقاربة والمعنى أو قارب (٥) الخلة الحاجة (٦) غير بخيل (٧) عبادك جمع عبد. ويروى عبادؤك بكسر العين والباء وتشديد الدال أى عبيدك و (بعذرات حرمك) أى بافنائها (٨) الظلف للبقرة والشاة ومثلها كالقدم للسان و (الخف) للبعير وأراد ذوات الظلف وذوات الخف (٩) مريعا أى مخصبا و (المفدق) الكثير القطرو (الودق) المطر (١٠) راموا برحوا و (كظ) الوادي أى ضاق بالماء لكثرته و (ثجيجه) سيلانه (١١) شيخان جمع شيخ والشيخ من استبان فيه السن أو من خمسين أو احدى وخمسين الى آخر عمره أو الى الثمانين و (جلتها) عظامؤها وسادتها (١٢) الحيا الخصب والمطر و (اجلوز)

فجاء بالماء جوفى له سبل دان فعاش به الانعام والشجر (١)
 منا من الله بالميمون طائر وخير من بشرت يوما به مضر (٢)
 مبارك الامر يستسقى الغمام به مافى الانام له عدل ولا خطر (٣)
 وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم استسقاء آخر وكان رضيعا . وذلك أن
 قريشا أجذبت وحبس عنهم المطر فأمر عبد المطلب ابنه أبا طالب أن يحضر
 المصطفى وهو رضيع في قاط فلما حضر وضعه على يديه واستقبل الكعبة
 ورماه الى السماء وتناول به يديه ثم رماه ثانيا وثالثا وهو يقول يارب بحق هذا
 الغلام استقنا غيثا مغيثا مغدقا دائما هاتلا فما انصرفوا حتى جاءهم الغيث وفي
 ذلك يقول عمه أبو طالب في قصيدته اللامية
 وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل (٤)
 يطيف به الهلاك من آل هاشم (٥) فهم عنده في نعمة وفواضل
 ويستسقى كل ذى دين من معبوده بالتقرب اليه وسند ذكر خبر خولان وتوسلهم
 لصنمهم عميانس بالذبايح ليسقوا .
 ومنهم من يستسقى بالنار وكانوا اذا أرادوا الاستمطار بها جمعوا ماقدروا
 عليه من البقر وعقدوا في أذنانها وبين عراقيها حزما من السلع والعشر (٦)
 وأوقدوا فيها النار وأصعدوها في جبل وعرفوا بينها وبين أولادها
 مضى وذهب (١) الجون الأبيض والأسود وهو من الاضداد و (السبل) المطر
 (٢) من عليه أنعم و (الميمون طائر) أى السعيد حظه و (مضر) قبيلة من
 العرب (٣) في رواية مبارك الكف و (الغمام) سحب المطر و (الانام) الخلق
 و (العدل) بالكسر مثل الشئ و (لاخطر) أى لا مثل له في علوه (٤) قد عبر عن
 الكرم بالبياض . يقال له عندى يد بيضاء أى معروف و (التمال) العماد
 والملاجأ والمطعم والمغنى والكافى و (العصمة) ما يعتصم به ويتمسك (٥) في
 رواية يلود به الهلاك و (الهلاك) الفقراء والصعاليك الذين ينتابون الناس طلبا
 لمعروفهم من سوء الحال (٦) السلع بفتححتين و (العشر) بضم ففتح ضربان
 من الشجر

وساقوا البقر الى ناحية المغرب دون سائر الجهات وهم يصيحون بالتضرع والدعاء لله تعالى ويستسقونه وسط خوار الثيران وتأجج الميران يستجلبون بذلك رحمته وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت

سنة أزمة تبرح بالسـ س ترى للعضاء فيها صير (١)
لا على كوكب تنوء ولا ريح جنوب ولا ترى طحرورا (٢)
اذ يسفون بالدقيق وكانوا قبل لا يأكلون شيئا فطيرا (٣)
ويسوقون باقر السهل للطود د مهازيل خشية أن تبورا (٤)
عاقدين النيران في ثكن الاذ ناب منها لكي تهيج البحورا
فاشتوت كلها فهاج عليهم ثم هاجت الى صبير صبرا (٥)
فراها الآله ترسم ناعطـ ر وأمسى جناهم ممطورا (٦)
سـلع ما ومثله عشر ما عائل ما وعالت البيقورا (٧)

(١) أزمة أى شديدة وفي رواية سنة حذبة و (تبرح بالناس) تصيبهم بشدة الاذى و (العضاء) جمع عضاهة وهى أعظم الشجر أو الخيط أو كل ذات شوك و (الصرير) الصوت (٢) نوء النجم سقوطه في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته و (ربح الجنوب) هى التى تخالف الشمال ومهبها من مطلع سهيل الى مطلع الثريا - ما فى السماء (طحورور) وطحرورة أى لطح من السحاب (٣) الباء فى بالدقيق زائدة و (الفطير) من المعجن ما اختبرته من ساعته ولم تخمره (٤) الباقر البقر و (الطود) الجبل أو عظيمه و (تبور) تهلك (٥) الصبير السحابة البيضاء أو الكشيفة التى فوق السحابة أو الذى يدور بعضه فوق بعض (٦) رسم الغيث الديار عفاها وأبقى أثرها لاصقا بالارض و (الجاب) الفناء والناحية (٧) قال ابن أبى الحديد « يروى أن عيسى بن عمر قال ما أدرى معنى هذا البيت ، ويقال أن الاصمعى صحف فيه فقال وغالت البيقورا بالغين المعجمة وفسره غيره فقال عالت بمعنى أثقلت البقر بما حملتها من السلع والعشر و (البيقور) البقر و (عائل) غالب أو مثقل ، ويمكن أن يحمل تفسير الاصمعى

وقال آخر

يا كل قد أثقلت أذناب البقر بسلع يعقد فيها وعشر
فهل تجودين ببرق ومطر
وهذه النار تسمى نار الاستمطار . وأنكر كثير منهم فائدة الاستمطار
بالنار قال الشاعر

شفعنا بديقور الى هاطل الحيا فلم يغن عنا ذاك بل زادنا جدبا
فعدنا الى رب الحيا فأجادنا وصير جذب الارض من عنده خصبا
وقال آخر

قل لبني نهشل أصحاب الحور أتطلبون الغيث جهلا بالبقر
وسلع من بعد ذاك وعشر ليس بهذا يحلل الارض المطر
وقال الورل الطائي يعيبهم أيضا .

لا در در رجال خاب سميعهم يستمطرون لدى الازمات بالعشر
أجعل أنت بيقورا مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر

قال ابن أبي الحديد : وانما أضرموا النيران في أذناب البقر تفاؤلا للارق
بالنار . وقال بعض الاذكياء كل أمة قد اتخذوا في مذاهبها مذاهب ملة أخرى
وكانت الهند تزعم أن البقر ملائكة سخط الله عايتها فجعلها في الارض وأن
لها عنده حرمة ، وكانوا يلطخون الابدان بأخشائها ويفسلون الوجوه ببولها
ويجعلونها مهور نسائم ويتبركون بها في جميع أحوالهم فلعل أوائل العرب
خذوا هذا الخذو وانتهجوا هذا المسلك « وللبقر عند قدماء المصريين أسمى
المنازل الدينية وليست هذه العادة من الخرافات فان للدخان أثرا في الامطار
وقد جرب بعض علماء الافرنج بأمرىكا انزال المطر بالدخان المتكاثف
فنجحت تجربته

على محمل صحيح فيقال غالت بمعنى أهلكت يقال غاله كذا واغتاله أى أهلكه
وغالتهم غول يعنى المنية «

(النذر)

كانوا في الجاهلية يوجبون على أنفسهم فعل أشياء أو تركها وذلك هو
النذر ويتمدحون بالوفاء به قال عنزة العبسي في معلقته

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشامي عرضي ولم أشتمهما والباذرين اذا لم ألقهما دمي
وقال زهير

قد أشهد الشارب المعدل لا معروفه منكرو ولا حصر (١)
في فتية ليني المآزر لا ينسون أحلامهم اذا سكروا
يشوون للضيف والعفاة ويو فون قضاء اذا هم نذروا (٢)

وكانت قديما بذورهم تقربا لله تعالى ثم لما تغيرت الحنيفية بعبادة الاوثان
ودخلت فيهم الديانات الوضعية صاروا ينذرون لأصنامهم أو للانتقام أو غير
ذلك من الأغراض المخلفة الى لا يمكن استنصاؤها ولذا ذكر أمثلة منها
في صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية
أن اعتكف ليلة في المسجد الحرام قال وأوف بنذرک

ومنها ما روى أن الحكم بن عبيد يغوث المقرئ نذر ليذبحن مهاة على
الغبغب (٣) وكان من أرمى الناس فرام صيدها أيما فلم يمكنه فكان يرجع
مخفقا حتى تم بقتل نفسه مكانها فقال له انه مطعم احملني أرفدك فقال ما احمل
من رعي رهل (٤) جبان فشل فدارال به حتى حمله فرمى الحكم مهانين فاحطأهما
فلما عرضت الثالثة رماها مطعم فاصابها فقال الحكم (رب رمية من غير رام)

(١) المعدل كعظم من يعدل لا فراط جودهو (الحصر) البخل والعنى في المنطق

(٢) العافي الضيف وكل طالب فضل أو رزق (٣) المهاة البقرة

الوحشية (والغبغب) منحصر العزى كانوا ينحرون فيه هداياها (٤) الارفاد

الاعانه و (رهل) لحمه بالكسر اضطرب واسترخى وانتفخ أو ورم
من غير داء

فضربت مثلاً في فلتة احسان من المسمى

ومنها أن الغوث بن سر بن أد بن طابخة كان لا يعيش لامه ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلانه ربيطاً للكعبة فلما عاش لها الغوث وفت بنذرهما فسمى صوفة وكان له ولولده الاجازة بالحج من عرفة ومن منى لمكانه من الكعبة .

ومن ذلك نذر تهود الاولاد قال السهيلي « اليهود بنو اسرائيل وجملة من كان منهم بالمدينة وخيبر انما هم قريظة والنضير وبنو قينقاع غير أن في الاوس والخزرج من قد تهود وكان من نسائهم من تنذر اذا ولدت ان عاش ولدها ان تهود لان اليهود عندهم كانوا اهل علم وكتاب وفي هؤلاء الابناء الذين تهودوا نزلت (لا اكره في الدين) حين اراد آباؤهم اكراههم على الاسلام في أحد الاقوال »

ومن ذلك ما روى ان عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح قتل في غزوة احد من المشركين مسافع بن طلحة واخاه الجلاس بن طلحة كلاهما يصيبه بسهم فيأتى امه سلافة فتضع رأسه في حجرها وتقول يا بى من أصابك . فيقول سمعت رجلاً يقول حين رماني خذها وأنا ابن أبى الاقلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم ان تشرب فيه الخمر

ومنها ما روى ان ابا سفيان لما رجع من مكة ورجع منهزم وقريش من بدر نذر الابس رأسه ما من جنازة حتى يغزو محمداً

ومنها ما كان من عبد المطلب بن هاشم فانه حين لقي من قریش ما لقي عند حفر زمزم نذر لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يعموه لينحرن أحدهم لله عند الكعبة فلما بلغ نوه عشرة وعرف انهم ما عموه جمعهم وأخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء لله بذلك فأطاعوه فجعل لكل قدحاً وكتب عليه اسمه وضرب القداح سادن هبل عنده فخرج قدح عبد الله فهم يذبجه فقامت قریش وقالوا لا تذبجه ابداً حتى نعد رفيه لئن فعات هذا لابل زال الرجل يأتي بابنه حتى يذبجه فما بقاء الناس على هذا وأشاروا اليه أن يذهب لعرافة سموها له ليستفتيها فيما

نزل به فلما نزل عبد المطلب بساحتها وقص عليها أمره أمرته أن يضرب
القداح على عبد الله وعلى عشر من الابل فان خرج قدح عبد الله زاد الابل
عشرا وضرب ولا يزال يفعل ذلك حتى يخرج القدح على الابل فعاد الى مكة
وضرب القداح وما زال يزيد الابل حتى بلغت مائة تخرج القدح عليها
فذبحوها وعبد الله هو والد نبينا المراد بقوله عليه الصلاة والسلام أنا ابن
الذيحين وثانيهما اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام

ومن نذورهم السائبة ان أحدهم كان اذا نزل به المكروه يذّر ان رفيع عنه
ان يسبب ناقته . فاذا فعل ذلك لم تمنع من الماء ولا من الكلاء . وقد يسيبون
غير الساقة . وكانوا اذا سيبوا العبد لم يكن عليه ولاء

ومن نذورهم ما كان من لبيد بن ربيعة بن عامر وكان شريفا في الجاهلية
والاسلام فقد نذر في الجاهلية ألا تهب الصبا الانحر وأطعم . وهبت الصبا يوما
وهو بالكوفة مقترم لاق فلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان أميرا
عليها لعثمان فخطب الناس فقال ان أخاكم لبيدا كان آلى على نفسه في الجاهلية
ألا تهب الصبا الا أطعم وألزم نفسه ذلك في الاسلام وهذا اليوم من أيامه
فأعيوه فأنا أول من يعينه ثم نزل فبعث اليه بمائة بكرة . وبعث الناس اليه
فقضى نذره وكتب اليه الوليد

أرى الجزار يشحذ شفرتيه اذا هبت رياح أبي عقيل

أغر الوجه أبيض عاسري طويل الباع كالسيف الصقيل

وفي ابن الجعفرى بخلفتيه على العلات والمال القليل (١)

بنجر الكوم اذ مسحبت عليه ذبول صبا تجاوب بالاصيل (٢)

فلما أتاه الشعر قال لابنته أجيبيه فقد أراني ولا أعيا بجواب شاعر

فانشأت تقول

اذا هبت رياح أبي عقيل دعونا عبد هبتها الوليدا

أغر الوجه أبيض عبشميا أعان على مروءته لبيدا

(١) على علاته أى على كل حال (٢) الكوم القطعة من الابل

بأمثال الهضاب كان ركبا عليها من بنى حام قعودا (١)
 أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها وأطعمنا الوليدا
 فعد ان الكريم له معاد وظى يا ابن أروى أن تعودا
 فقال أحسنت لولا انك استزدته فقالت انه ملك ولو كان بسوقة لم أفعل
 ذبح الظبي في نذر الشاة — كان أحدهم يقول عند المكروه يصيبه ان
 خلصت منه لا ذبحن من الغنم كذا وكذا ثم اذا كشف الله عنه ما يكره ضن بما
 نذر لان من ألباسها غذاؤه وكره عدم الوفا فاستبقى الغنم وذبح من الظباء التي
 يصيدها بعدد ما نذر من الغنم وقال الظباء شاء كما أن الغنم شاء فيجعل ذلك
 القربان شاء كله مما يصيد من الظباء . قال الحارث بن حلزة

عنتابا طلا وظلما كما نع ترعن حجرة الربيض الظباء (٢)
 أعلينا جناح كسدة أن يغنم غازيهم ومنا الجزاء
 واصل العتر الذبح في رجب وكانت العرب تذكره لآلهتها فيقول قائلهم
 ان رزقنى الله خمسين شاة ذبحت منها في رجب واحدة مثلا ويسمى هذا الذبح
 العتيرة والرجبية — ومعنى البيتين انكم الزمتمونا ذنب غيرنا عنتا باطلا كما
 يذبح الظبي لحق وجب في الغنم وقال الرماح في تلك العتائر
 كان الغوى الفرد أجسد رأسه عتائر مظلوم الهدى المذبح (٣)
 وقال كعب بن زهير في رثاء جوى المزنى وهى من أبيات الحماسة
 لذرك والمذور لها وفاء اذا بلغ الخزاية بالغوها

(١) الهضاب والهضب جمع الهضبة وهى الجبل و(حام) هو ابن نوح
 أبو السودان (٢) العنت الفساد (وتعتر) تذبح (والحجرة) بالفتح الناحية
 والمراد بها هنا موضع الغنم و(الربيض) الغنم برعاها المجتمعة فى مراتبها
 (٣) الغوى الضال ولعله يريد به الصنم و(الجسد) الدم اليابس والزعفران
 واذا قام الثوب من الصبغ قيل قد أجسد ثوب فلان و(العتائر) الذبائح
 واطافة الذبائح لمظلوم اضافة بيانية . والهدى المذبح المظلوم هو الظباء
 المذبوحة بدل الشياه

كانك كنت تعلم يوم بزت ثيابك ما سيلقى سالبوها (١)
فما عثر الظباء بحى كعب ولا الخمسون قصر طالبوها
والمعنى انما وفينا ولم نقنع فى أخذ تأرك بشئ يعنى عما ندرته كما تذبح
الظباء بدل الغنم

وكان سبب هذه الابيات أن جوياء المزنى مر على الاوس والخزرج وهم
يقتتلون والاوس حلفاء مزينة فقاتل جوى مع حلفائه فأصيب قمر به ثابت بن
المنذر بن حرام أبو حسان الشاعر فقال : اخا مزينة ما طرحك هذا المطرح
فوالله انك من قوم ما يحمونك فرفع جوى رأسه اليه وهو يحود بنفسه
فقال : اعطى الله عهدا ليقتلن منكم خمسون ليس فيهم اعور ولا أعرج وبلغت
كلمته قومه فوفوا له بما قال - فلذلك يقول الرماح : ولا الخمسون قصر
طالبوها ومن هذا الباب قولهم فى المثل (أفرع بالظبي وفى المعزى دثر) الباء
فى بالظبي زائدة أى ذبح الظبي وفى المعزى كثرة - يضرب مثلا لمن له
اخوان كثيرون وهو يستعين بغيرهم

(ما يفعلونه للموتى)

نذكر فى هذا الفصل عاداتهم التى منشؤها الشرائع السماوية كتحنيط الميت
وتكفينه وغسله والمبالغة فيه بوضعهم فى ماء الغسل سديرا ونحوه ثم نتبع ذلك
تنميما للوضوح بما كان منشؤه المعتقدات الوهمية كوضع البلية على القبر يركبها
الميت يوم البعث وبما كان منشؤه الفخر والزهو كاتخاذ حرم للقبر وتعلية بنائه
وغير ذلك

نعمى الموتى - قال الاصمعى كانت العرب اذا مات فيهم ميت له قدر
ركب راكب فرسا وجعل يسير فى الناس ويقول نماء فلانا أى انعمه وأظهر خير
وفاته وهذا هو الساعى المراد بقول المتنخل الهدلى

أقول لما أتاني الناعيان به لا يبعد الرمح ذو النصلين والرجل (١)
 رمح لما كان لم يقلل نوء به توفي به الحرب والعزاء والجلل (٢)
 وقول أعشى باهلة يرثي أحياه لأمه المنتشر

اني أتتى لسان لا أسر بها من علموا لعجب منها ولا سخر (٣)
 فظاات مكتئباً حزان أنداء وكنت ذا حذر لو ينقم الحذر
 لجاشت النفس لما جاء جمعهم وراكب جاء من تثليث معتمر (٤)
 يأتي على الناس لا يلوى على أحد حتى التقينا وكانت دوننا مضر (٥)
 ان الذي حئت من تثايت تدايه منه السماح ومنه التهيى والغير
 ينعي امرأ لا تغب الحي جفنته اذا السكوا كب اخطأ نوءها المطر (٦)
 والغرض من اتخاذ الناعى الاعلام لينهض الناس بالواجب عليهم نحو هذه
 المصيبة ولتعزية أهل الميت

(١) يبعد بمعنى يهلك و (الرمح) فاعل يبعد و (النصل) حديد ذالرمح
 الذى يطعن به وهو السنان (٢) (رمح لنا) أى هو رمح لنا وضعير كان
 يرجع الى المراثى وجملة (لم يقلل) خبر كان أى لم يكسر ولم يشلم من الفل بفتح
 الفاء واحد الفلول وهى كسور فى الشئ و (نوء به) أى تنهض به يقال ناء
 بكذا أى نهض به مثقلاً و (توفى به الحرب) أى تعالى به وتقهرو هو بالنفاء
 وروى بالقاف أيضاً من الوفاية و (العزاء) بفتح اليمين وتشديد الزاء المعجمة
 السنة الشديدة و (الجلل) بضم الجيم وفتح اللام جمع حلى وهو الامر الجليل
 العظيم من كبرى وكبر و غرى وصغر (٣) اللسان الرسالة وأراد بها نعى المنتشر
 و (سخر) بضم السين والمعنى أتاني خبر من أعلى نجد لا أعجب منها وان
 كانت عظيمة لان مصائب الدنيا كثيرة (٤) جاشت النفس ارتفعت من حزن
 أو فزع (٥) لا يلوى على أحد أى لا يعرج (٦) النعى خبر الموت و (أغبت)
 القوم جفنته جاءتهم يوم ما تركت يوماً كغب و (النوء) سقوط النجم فى المغرب
 مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق والعرب كانت تنسب نزول
 المطر للنوء فتقول مطرنا بنوء كذا

غسل الميت — كانوا يغسلون موتاهم في الجاهلية . قال الافوه الاودى
 ألا عللاني واعلماني أغرر فما قلت ينجيني الشقاق ولا الحذر (١)
 وما قلت يجديني ثوابي اذا بدت مفاصل أو صالى وقد شخص البصر (٢)
 وجاءوا بماء بارد يغسلونني فيالك من غسل سيتبعه غدير
 وفي الاغانى أن أبا لهب لمات بالعدسة تركه ابنه ليلتين أو ثلاثا لا يدفناه
 حتى أنن في بيته . وكانت قریش تتقى العدسة كما تتقى الطاعون تخشى عدواها
 حتى قال لهما رجل من قریش ويحكمنا ألا تستحيان ان أباكما قد أتن في بيته
 لا اغيباه فقالا نخشى هذه القرحة قال : فانطلقا فأنا معكما فما غسلوه الا
 قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكة
 وكانوا يضعون في ماء الغسل ما يساعد على المظافة من سدر أو اشنان .
 ويغسلون بالسدر ونحوه رءوسهم ولحاهم وشاهده قول امرئ القيس لما أخذت
 بنو تغلب ثمانية وأربعين نفسا من بنى آكل المرار فقدم بهم على المنذر فضرب
 رقابهم بحفر الاملاك في ديار بنى مرز

ملوك من بنى حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا
 فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بنى مرينا
 ولم تغسل رءوسهم بسدر ولكن في الدماء زمينا (٣)
 وقد أقرهم الاسلام على ما كان عندهم من ذلك
 تحنيط الميت كانوا بمد غسل الميت يحنطونه والحنوط كصبور وكتاب
 عطر مركب من أشياء طيبة الرائحة يخلط للميت
 وذكروا أن مشما كانت امرأة تبسح الحنوط في الجاهلية . ف قيل للقوم

(١) الغرر بالنفس التعريض للخطر — مصدر يراد به اسم المفعول
 (٢) والواصل المفصل أو مجتمع العظام (وشخص بصره) فذبح عينيه
 وجعل لا يطرف (٣) السدر ورق البق وفي رواية ولم تغسل جماجمهم بغسل
 و(تزل) تأفف

إذا تحاربوا دقوا بينهم عطر منشم أرادوا بذلك طيب الموتى وروى أن أول
من طيب الموتى بالحنوط مقسم بنهر القضاء
كفن الميت كانوا يكفنون الميت (١) وشاهده قول قس بن ساعدة
الأيادي .

يا بأك الموت والاموات في جدث عليهم من بقايا بزهم خرق (٢)
دعهم فإن لهم يوماً يصاح بهم كما نبيه من نومانه الصعق
وقال عترة العبسي

وأحمي حمي قومي على طول مدتي إلى أن أداني في اللقائف أدرج (٣)
وقال حجية بن المضر بن الخطاب النعمان بن المنذر

إن كان ما بلغت عي فلامني صديقي وشلت من يدي الانامل
وكفنت وحدي منذرا في ردائه وصادف حوطا من أعادي قاتل (٤)
وسبب هذين البيتين أن النعمان بن المنذر أغار على بني تميم فمذروا به
ومعه بكر بن وائل والصنائع من العرب . وكان فيمن كان معه حجية بن المضر
وكانت أخته فكيهة بنت المضر تحت ضمرة بن ضمرة . فمذروا بنو تميم
بالنعمان فهزموه (٥) فانهم النعمان حجية أن يكون أنذرهم فقتل البيتين

وكانوا يكفنون الميت في ثوب ثمين النسيج إذا كان عظيما . وشاهده ما
يروى أن دريد بن حرملة لما قتل معاوية بن عمرو الشريد قدم أخوه صخر
فأتى بني مرة . فقال : من قتل أخي . فقال له هاشم بن حرملة إذا
أصبتني أو دريدا فقد أصبت نارك . قال فهل كفتتموه . قالوا : نعم في بردين

(١) الكفن لباس الميت (٢) الجداث القبر و (البز) الثياب (٣) اللقافة

ما يلف به على الرجل وغيرها جمعه لقائف يراد بها هنا الكفن

(٤) قوله وكفنت وحدي منذرا : أي أكون غريبا لا أجد معيناً وقوله

في ردائه أي لا أجد كفنا يليق به و (المنذر) أخو حجية الشاعر و (حوط)
ابنه وبه يكنى (٥) نذر بالشئ كفرح علمه فحذره و (انذره بالامر) أعلمه
وحذره وخوفه في ابلاغه

أحدهما بخمس وعشرين بكرة قال : فأروني قبره . فأروه إياه . فلما رأى القبر جزع عنده ثم قال ؟ كانكم قد أنكرتم ما رأيتم من جزعي . فوالله ما بت مذعلت الا واثرا أو موتورا أو طالبا أو مطلوبا حتى قتل معاوية فما ذقت طعم نوم بعده . وقال مهلهل بن ربيعة من رثاء أخيه كليب

فا بكين سيد قومه واندبته شدت عليه قباطي الا كمان (١)

وفد جاء ذكر الحنوط وترجيل الشعر والكفن في شعر يزيد بن حذاق قال ابن قتبية انه أول من بكى على نفسه وذكر الموت في شعره حيث قال
 هل للفتى من بنات الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من راق
 قدر جلوني وما بالشعر من شعث والبسوني ثيابا غير أخلاق
 وطيبوني وقالوا أيما رجل وأدرحوني كاني طي مخراق
 وأرسلوا فتيه من خيرهم حسبا ليسندوا في ضريح القبر أطباق
 وقسموا المال وأرفضت عوائدهم وقال قائلهم مات ابن حذاق
 هون عليك ولا تولع باشفاق فاعما مالنا لاوارث الباقي
 وجاء الشرع الاسلامي فأقر تحبيط الميت وتكفينه وذكره تسريح شعره
 الصلاة على الميت - كانوا يصلون على موتاهم وصلاتهم اذا مات الرجل
 وحمل على سريره ان يقوم وايه فيذكر محاسنه كلها ويثنى عليه . قال رجل من
 كلب في الجاهلية لابن ابن له

اعمرو ان هلكت وكنتم حيا فاني مكثرت لك من صلاتي

قيل وأول من صلى في الجاهلية على الميت عطيرة بن صعب السكسكي .
 ومن بايغ ما ورد من ذلك في الاسلام ما ذكره الحرمازي وغيره من
 ان الاحنف بن قيس لما مات بالكوفة أبام خرج مع مصعب بن الزبير
 الى قتال المختار فلما دفن قامت امرأة على قبره من بني مقرر فقالت : لله درك
 من محرج في جنن ومدرج في كفن ففسأل الذي فجعا بموتك وابتلايا بفقدك

(١) القبطية بالضم وقد تكسر ثياب من كنان تنسج بمصر منسوبة
 الى القبط على غير القياس كالدهرى جمعه قباطي بالتشديد وقباطي بالتخفيف

أن يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير دليلك وان يوسع لك في قبرك ويغفر لك يوم حشرك . ثم اقبلت بوجهها على الناس فقالت ، معشر الناس أن أولياء الله في بلاده شهود على عباده وانا فائزون حقاً ومثنون صدقاً . وهو أهل الحسن الثناء وطيب الدعاء . ثم اقبلت على الفبر فقالت : اما والذي كنت من أجله في عدة ومن الضمان الى غاية ومن الحياة الى نهاية الذي رفع عملك عند انقضاء أجلك لقد عشت حميداً مودوداً ولقد مت فقيداً سعيداً وان كنت لعظيم السلم فاضل الحلم وار كنت من الرجال اشريفاً وعلى الارامل عطوفاً وفي العشرة مسوداً والى الخلفاء موفداً . ولقد كانوا اقوالك مستمعين ولرايك متبعين . فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها . سرير الميت - كانوا يحملون الميت اما عنى الحرج وهر خشب يشد بعضه الى بعض قال امرؤ القيس

فاما ترى في رحالة جابر على حرج كالقر تهنق أكفاني (١)

وأما على النعش وهو سرير الميت وقيل النعش للمرأة والسرير للرجل ذكر ذلك ابن سيدة في المختص . وعلى اختصاص المرأة بالنعش فأول امرأة حملت في نعش زينب بنت جحش زوج النبي عليه السلام كما حكاه القلقشندي في صبح الاعشى لكن جاء في كتاب وفا الوفا باخبار دار المصطفى ما يقتضي ان أول امرأة حملت في نعش هي فاطمة بنت رسول الله وذات النواصي بعد وفاة أبيها كمدت سبعين بين يوم وليلة . فقالت : يا أسماء بنت عميس اني لا استحي من جلالة جسمي اذا أخرجت على الرجال غداً وكانوا يحملون الرجال كما يحملون النساء وقيل قالت يا أسماء اني قد استقبحت ما يصنع بالذنا . انه يطرح على المرأة الثوب فيصنعها . قالت أسماء : يا ابنة رسول الله ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة فدعت بمراشد رطبة فحننها ثم طرحت عليها ثوباً . فقالت فاطمة :

(١) الرحالة هنا خشبة كان يحمل عليها امرؤ القيس وكان مريضاً وجابر من

بنى نعلب وكان هو وعمرو بن قميئة يحملانه و(الحرج) خشب يحمل فيه الموتى و(الفر) مركب من مراكب النساء كالهودج

ما أحسن هذا وأجمله تعرف به المرأة من الرجل . فإذا أنا مت فاعلميني أنت وعلى ولا ندخلي على أحدا فلما توفيت جاءت عائشة تدخل . فقالت أسماء : لا تدخل فمشكت إلى أبي بكر قالت : إن هذه الحنظلية تحول بيننا وبين بنت رسول الله وقد جعلت لها مثل هودج العروس . فجاء أبو بكر فوقف على الباب فقال يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخلن على بنت رسول الله وقد جعلت لها مثل هودج العروس . فقالت أم رثي ألا تدخل عليها أحد وأريتها هذا الذي صنعت بهي حية فأمرني أن أصنع ذلك لها . قال أبو بكر : فاصنعي ما أمرتك ثم انصرف وغسلها على وأسماء (١) رضى الله عنهما وروى أن فاطمة لما أرستها أسماء النعش تبسمت وما رؤيت متبسمة بعد موت النبي عليه السلام إلا يومئذ واتخذ النعش بعد ذلك سنة

قال ابن عبد البر : فاطمة أول من غطي نعشها من النساء في الإسلام على الصفة المذكورة في الخبر المتقدم ثم بمدّها زينب بنت جحش صنع بها ذلك (وعلى ذلك فأولية زينب بنت جحش التي حكاهما القاقشدي إنما هي بالنسبة لمن عدا فاطمة .

تشيع الجنازة - فاذا وضعوا الميت على سريرته حملوه وساروا به إلى

القبر . قال حاتم الطائي

فاصدق حديثك إن المرء يتبعه ما كان يبني إذا ما نمشه حملا

وقالت الحنساء ترضى صخرا

وبائلة والنفس قد فات خطوها لتدركه يالهف نفسي على صخر

ألا ثكلت أم الدين غدوا به إلى الفير ماذا يحملون إلى القبر

وكانت تحمل البيران في تشيع الجنازة وتتبعها النوائح وقد نهى الإسلام

(١) منعت الحنظلية الزوج من تغسيل زوجته ومسها لا من النظر إليها

وأجازته الأئمة الثلاثة وحجتهم غسل على فاطمة واحتج الحنظلية بقوله عليه

السلام كل سبب وسب ينقطع بالموت إلا سببي . نسبي مع أن بعض الصحابة

أنكر على ذلك

عن ذلك لانه من شعار الجاهلية وقال عمرو بن العاص حين حضرته الوفاة من حديث له رواه مسلم في صحيحه فاذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فسنوا على التراب سدا (١) ثم أقيموا حدي قدر ما تنحرج زور ويقسم لهما حتى استأنس بكم وانظر ماذا أراجع به رسل ربي فوهم نائحة - كانوا يقومون للجسارة ويقولون كنت في أهلك ما أنت مرتين . وشاهده ما رواه البخاري في صحيحه بسنده قال أخبرني عمرو أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه أن القاسم كان يعيش بين يدي الجسارة ولا يقوم لها ويخبر عن عائشة أنها قالت كان أهلك في الجاهلية يقومون لها ويقولون اذا رأوها كنت في أهلك ما أنت مرتين

قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري . أي يقولون ذلك مرتين وما موصولة وبعض الصلة محذوف . والتقدير كنت في أهلك الذي كنت فيه . أي الذي أنت فيه الآن كنت في الحياة مثله لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بل كانوا يعتقدون أن الروح اذا خرجت اصير طيرا فان كان لك من أهل الخير كان روحه من صالح الطير والا فبالعكس ويحتمل أن يكون قولهم هذا دعاء للميت ويحتمل أن تكون ما نافية ونقظ مرتين من تمام الكلام أي لا تكوني في أهلك مرتين المرة الواحدة الى كنت فيهم انقضت وليست بعائدة اليهم مرد أخرى ويحتمل أن تكون ما استفهامية أي كنت في أهلك شريفة فأى شيء أنت الآن يقولون ذلك حزنا وتأسفا عليه

مقابرهم كانوا يحفرون لموتاهم قبورا أو لحودا (١) يدفنونهم بها قال

عنبرة العبدى

بالله ما بال الاحبة أعرضت عنا وراحت بالفراق صدودها

رضيت مصاحبة البلى واستوطمت بمد البيوت قبورها ولحودها

وقال حاتم الطائي

(١) سن التراب صبه في سهولة (٢) القبر مدفن اللسان و (اللحود)

جمع اللحد بالفتح والضم وهو الشق يكون في عرض القبر .

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى اذا حشرت يوم ما وضاق بها الصدر
اذا أنا دلانى الذين أحبهم بملح ودة زليخ جوانبها غبر
وراحوا سراعا ينفضون أكفهم يقولون قد دمي أنا ملنا الحفر
ومن القبور ما يدنى ومنه ما يجعل فوقه كومة من التراب وتوضع فوقها
الحجارة لتدل على مكان القبر قال طرفة بن العبد
أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوى فى البطالة مفسد (١)
ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح منضد (٢)
وقال لبيد بن ربيعة العامري
وهل هو الا ما ابتى فى حياته اذا قذفوا فوق الضريح الجنادلا
وقال دريد بن الصمة يرثى معاوية أخا الخنساء لما قتلتها بنو مرة
رأيت مكانه فمطقت زورا وأين مكان زور يا ابن بكر
الى ارم وأحجار وصير وأغصان من السامات سمر (٣)
وببيان القبور أنى عليها طوال الدهر من سنة وشهر
وقال البرج بن مسهر الطائي
نطوف ما نطوف ثم بأوى ذوو الاموال منا والعديم
الى حفر أسافلهم جوف وأعلاهم صفاح مقبم (٤)
وقالت الخنساء من قصيدة ترثى بها صخرها
فى جوف رءس مقبم قد تضمنه فى رسمه مقمطرات وأحجار (٥)

(١) النحام البخيل و (الغوى) الضال والبطالة ضد العمل (٢) جثوتين
تثنية جثوة بالتثليث وهى الكومة من التراب وغيره و (صفائح) جمع صفيحة
وهى حجارة عراض رقاق و (منضد) مجعول بعضه فوق بعض
(٣) الارم كعنب العلم و (الصير) واحده صيرة وهى حظيرة الغنم .
(٤) الجوف المطمئن من الارض و (الصفاح) حجارة عراض رقاق
(٥) قال أبو عمرو مقمطرات صخور عظام وأحجار صغار

وقال حفص بن الاحنف الكنانى (١)

نمرت قلوصى من حجارة حرة بنيت على طلق اليدىن وهوب (٢)
لا تنقرى يا ناق منه فانه شريب خمر مسعر لحروب (٣)
واذا كان للميت منزلة وشرف بنوا على قبره قبة أو بيتا أو بناء مشرفا
كأطم من الآطام مباهاة ونفرا وأماظما وزهوا فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك . وقال عدى بن ربيعة المعروف بالمهلل التغلبى من قصيدة فى رثاء
كليب أخيه وكانت على قبره قبة رفيعة

سألت الحى أين دفنتموه فقالوا لى بسفح الحى دار
فسرت اليه من بلدى حثيثا وطار النوم وامتنع القرار
وحادت ناقتى عن ظل قبر ثوى فيه المكارم والفخار
ومن ذلك ما رواه الأصبهانى فى الاغنى عن الأصمعى وأبى عبيدة ان
رحلا من غنى . يقال له قيس الدماى وفد على بعض الملوك . وكان قيس سيدا
جوادا فلما حفل المجلس أقبل الملك على من حضره من وفود العرب . وقال
لادمع تاجى على أكرم رحل من العرب فوضعه على رأس قيس وأعطاه ما
شاء وناداه مدة ثم أذن له فى الانصراف الى بلده فلما قرب من بلاد طى
خرجوا اليه وهم لا يعرفونه ففتلوه فلما علموا أنه قيس ندموا لاياد له كانت
فيهم فدفنوه وبنوا عليه بيتا — وقد بنى المنذر الأكبر الغريانى وهما منارة بن
على قبرى عمرو بن مسعود وخالد بن فضالة الأسديين . وسنذكر خبرهما
عند الكلام على العقر — واذا كان الميت من النصارى وضعوا جثته فى
صندوق يسمى التابوت ويسمى الاران أيضا .

(١) فى الاغنى ان هذا الشعر ينسب لحسان بن ثابت وقيل أيضا انه
لضرار بن الخطاب النهرى . وذكر ان محمد بن سلام قال الصحيح انها لعمرو
ابن شقيق أحد بنى فهر بن مالك قال ومن الناس من يرونها لكرز بن حفص
ابن الاحنف العامرى وعمرو بن شقيق أولى بها (٢) الحرة بفتح الحاء أرض
ذاب حجارة نخرة سود (٢) المسعر الذى كانه آلة فى ايقاد الحروب

حمى القبر . من عاداتهم أن يجعلوا لقبر الشريف حمى لا ينتهك . حكى أبو عبيدة عن الحرمازي قال لما مات عامر بن الطفيل نصبت عليه بنو عامر أنصابا ميلا في ميل حمى على قبره لا ينشر فيه ماشية ولا يرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش وكان جبار (١) بن سلمى غائبا فلما قدم . مربقبره فقال ماهذه الانصاب قالوا نصبتناها على قبر عامر فقال ضيقتم على أبي على وأفضاتم منه فضلا كثيرا ثم وقف على قبره وقال : أنعم صباحا أبا على . فوالله لقد كنت تش الغارة وتحمى الجارة سريعا الى المولى بوعدك بطيئا عنه بإيعادك وكنت لا تصل حتى يضل النجم ولا تعطش حتى يعطش البعير ولا تجبن حتى يجبن السيل . وكنت والله خير ما كنت تكون حين لا تظن نفس بنفس خيرا .

وعامر بن الطفيل هذا كان سيدا شريفا ينادى بسوق عكاظ ويقول : هل من راجل فاحمله أو جائع فأطعمه أو خائف فأؤمنه وقد أدرك الاسلام وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوسده وسادة ثم قال أسلم يا عامر . قال : على ان لي الوبر ولك المدر . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام عامر مغصبا فولى وقال لا ملانها عليك خيلا جردا ورجالا مردا ولا ربطن بكل نخلة فرسا . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : اللهم اهد بني عامر واشغل عى عامر بن الطفيل بما شئت وكيف شئت وانى شئت نخرج عامر فأخذته غدة مثل غدة البكر فأوى الى بيت امرأة من بني سلول فجعل يثب وينزو في السماء ويقول : ياموت ابرز لى . غدة مثل غدة البعير وموت فى بيت سلولية

نضج القبر بالخر — كانوا ينضحون قبر العزيز عندهم بالخر قال نصر بن غالب أصب على قبريكما من مدامة فلا تذوقاها تروثا كما وقال حاتم يوصى امرأته بنضج الخمر على قبره

(١) كذا فى الكامل للمبرد وفى مجمع الامثال انه حبان بالحاء المهملة آخره

نون ابن سلمى بن عامر بن مالك

أماوى امامت فاسمى بنطقة من الحجر ربا فانضحن بها قبرى
السقيا للقبر — وكانت العرب تحب نزول المطر على القبور وقد طلبت
لها السقيا قال المانعة الديباني من قصيدة يرثى بها النعمان بن الحارث بن
أبى شمر الغساني

سقى الغيث قبرايين بصري وجاسم لغيث من الوسمى قطر ووايل (١)
ولا زال ريحان ومسك وعنبر على منتهاه ديمة ثم هاطن (٢)
وينبت حوذانا وعرفا مورا سابعه من خير ما قال قائل (٣)
وقد أوصى المتأسس بذلك فى قوله من قصيدة يرثى بها نفسه

خليلى امامت يوماد زحزحت هنا بنا كما فيما يرزح الدهر
فرا على قبرى فقومما فسلما وقولا سقاك الغيث والقطر بامبر
وفال مهمل من قصيدة فى رثاء أخيه كليب

أجبنى يا كليب خلاك ذم لقد فجعت بفارسها نزار
سقاك الغيث لك كنت غينا ويسرا حين يلمس اليسار
والاشعار فى هذا المعنى كثيرة مستهينة

وقد اختلف فى سبب استسقاءهم لها فقال الوزير أبو بكر عاصم بن
أيوب البطل بوسى تدعو العرب للقبور بالسقيا ليكثر الخصب حولها فيقصد
كل من مر بها دعاء لها بالرحمة

وقال التبريزى فى شرح الحماسة عند قول عكرشة العيسى من رثاء بنيه
سقى الله أجسادنا ورأى تركتها بحاضر قنسرين من سبل القطر

(١) بصري وجاسم موضعان بالشام و (الوسمى) أول المطر لانه يسم
الارض بالنبات (٢) وروى ابن الاعرابى : ريحان ومسك يشيره على
منتواه . و (يشيره) أى يهيج رائحته ويذكىه و (منتواه) موضع تباعده
عن الاحياء . ومن روى منتهاه أراد قبره لانه الموضع الذى ينتهى اليه سعى
الانسان (٣) الحوذان والعرف نباتان الا أن الحوذان اطيب رائحة .
وقوله (سابعه من خير ما قال قائل) أى سأثنى عليه بأحسن القول

مضوا لا يريدون الرواح وغالهم من الدهر أسباب جرين على قدر
ولو يستطيعون الرواح تروحو معي وغدوا في المصبحين على ظهر (١)
لعمري لقد وارت وضمت قبورهم أ كفاً شدا القبض بالاسل السمر
والقصد من طلب السقيا لها أن تبقى عهدا غضة من الدروس طرية لا يتسلط
عليها ما يزيل جدتها ونضارتها ألا ترى انه لما أراد الشاعر ضد ذلك قال :
فلا سقاها الا النار تضطرم * وقال السهيلي عند قول كعب بن مالك في
رثاء من قتل من الشهداء يوم موتة

صلى الآله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل
(وقوله وسقى عظامهم الغمام المسبل يرد قول من قال انما استسقت العرب لقبور
أحببتها لتخصب أرضها فلا يحتاجوا الى الانتقال عنها لطلب النجعة في البلاد .
وقال قاسم بن ثابت في الدلائل فلهذا كعب يستسقى لعظام الشهداء بموتة وليس
معهم وكذلك قول الآخر

سقى مطفيات المحل جودا وديمة عظام ابن ليلى حيث كان رميمها
فقوله حيث كان رميمها يدل على أنه ليس مقيما معه وانما استسقاؤهم لاهل القبور
استرحام لهم لان السقيا رحمة وضدها عذاب)

وكانت العرب تزعم أن المطر يسقى قبر أحد بنى عبد القيس ونسله حكى
ابن عبد ربه في كتاب النسب من العقد الفريد أن رباب بن زيد بن عمرو بن
جابر بن ضبيب كان ممن وحد الله في الجاهلية وسأل عنه النبي وقد عبد القيس .
وكان يسقى قبر كل من مات من ولده . وفي ذلك يقول الحجين بن عبد الله
ومنا الذي بالبعث يعرف نسله اذا مات منهم ميت جيد بالقطر
رباب وأنى للبرية كلها بمثل رباب حين يخطر بالسمر

وفي المعارف لابن قتيبة (أرباب بن رباب (٢) هو من عبد القيس من شن .
وكان على دين عيسى وسمعوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى

(١) أى لغدوا في صباح اليوم التالى على ظهر الارض ولم يصيروا في بطنها
مع الاموات (٢) في السيرة الحلبية نقلا عن ابن قتيبة أن اسمه رباب بن البراء
(١٣)

خير أهل الأرض ثلاثة رثاب الشنى وبحيرا الراهب وآخر لم يأت بعد يريد
النبي صلى الله عليه وسلم . وكان لا يموت أحد من ولد أرباب فيدفن الا رأوا
طشا على قبره) والطش المطر الضعيف

العقر على القبر ونضحه بالدماء - كانوا يعقرون (١) على قبر العظيم أو السيد

الشريف الخليل أو النوق وينضحون القبر بدمائها . وقد ذكر سبب عقرهم الابل
ابن السيد فيما كتبه على كامل المبرد فقال « واختلف في سبب عقرهم الابل على
القبور فقال قوم انما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقر من
الابل في حياته وينحره للاضياف واحتجوا بقول زياد الاعجم

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخادم وذبايح

وقد قال قوم انما كانوا يفعلون ذلك اعظاما للميت كما كانوا يذبحون للاصنام
وقيل انما كانوا يفعلونه لان الابل كانت تأكل عظام الموتى اذا بليت فكأنهم
يثأرون لهم منها . وقيل ان الابل أنفست أموالهم فكأنهم يريدون بذلك انها
قد هانت عليهم لعظم المصيبة « نقل ذلك عنه البغدادى فى خزانة الادب .
والشواهد على عقر الابل والخليل كثيرة من ذلك ما حكاه المبرد فى الكامل
أن رجلا عربيا وقف على قبر النجاشى فترحم وقال : لولا أن القول لا يحيط
بما فيك والوصف يقصر دونك لا طنيت بل لاسهيت ثم عقر ناقته على قبره وقال

عذرت على قبر النجاشى ناقي يا من غضب أخايمته سياقله

على قبر من لو اننى مت قبله هانت عليه عند قبرى رواحله

وقال حريبة بن الاشيم الفقعسى يوصى ابنه بأن يعقر على قبره

اذا مت فادفنى بجداء ما بها سوى الاصرخين أو يفوز راكب

فان انت لم تعقر على مطيتى فلا قام فى مال لك الدهر حالب (٢)

ولا تدفنى فى صوى وادفنى بدمعومة تنزو عليها الجنادب (٣)

(١) عقر البعير بالسيف عقرا من باب ضرب اذا ضرب قوائمه به لا يطلق

العقر فى غير القوائم وربما قيل عقره اذا نحره كذا فى المصباح (٢) يدعوه عليه

ينفقد ما يحلب من الشاء والابل اذا لم يعقر مطيته (٣) الصوى جمع صوة بضم

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة « وقد ذكرت في مجموعي المسعى بالعقري الحسان أن أبا عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالغ رحمه الله ذكر في كتابه في آراء العرب وأديانها هذه الآيات واستشهد بها على ما كانوا يعتمدون في البلية وقلت إنه وهم في ذلك وإنه ليس في هذه الآيات دلالة على هذا المعنى ولا لها به تعلق وإنما هي وصية لولده أن يعقر مطيته بعد موته أما لكي لا يركبها غيره بعده أو على هيئة القربان كالهدي المعقور بمكة أو كما كانوا يعقرون عند القبور . ثم قال ومذهبهم في العقر على القبور مشهور وليس في هذا الشعر ما يدل على مذهبهم في البلية فإن ظن ظان أن قوله أو يفوز راكب فيه إيماء إلى ذلك فليس الأمر كما ظنه ومعنى البيت ادْفني بفلاة جداء مقطوعة عن الأنس ليس بها إلا الذئب والغراب أو أن يعتسف راكبها المفازة وهي المهلكة سموها مفازة على طريق الفأل وقيل إنها سعى مفازة من فور أي هلك فليس في البيت ذكر البلية ولكن الخالغ أخطأ في إرادته في هذا الباب كما أخطأ في هذا الباب أيضا في إرادته قول مالك بن الريب

وعطل قلوصى في الركاب فلها ستبرد أكبادا وتبكي بواكيا
فظن أن ذلك من هذا الباب الذي نحن فيه ولم يرد الناصر ذلك وإنما أراد لا تركبوا راكبتى بعدى وعطلوها بحيث لا يشاهدها أعادى وأصادق ذاهبة
جائية نحت راكبها فيشمت العدو ويساء الصديق

ومن العقر على القبور ما ذكره أبو علي القالي في الامالى قال لما مات عمرو ابن حمزة الدوسي وكان أحد من يتحاكم اليه العرب مر بقبره ثلاثة نفر من أهل يثرب قادمين من الشام الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد أبو كلثوم ابن الهدم الذي نزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعتيك بن قيس بن هيشة ابن أمية بن معاوية وحاطب بن قيس بن هيشة الذي كانت بسببه حرب حاطب فمقروا رواحلهم على قبره وقام الهدم فقال

الصاد وهو ما غلظ وارتفع من الأرض و (الديمومة) الفلاة الواسعة
(ننزو) تثب و (الجندب) الجراد جمعه جنادب

لقد ضمت الاثراء منك مرزاً
 حلیم اذا ما الحلم كان حزامه
 اذا قلت لم تترك مقالا لقائل
 ليبكك من كانت حياتك عزه
 سقى الارض ذات الطول والعرض مثجم
 وما بى سقيا الارض لكن تربة
 وقام عتيك بن قيس فقال :

برغم العلا والجود والمجد والندی
 لقد غال صرف الدهر منك مرزاً
 يضم العفاة الطارقین فناؤه
 ويسرو دجى الهيجا مضاء عزيمه
 ويستهمز الجيش المرمر باسمه
 وينقاد ذو البأوالابی لحكمه
 ويمضى اذا ما الحرب مد رواقه
 فأما تصبنا الحادثات بنسكبه
 طواك الردى ياخير حاف وناعل
 نهوضا بأعباء الامور الاثاقل
 كما ضم أم الرأس شعب القبائل (٥)
 كما كشف الصبح أطراق الغياطل (٦)
 وان كان جرارا كثير الصواهل
 فيرتد قسراً وهو جم الدغاؤل (٧)
 على الروع ورفضت صدور العوامل (٨)
 رمتك بها احدى الدواهي الضآبل (٩)

(١) الاثراء جمع الثرى وهو التراب الندى و (الرزيئة المصيبة كالرزة
 (٢) الحزامه والحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة (٣) الصغر خلاف العظم
 (٤) مثجم أى سحاب سريع المطر مديمه و (الاحم) الاسود من كل شئ
 و (الرحى) وسط الغيم ومعظمه ووسط الحرب ومعظمها (٥) العافى الرائد
 والوارد والضيف وكل طالب فضل أو رزق و (قبائل الرأس) واحده قبيلة
 للقطع المشعوب بعضها الى بعض (٦) يسرو يكشف و (الدجى) الظلمة و (الهيجا)
 الحرب و (اطراق) اطرق الليل ركب بعضه فوق بعض و (الغيطة) الظلمة أو
 اختلاط الاصوات وقال ابن الاعرابى هى التفاف الناس واجتماعهم (٧) البأو
 الفخر و (الدغاؤل) الدواهي (٨) الروع الفزع و (ارفضت) سالت و (عامل)
 الرمح وعاملته صدره (٩) الضآبل الدواهي واحدها ضئبل

فلا تبعدن ان الحتوف موارد وقام حاطب بن قيس فقال :

سلام على القبر الذي ضم أعظما سلام عليه كلما ذر شارق
فيا قبر عمرو جاد أرضا تمطفت تضمنت جسما طاب حيا وميتا
فلو نطقت أرض لقال تراها الى مرمس قد حل بين ترابه
فلو وألت من سطوة الموت مهجة فلا يبعدنك الله حيا وميتا
وقد كنت تمضي الحكم غير مهمل لعمر والذى حطت اليه على الونا
لقد هدم العلياء موتك جانبا

ومن العقر على القبور في الجاهلية عقر المنذر الاكبر على قبر عمرو بن مسعود
وخالد بن فضلة الاسديين الابل والخيول وطلاهما بالدماء . وقد بي على قبرهما
الغريان (٨) روى انهما كانا يقدان على المنذر الاكبر في كل سنة فيقيمان
عنده ويادمانه وكانت اسد وغطفان لا يدينون للملوك ويغيرون عليهم فوفدا
سنة من السنين فقال المنذر لخالد يوما وهم على الشراب يا خالد من ربك فقال

(١) الوائل طالب النجاة (٢) ذر طلع (٣) المات السحاب الدائم المطر (٤) والمرزم
الرعدي الشديد صوته (٥) المرمس القبر (٦) الاضبط والضيغم اسمان للاسد
(٧) وألت نجت ويشتم يبطن ويشتم يحرك ويدفع (٨) المهمل المتوقف يقال
حمل عليه فما همل و (الابل) الظلوم و (الغشمشم) الذي يركب رأسه ولا يشبهه
شيء عما يحب ويهوى (٩) الحداير جم حدبار وهي المنحنية الظهر (والني) الشحم
و (المتهم) الذائب (٨) في القاموس الغري كغنى البناء الجيد ومنه الغريان بناء ان
مشهوران بالكوفة .

خالد عمرو بن مسعود ربي وربك فامسك عنهما ثم قال لهما ما يمنعكما من
الدخول في طاعتي وان تدنوا مني كما دت تميم وربيعه فقالا أبيت اللعن هذه
البلاد لا تلائم مواشينا ونحن مع هذا قريب منك بهذا الرمل فاداشت
أجبنك فعلم انهما لا يدخلان في حكمه فأوحى الى الساقى فسفاهما سما فانصرفا
من عنده بالسكر على خلاف ما كانا ينصرفان فلما كان في بعض الايام أحس
حبيب بن خالد بالامر لما رأى من شدة سكرهما فنادى خالدا فلم يجبه فقام
اليه فحركه فسقط بعض جسده وفعل بعمرو مثل ذلك فكان حاله كحال
وأصبح المنذر نادماً على قتلهما فغدا عليه حبيب بن خالد فقال أبيت اللعن
أسعدك الاهل نديماك وخيالاك تتابعا في ساعة واحدة فقال له يا حبيب
أعلى الموت تستعدينى وهل ترى الا ابن ميت وأحامي ميت ثم أمر حففر لهما
قبران بظاهر الكوفة فدفا فيهما وبني عليهما منارتين فهما الغريان وعقر على
قبر كل خمسين فرسا وخمسين بعيرا وغراهما بدسائها وجمال يوم نادتهما يوم
نعيم ويوم دفنهما يوم بؤس

ومن هذا الباب أيضا ما حكاه الاصبهاني في الاغانى أن حسان بن ثابت
لما مر بقبر ربيعة بن مكدم قال يعتذر لعدم عقر ناقته على قبره

لا يبعدن ربيعة بن مكدم	وسقى الغواذى قبره بذنوب (١)
نفرت فلوصى من حجارة حرة	بنيت على طلق اليدبن وهوب
لا تنفري يا ناق منه فانه	شريب خمر مسعر لحروب (٢)
لولا السفار ولعد قفر مهمه	لتركبتها تحبو على عرقوب (٣)

(١) هذا الشعر نسبته أبو تمام في الحماسة لحفص بن الاحنف الكنانى
وقد مناهنا من تنسب له هذه الابيات أيضا . و (الذنوب) الدلو العظيمة
وقيل لا تسمى ذنوباً حتى يكون فيها ماء . وقد استعاره للغيث . وربما
جعل الذنوب في الحظ والنصيب (٢) المسعر الذى كانه آلة في أسعار الحرب
(٣) المهمة الممازة . و (الحبو) الزحف قبل القيام ويفعله البعير
المعقول وهو يريد المشى و (العرقوب) من الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى

فبلغ شعره بنى كنانة فقالوا والله لو عقرها لسقنا اليه الف ناقة سودا الحدق ولا عبرة لقول ابن عبد ربه في العقد الفريد « كان يعقر على قبر ربيعة بن مكدم في الجاهلية ولم يعقر على قبر أحد غيره لما قدمناه ومنه ظهر ان العقر من سنن الجاهلية وعاداتهم المستفيدة ولمشابهته القربان الذي يقدم للاصنام نهي عليه الصلاة والسلام عنه بقوله لا عقر الاسلام ولتأصل هذه العادة من نفوس العرب لم يجتنبها بعضهم في الاسلام وشاهده قول أبي عمر وهانل بن العلاء الرقي (وعقر في الجاهلية على قبر ربيعة بن مكدم وفي الاسلام على قبر المغيرة بن المهلب عقر عليه كعب بن أبي ثور) وقال زياد الاعجم يرثي المغيرة ابن المهلب بن أبي صمرة

قل لا قوافل والغزاة اذا غزوا والباثرين وللمجد الرائع (١)

ان السامة والمروءة ضحنا قبرا بمرو على الطريق الواصح

فاذا صررت بقبره فاعقر به كوم الجلال وكل طرف ساجح (٢)

والفضح جوائب قبره بدمائها فلقد يكرن أخادم وذبايح (٣)

روى ان زياداً الاعجم أنشد المهلب هذه القصيدة فلما أتى على قوله

فاذا صررت بقبره فاعقر به كوم الجلال وكل طرف ساجح

قال له مهلاً عقرت عليه يا أبا امامة فرسك قال انى كنت على مقرف ولو

يديها وقوله (تحبو على عرقوب) كناية عن الذبح لان العرب كانوا

يضربون ساق الناقة قبل ذبحها قال أبو طالب

ضروب بنصل السيف سوق سمانها اذا عديموا زادا فالك عاقر

(١) روى أبو الحسن والغزى اذا غروا و (القوافل) جمع فافلة وهي

الرفقة الراجعة من سفرها الى وطنها و (الغزاة) جمع غاز

(٢) عقر البعير اذا ضرب بالسيف قوائمه و (الكوم) بالضم جمع

كوماً بالفتح والمد الناقة السمينة و (الجلال) جمع جلدة وهي أدمم الابل

لبناء و (الطرف) بكسر الطاء الاصيل من الخيل و (ساجح) جار بقوة و يروى

كل طرف طامح (٣) المضح الرش القليل

كنت على عتيق (١) لفعلت فاستحسن قوله وقال لمن حضره من ولده ومواليه لينفذ كل واحد منكم الى زياد فرساً من خيله فانصرف بمدة افراس ومن ذلك قول الفرزدق يرثي بشر بن مروان ويزعم انه عقر فرسه على قبره من قصيدة أولها

أعني الا تسعداني المكما وما بعد بشر من عزاء ولا صبر (٢)
وقل جداء عبرة تسفحانها على انها تشفى الحرارة في الصدر (٣)
ولو أن قرما قاتلوا الموت قبلما بشيء لقاتلت المنية عن بشر
الى أن قال في عقر فرسه

أقول لمحبوك السراة كأنه من الخيل مجنوب الاطاقة والمخصر (٤)
أغر صريحي أبوه وأمه طويل أمراًته الجياد على شذر (٥)
أنصهل عندي بمعد بشر ولم تذق ذكورة قطاع الضريبة ذي أثر (٦)
غضبت ولم أملك لبشر بصارم على فرس عند الجنازة والقبر (٧)
حافت له لا يتبع الخيل بعدد ما صحيح الشوى حتى تكوس من العقر (٨)
أنا شحيحة انت ركبتيك دمدتها ليوم رهان أو غدوت منى تجري
وقال أبو عبدة دعوى المرزدق أنه عقر فرسه على بشر بن مروان كذب
(وكانوا) يطعمون ما يعقر للفقراء والمساكين
وقد أحسن بعض المحدثين في هذا المعنى فقال

(١) المقرف من الفرس وغيره من أمه عربية لا أبوه والفرس (العتيق) الكريم
(٢) أسعده الله أعانه (٣) الجداء الثواب (٤) محبوك السراة قوى الظهر
(٥) الصريح فرس عبد غوث بن حرب وآخر لبني نهشل وآخر للخم و (أمراته) فتلته و (الشذر) قتل الجبل عن اليسار والمعنى ان آباءه أورثته القوة (٦) المذكور من السيوف ذو الماء و (الضريبة) حد السيف و (الاثر) فرند السيف وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نمل
(٧) الجنازة الميت (٨) الشوى اليدان والرجلان والاطراف (كاس) البعير مشى على ثلاث قوائم وهو معرقب

أيها الناعيان من تنعيان وعلى من أراكما تبكيان
 اندبا الماجد الكريم أبا اسحق — اقرب المعروف والاحسان
 واذهباني ان لم يكن لك ماعة — ر الى جنب قبره فاعقراني
 وانضحا من دمي عليه فقد كان دمي من نداه لو تعلمان

العقر للضيافة نيابة عن الميت — كما كانوا يعقرون الابل والخيول عند نزول
 الموت أشمارا بأن أنفس أموالهم هانت عليهم لعظم المصيبة كانوا يعقرون
 عند القبر اذا صروا به نيابة عن الميت في قرى الضيفان قال التبريزي في شرح
 الحماسة عند قول حسان بن ثابت

لولا السفار وبعد قعر مهمه لتركبتها تحبو على عرقوب
 كانت المادة في العرب ان الواحد اذا اجتاز بقبر كريم كان مأوى
 للضياف ينحدر راحلته ويطعمها للناس اذا أعوز الزاد ولم يتسع يفعل ذلك
 نيابة عنه الا أن يمنع مانع من بعد سفر أو ما يجري مجراه فصار هذا
 يعتذر من ابقائه على راحلته وقال في شرح قول جرير يرثي فليس بن ضرار
 ابن القعقاع

وحق لقيس أن يباح له الحمى وأن تعقر الوحناء أن خف زادها
 كان الواحد منهم اذا مر بقبر رئيس وهر في صحبة أحب أن ينوب عن
 المقبور في الضيافة واذا لم يساعد من الطعام ما يدعو الناس اليه عقر ناقته
 اكراما لذلك قال : وان تعقر الوحناء ان خف زادها — ثم قال وذكر الثوري ما
 يشبه هذا ورد عليه أبو محمد الاعرابي فقال ان قوله وان تعقر الوحناء ان خف
 زادها مثل قول سعيد بن العاص بن أمية يرثي هشام بن المعيرة

ألا هلاك المأمول وهو نجيب ومن هو زاد الركب حين يقووب
 فان لم يكن زاد فان قصاره من المقرهات صعبة وركوب
 ومن العقر على القبر للقرى ما ذكره المبرد في الكامل عن لهضم مكاتب لبني
 منقر حين ظلع بمكاتبته فأتي قبر غالب فاستجار به وأخذ منه حصيات فشدهن
 في عمامته ثم أتى الفرزدق فأنشده

بقبر ابن ليلي غالب عذت بعد ما خشيت الردى او ان أُرده على قسر
 بقبر امرىء تقري المثين عظامه ولم يك الا غالباً ميت تقري
 فقال لي استقدم أمامك انما فكاكك أنت تلقى الفرزدق بالمعمر
 قال المبرد يريد بقوله تقري المثين عظامه انهم كانوا ينحرون الابل عند
 قبور عظمائهم فيطعمون الناس في الحياة وبعد الممات وهذا معروف في أشعارهم
اتخاذ البلية - وقد كان من مذهبهم في الجاهلية اتخاذ البلية وهي ناقة
 تعقل عند قبر صاحبها اذا مات حتى تموت جوعاً وعطشاً

وذكر البلية مطرود بن كعب الخزاعي من قصيدة يرثي بها المطلب وبنى
 عبد مناف جميعاً حين أتاه نعي نوفل بن عبد مناف في قوله
 ياعين فابكى أبا الشمت الشجيات يبكيه حسراً مثل البليات (١)
 يبكين أكرم من يمشى على قدم يعولنه بدموع بعد عبرات
 وقد بين مذهبهم في ذلك ابن أبي الحديد فقال «والبلية انهم اذا مات منهم كريم
 بلوا ناقة أو بعيره فمكسوا عنقه وأداروا رأسها الى مؤخرها وتركوها في
 خفيرة لا تطعم ولا تسقى حتى تموت وربما أحرقت بعد موتها وربما سلخت
 وملئ جلودها ثماماً وكانوا يزعمون أن من مات ولم يبل عليه حشر ماشياً ومن
 كانت له بلية حشر راكباً على بليته ، وقد ذكر القلقشندي في صبح
 الاعشى «أن العرب كانت تشد ناقة الميت الى قبره ويقبلون رأسها الى ورائها
 ويغطون رأسها بولية وهي البرذعة فاذا أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى .
 ويزعمون أنهم اذا فعلوا ذلك حشرت معه في المعاد ليركبها » . وقد قال أبو زيد
 في تشبيه رجال بالبلايا

كالبلايا رؤوسها في الولايا مائحات السموم خرز الحدود
 والولايا البراذع وكانوا يقوون البرذعة ويدخلونها في عنق تلك الناقة
 وقال الشهرستاني كانوا يربطون الناقة معكوسة الرأس الى مؤخرها مما يلي
 ظهرها أو مما يلي كلكها أو بطنها ويأخذون ولاية فيشدون وسطها ويقلدون
 البليات جمع بلية

عنق الناقة ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر .
ولا يتخذ البلية من لا يؤمن بالبعث . وقال حريبة بن الاشيم الفقعسي
يوصي ابنه بالبلية .

ياسعد أما اهلكن فاني أوصيك ان أخوا الوصاة الاقرب
لا تتركن أباك يسعى خلفهم تبعاً يخرج على اليدين وينسكب (١)
واحمل أباك على بعير صالح يوم القيامة ان ذلك أصوب (٢)
ولعل لي مما جمعت مطية في الحشر أركبها اذا قيل اركبوا
وقال عويمر النبهاني يوصي ابنه أيضا

أبى لا تنس البلية انها لا يبك يوم نشوره مركوب
وقال عمرو بن زيد المتمني يوصي ابنه عند موته بالبلية .

أبني زودني اذا فارقتني في القبر راحلة رحل قاتر (٣)
للبعث أركبها اذا قيل اظعنوا (٤) مستوثقين معا لحشر الحشر
من لا يوافيه على عثراته فالخلق بين مدفع أو عائر
وقال أبو العلاء المعري في رسالة الغفران (وقد كانوا في الجاهلية يكسعون
ناقة الميت على قبره ويزعمون انه اذا نهض لحشره وحدها قد بعثت له فيركبها
فليته لا يهض بنقله منكبها وهيئات بل حشروا عراة حفاة)
قولهم للميت لا بعد — كان من عادتهم الدعاء للميت بنحوهم لا تبع
وقد كثرت أشعارهم في هذا . قال أعشى بأهله من قصيدة في رثاء المنتشر بن
وهب الباهلي

(١) في رواية : لا أعرفن أباك يحشر حلمكم . وفي رواية الخطائي

لا تتركن أباك يحشر مرة عدوا يخرج على اليدين وينسكب

(٢) رواية . وتق الخطيئة انه هو أصوب (٣) القاتر من الرحال أو

السروج الجيد الوقوع على الظهر أو اللطيف منها الذي يقي الظهر ولا يعقره

(٤) رواية للبعث أركبها اذا قيل اركبوا

فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر
وقالت أم عمرو ترى ربيعة أخاها
فاذهب فلا يبعدنك الله من رجل
وقالت الخنساء من رثاء ل أخيها
اذهب فلا يبعدنك الله من رجل
وقال السموءل
دراك ضيم وطلاب بأوتار

ياليت شعري حين أندب هالكا ماذا يؤبذني به أنواحى
أيقظن لا تبعد قرب كريهة فرجتها ييسارة وسماح
وقال مخارق بن شهاب أحد بنى خزاعي بن مالك بن عمرو بن تميم .
كم شامت بى ان هلكت وقائل لا يبعدن مخارق بن شهاب
المشترى حسن الثناء بماله والمالى الجففات الاصحاب
وقد قصدوا بقاء الذكركما قصد الشنفرى فى قوله وقد قطع يده من أسره
لا تبعدى اما ذهبت شامه قرب واد تقرت حمامه
ورب قرن فصلت عظامه

وقال عبد القادر البغدادي فى خزانة الادب ولب لباب لسان العرب عند
قول الخرنق بنت هفان من قصيدة رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد
الضبي وابنها علقمة بن بشر وأخويه حسان وشرحبيل ومن قتل معه من
قومه فى يوم قلاب

لا يبعدن قومي الدين هم سم العداة وآفة الجزر (٢)

(١) يقال بعد بعدا من ناب فرح فرحا اذا هلك (٢) السم سينه
مثلثة و (العداة) الاعداء جمع عادٍ و (الآفة) العلة و (الجزر) بضم فسكون
جمع جزور والاصل بضمين كرسول ورسل فسكن الثانى تخفيفا والجزور هى
الناقة التى تمنحر فان كانت من الفم فهى جزرة بفتحتين - وصفتهم (أولا)
بالشجاعة والنجدة وانهم يقتلون أعداءهم كما يقتلهم السم و (ثانيا) بالكرم
ونحر الابل للاضياف فكانهم آفة للابل تصيبها فتهلكها

النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر (١)
 وقال ابن السينا في شرح أبيات الجمل فان قيل كيف دعت لقومها بالآ
 يهلكوا وهم قد هلكوا فالجواب ان العرب قد جرت عادتهم باستعمال
 هذه اللفظة في الدعاء للميت ولهم في ذلك غرضان (احدهما) انهم يريدون به
 استعظام موت الرجل الجليل . وكأهم لا يصدقون بموته وقد بين هذا المعنى
 زهير بن أبى سلمى بقوله

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصن والجبال جنوح
 ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل نجوم السماء والاديم صحيح
 يريد انهم يقولون مات حصن ثم يستعظمون أن ينطقوا بذلك ويقولون كيف
 يجوز أن يموت والجبال لم تنسف والنجوم لم تنكدر والقبور لم تخرج موتاهها
 وجرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادث (الغرض الثانى) انهم يريدون الدعاء
 له بأن يبقى ذكره ولا يذهب لان بقاء ذكر الانسان بعد موته بمنزلة حياته
 ألا ترى الى قول الشاعر

فائنوا علينا لا أبا لا بيكم بافعالنا ان الثناء هو الخلد

وقال آخر يرثى يزيد بن يزيد الشيباني

فان تك أفنته الليالي فأوشكت فان له ذكرا سيفنى الليالي
 وقد بين مالك بن الريب المزنى ما فى هذا المعنى من المحال فقال من قصيدة
 يقولون لا تبعد وهم يدفنونى وأبن مكان البعد الا مكانيا
 هذا وعمن لم يجد فى هذا المعنى غناء الضرار السلى فقال
 وكتيبة فرجتها بكتيبة حتى اذا التبت تقضت بها يدى

(١) تعنى بقولها (النازلين بكل معترك) انهم ينزلون عن الخيل عند ضيق
 المعترك فيقاتلون على أقدامهم وفى ذلك الوقت يتداعون نزال وتعنى بقولها
 (والطيبون معاقد الازر) انهم اعفاء فى فروعهم لان العرب تكنى بالشئ
 عما يحويه أو يشتمل عليه و (المعاقد) اما جمع معقد بكسر القاف وهو موضع
 العقد واما جمع معقد بفتح القاف وهو مصدر ميمى قال اللخمي (المعاقد) الحجز

ما كان ينبغي مقال نساءهم وقتلت دون رجالهم لا تبعد (١)
ومثله قول الشاعر

يقولون لا تبعدو من يك مسدلا على وجهه ستر من الارض يبعد
وقال قراد بن غوية بن سلمى بن ربيعة بن زبان

ألا ليت شعري ما يقولن مخارق اذا جاب الهام المسيح هامتي (٢)
وذليت في زوراء يسنى ترابها على طويلا في ذراها اقامتي (٣)
وقالوا ألا لا تبعدن اخنياله وصولته اذا القروم تسامت (٤)
وما البعد الا أن يكون مغيبا عن الناس منى نجدتي وقسامتي (٥)

معتقداتهم الدينية

نبدأ هذا الفصل باعتقادهم في الله تعالى فنقول : قد آمن به أصحاب
الاديان السماوية من العرب كما آمن به عمدة الاوثان منهم وانما حجوا للاصنام
وقربوا لها القرابين ونذروا لها النذور وعما منهم أنها تشفع لهم عند الله فقالوا
ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى . قال دمالى ولئن سألتهم من خلق السموات

والحجزة هي حبت يثنى طرف الارار في لوث الازار أى طيه و (الازر) جمع
ازار وسكن تخفيفا والاصل ضمها والازار عند العرب ماستر النصف الاسفل
من الانسان والرداء ماستر النصف الاعلى منه والعرب لا تكاد تلبس الا
الازر . وايس السراويل عندهم بادر . يروى ان اعرابيا مرّ بسر اويل ملقاة
فظنها قميصا فادخل يديه في ساقيهما وأدخل رأسه فلم يجد منفذا . فقال ما أظن
هذا الا من قصص الشياطين (١) في رواية . وقتلت بين (٢) معنى البيت جاب
صداه صدامهم على عاداتهم فيما كانوا يقولون أن عظام الموتى تصير اصداء وهاما
(٣) أى أرسلت في حفرة معوجه يمنى اللحد و (يسنى ترابها)
أى يها ترابها على (٤) اختياله أدلاله وتجبره و (القروم) الفحول ويريد
بنسامت القروم تنازلت (٥) القسامة الحسن ويروى مكانها نسالى
أى نجدتي وشجاعتى

والارض ليقولن الله . فكان كفرهم بخضوعهم لها الخضوع التام واحترامهم اياها أعظم الاحترام لان الله خص نفسه بغاية التعظيم ولم يرض الوساطة بينه وبين عباده لانه قريب يحيب دعوة الداع اذا دعاه وهو أقرب اليه من جبل الوريد ومن العرب من انكر وجود الله . وحكى الشهرستاني مذهبهم فقال : (وصنف منهم أنكروا الخالق والمبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيى والدهر المفقى وهم الذين اخبر عنهم القرآن المجيد وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر اشارة الى الطبائع المحسوسة وقصر الحياة والموت على تركيبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون فاستدل عليهم بضرورات فكرية وآيات قرآنية فطرية في كم آية وكم سورة فقال تعالى : أولم يتفكروا ما يصاحبهم من جنة ان هو الا مذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض . وقال أولم ينظروا الى ما خلق الله . وقال يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي حاقكم فنبئت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق فانه قادر على الكمال ابداء واعادة)

الا انبياء والرسل الكرام - قد آمن كل أهل دين سماوى بالانبياء والمرسلين الذين ذكرهم نبيهم أو أخبر عنهم كتابهم . اما الدهريون الذين أنكروا الخالق فأنكروا الانبياء والمرسلين كما أنكرهم عباد الاصنام وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الاسواق الى قوله ان تتبعون الا رجلا مسحورا قال الشهرستاني (وكان انكارهم لبعث الرسول في الصورة البشرية أشد واصرارهم على ذلك أبلغ وأخبر عنهم التنزيل وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا أبشر يهدونا فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد أن يأتي ملك من السماء وقالوا لولا أنزل عليه ملك . ومن كان لا يعترف بهم كان يقول الشفييع والوسيلة منا الى الله تعالى هم الانصاب المنصوبة اما الائم والشرعية من الله اليها فهو المنكر فيعبدون الاصنام التي هي الوسائل)

البعث والحساب - اختلف اعتقاد العرب في البعث اختلافا كثيرا فأكثر عباد الاصنام الذين تقربوا لله بعبادتها أنكروا بعث الاجساد مع اقرارهم بالخالق وابتداء الخلق والابداع - فقالوا (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون) وقال تعالى فيهم (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم - وقد استدل الله تعالى عليهم بالنشأة الاولى لا عترافهم بها فقال (قل يحييها الذى انشأها أول مرة) وقال (أفعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد) ومن أشعارهم الدالة على انكار البعث قول بعضهم

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يأثم عمرو
وقال شداد بن الاسود الليثى يرثى قتلى بدر من المشركين ويتهم بما أنزل
على سيدنا محمد

ألا من مبلغ الرحمن غنى بأنى تارك شهر الصيام
إذا ما الرأس زايل منكبيه فقد شبع الانيس من الطعام
أيعدنا ابن كبشة أن سنحيا وكيف حياة اصداء وهام (١)
أترك ان ترد الموت عى وتحييني اذا بليت عظامى
ومنه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وعرض الاعمال يومئذ للحساب بقية
فيهم من الاديان السماوية وقال أعشى قيس فى ذلك

فأأيلى على هيكلى بناء وصلب فيه وصارا (٢)
يرواح من صلوات الملى لك طور اسجودا و طور اجوارا (٣)
بأعظم منك تقى فى الحساب اذا النسمة نفضن الغبارا (٤)
وقال حاتم الطائى فى البعث واستنثاره تعالى بعلم الغيب
اما والذى لا يعلم الغيب غيره ويحيى العظام البيض وهى رميم

(١) يريد ابن كبشة سيدنا محمد رسول الله (٢) الايلى الراهب و (الهيكلى) بيت النصرى فيه صورة مريم وديرهم و (صلب) اتخذ صليبا (٣) الجوار رفع الصوت بالدعاء (٤) النسمة الانسان جمعه نسمة

لقد كنت أطوى البطن والزاد يشتهي محافظة من أنت يقال لثيم
وقال حاتم أيضا

واني وان طال الثواء لميت ويعظمنى ماوى بيت مسقف (١)
ونى لمجزى بما أنا كاسب وكل امرئ كسب بما هو متلف
وقال قس بن ساعدة الايادى فى البعث وكان ممن يعتقد التوحيد
يا باكى الموت والاموات فى جدث عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فان لهم يوماً يصاح بهم كما ينبه من نوماته الصمق
حتى يحيثوا بحال غير حالهم خلق مضى ثم هذا بعده خلقوا
منهم عراة وموتى فى ثيابهم منها الجديد ومنها الازرق الخلق
وهو القائل فى وصية له : كلا ورب السكبة ليعودن ما باد ولئن ذهب
ليعودن يوماً . وقال زيد بن عمرو بن نفيل .

فلن تكون لنفسى منك واقية يوم الحساب اذا ما يجمع البشر
وقال علان بن شهاب التميمي

وعلمت أن الله جاز عبده يوم الحساب بأحسن الاعمال

ومن المؤمنين بالبعث عبد الله بن تغلب بن وبرة وعبد المطلب بن هاشم وكان
يقول : انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه الى أن هلك رجل
ظلوم حتف أنفه لم تصبه عقوبة فقيل له فى ذلك ففكر ثم قال والله ان وراء
هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه والمسيء يعاقب بأساءته . ومنهم
عامر بن الظرب العدواني حكيم العرب القائل من وصية له : انى مارأيت شيئاً
قط خلق نفسه ولا رأيت موضوعاً الا مصنوعاً ولا جائياً الا ذاهباً ولو كان
يميت الناس الداء لاحياهم الدواء . ثم قال انى أرى أموراً شتى وحتى قيل له
وما حتى . قال : حتى يرجع الميت حياً ويعود ما ليس بشئ شيئاً ولذلك خلقت
السموات والارض فتولوا عنه ذاهبين فقال : ويل أمها نصيحة لو كان من يقبلها
كتابة الاعمال — اعتقد بعضهم بكتابة الاعمال فى هذه الدار وعرضها

(١) يعظمنى من عظمه عظمة ضرب عظامه وفى رواية : يضظمنى

يوم البعث . فهذا زهير بن أبي سلمى كان يمر بالعضاه وقد أوردت بعد ما يبست
 فيقول (لولا أن يسبني العرب لآمنت بأن الذي أحيا الأرض بعد يبسها
 سيحيي العظام وهي رميم) أى لا علمت هذا المعتقد ثم جهر به فقال :
 فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
 يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم
 ومعنى البيتين ان الله لا تخفى عليه خافية فلا تضمروا القدر فيرقه الله
 فى كتاب ويؤخر العقاب ليوم الحساب او يعجله فى الدنيا فيفتقم من
 الغادر .

الايان بالقدر - كانت العرب فى الجاهلية تعتقد ان الله قدر جميع الممكنات
 من خير أو شر قبل خلقها . قال الحسن البصرى لم ير لاهل الجاهلية يذكرون
 القدر فى خطبهم وأشعارهم . وجاء الاسلام فزاد هذه العقيدة تأكيداً . وعن
 سعيد بن أبى عروبة قال : سألت قتادة عن القدر . فقال رأى العرب تريد أن
 رأى العجم . فقلت رأى العرب . قال فانه لم يكن أحد من العرب الا وهو
 يثبت وأنشد

ما كان قطعى هول كل تنوفة الا كتاباً قد خلا مسطورا
 ومن الايمان بالقدر قول لبيد بن ربيعة العامري فى معلقته
 فاقنع بما قسم المليك فانما قسم الخلائق بيننا علامها
 وقال النابغة :

وليس امرؤ نائلا من هوا . شيئاً اذا هو لم يكتب
خالق أفعال الانسان - اختلف المتكلمون فى الموجد لأفعال الانسان
 الاختيارية فقالت المعتزلة خلقها الانسان وحده وقالت الجبرية بل خلقها الله
 وهذا الاختلاف مسبوق بالخلاف فيها عند العرب فى الجاهلية . وتوسط أهل
 السنة فقالوا بوجود الجزء الاختيارى للانسان فى أفعاله

وحكى الخشنى أبو عبد الله محمد بن عبد السلام خلافهم فى الجاهلية فقال :
 شاعران من فحول الجاهلية ذهب احدهما فى شعره مذهب العدلية والآخر مذهب

الجبرية فالذي ذهب مذهب العدلية أعشى بكر حيث يقول
استأثر الله بالوفاء وبالعدل ل وولى الملامة الرجال
والذي ذهب مذهب الجبرية لبید بن ربيعة العامري حيث يقول
ان تقوى ربنا خير نفل وبأذن الله ريث وعجل (١)
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل
وذكر صاحب الاغانى أن أعشى بكر أخذ مذهبه من أساقفة نجران وكان
يعود في كل سنة الى عبد المدان فيمدحهم ويقيم عندهم يشرب الخمر معهم
وينادهم ويسمع من أساقفة نجران قولهم فكل شيء في شعره من هذا
فهم أخذه

التناسخ - هو وصول روح اذا فارق البدن الى جنين قابل للروح .
وافترق القائلون به على فرقتين (الاولى) تميز انتقال الروح لجسد ولو لم يكن
من نوع الجسد الذي فارقت اذ ليس انتقالها الى نوعها أولى من انتقالها الى
غير نوعها . والتناسخ عندهم على سبيل العقاب والثواب فالفاسق تنتقل روحه

(١) النفل محركة الغنيمة والهبة و (الريث) الابطاء كالريث

قال السيد « ان كان لا طريق الى نسبة الجبر الى مذهب لبید الا هذان
البيتان فليس فيهما دلالة على ذلك . واما قوله . وبأذن الله ريثي والمجل .
فيحتمل ان يريد باذنه علمه كما يتأول عليه قوله تعالى « وما هم بضارين به من
أحد الا باذن الله » أى بعلمه وان قيل في هذه الآية انه أراد بتخليته وتمكينه .
وان كان لا شاهد لذلك في اللغة أمكن مثله في قول لبید . وأما قوله من
هداه سبل الخير فيحتمل أن يكون مصروفا الى بعض الوجوه التى يتأول
عليها الضلال والهدى المذكوران في القرآن مما يليق بالعدل ولا يقتضى الاجبار
اللهم الا أن يكون مذهب لبید في الاجبار معروفا بغير هذه الايات فلا
تأول له هذا التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه «
زاد بعضهم بين بيتي لبید قوله

أحمد الله فلان له يديه الخير ما شاء فعل

الى أجساد البهائم المسخرة للأعمال الشاقة أو المعدة للذبح أو المرتطمة في
الاقذار و (الثانية) تمنع انتقال الروح لجسد يغير نوع الجسد الذي فارقه
لان النوع الذي أوجب لها طبعها الاشراف عليه والتعلق به لا يجوز ان
تتعلق بغيره والتناسخ مذهب قديم قال به أهل الهند والعرب في الجاهلية
قال ابن أبي الحديد : وكان من العرب من يعتقد التناسخ وتنقل الارواح
في الاجساد ومن هؤلاء أرباب الهامة (١)

وقد منّا آتفا عند قو لهم للجنّازة كنت في أهلك ما أنت مرتين عن ابن
حجر انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بل كانوا يعتقدون ان الروح اذا خرجت
تصير طيرا فان كان ذلك من أهل الخير كان روحه من صالح الطير والا فبالعكس
ولقد خالف بعض المسلمين الاجماع فأجاز انتقال الروح لجسد من نوع
الجسد الذي فارقه أو من غير نوعه ومن هؤلاء احمد بن حابط و احمد بن
نانوس تلميذه وأبو مسلم الخراساني ومحمد بن زكريا الرازي الطبيب وهو قول
القرامطة وأكثر جماعة الشيعة وقال رجل من النصيرية

اعجبي امنّا لصرف الليالي جعلت اختنا سكينه فاره

فازجرى هذه السنانير عنها واركبها وما نضم الفراره

المسخ — تحويل الصورة الى صورة هي دونها قال الجاحظ قلت لعبيد

الكلابي وكان مشغولا بالابل أئينكم وبين الابل قرابة قال نعم خؤوله فقلت
مسحك الله بعيرا فقال ان الله لا يمسح انسانا على صورة كريم بل لئيم . وينكر
المسخ أكثر الدهرية وأهل الكتاب لم يقرأوا به غير أنهم أجمعوا على أن الله
جعل امرأة لوط حجرا والمسلمون على جوازه لا مكانه ووقوعه قال تعالى (فلما

(١) قال الشهرستاني في الملل ومن العرب من يعتقد التناسخ فيقول اذا

مات الانسان أو قتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيته فانتصب طيرا هامة فيرجع
الى رأس القبر كل مائة سنة ولهذا أنكر الرسول عليهم فقال لا هامة ولا عدوى
ولا صفر) وانت خبير بأن هذا ليس من التناسخ الذي هو وصول الروح عند

مفارقة البدن لجسم جنين

عتوا عما نهوا عنه . قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أما اعتقاد مسخ شئ معين فتوقف على ورود النص

وكانت العرب في الجاهلية تعتقد وقوع المسخ فزعموا أن عشارين مسخ أحدهما ضبعا والآخر دثباً وزعموا أن سهيلاً كان عشاراً وأن الزهرة كانت امرأة اسمها اناهيد فسحنا نجمين .

﴿ أحكامهم الدينية ﴾

لا نذكر في هذا الفصل الأحكام الدينية لليهود والنصارى من العرب ولكن نذكر بعض الأحكام الدينية لمشركيهم وهم الدهماء وتلك الأحكام إما من مجهود قرائعهم واستحسناتهم ما حسنه عقلهم واستقبحاها ما قبحه أو بقية فيهم من شريعة إبراهيم وإسماعيل فإن الحنيفية لم تطمس جميع أحكامها بما دخل عليها من عبادة الأصنام والكواكب وغيرها فقد حرم كثير منهم الزنا لتحريم شريعة إبراهيم وآياه أو لما فيه من ضرر الاغارة على الاعراض واختلاط الانساب فن هؤلاء عبد الله بن عبد المطلب والد نبينا عليه الصلاة والسلام وهو القائل لما راودته فاطمة بنت مر الخثعمية عن نفسها

أما الحرام فالملكات دونه والحل لاهل فأستبيحه

فكيف بالامر الذي تبغيه يحمي الكريم عرضه ودينه

ومنهم الاسلام اليالى وهو القائل في تحريم الزنا والحرم .

سألت قومي بعد طول مضاضة والسلم أبقى في الامور وأعرف

وتركت شرب الراح وهى أميرة والمومسات وترك ذلك أشرف

وعففت عنه يا أميم تكرماً وكذلك يفعل ذو الحجا المتعفف

ومنهم عنزة بنى عبس وهو القائل .

ما سمت أنى نفسها فى موطن حتى أوفى مهرها مولاها

أغشى فتاة الحى عند حليها وإذا غزا فى الحيش لا أغشاها

واغض طرفى ان بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواها

وكانوا يرجون فى الزنا وبروى أبو هلال المسكرى عند قولهم فى المثل

(احدى بنات طبق) ان امرأة قالت لزوجها فى سفر احمل لى هذا الكرز
 حملة فلما توسط الثانية وحد بالملا على عمقه فقذف به نخرج منه رجل يسمى
 فاستغنى لقمان بن عاد فى شأنها فقال تدفن حية فى كرزها قال أبوحاتم وأظن
 ان أصل رجم المحصنة من هذا وذكر القلقشندي ان أول من رجم فى الزنا
 فى الجاهلية ربيع بن حدان ثم جاء الاسلام بتقريره فى المحصن
 وحرم كثير من أهل الرأى فيهم الحمر تكريما لا لنفسهم وصيانة لها عن
 معرة السكر او اتقاء لضرر الحمر وذكر ان أول من حرمها الوليد بن المغيرة
 وقيل قيس بن عاصم السعدي وفيها يقول

لعمرك ان الحمر مادت شارباً لسالبة مالى ومذهبة عقلى
 وتاركتى من الضعاف قواهم ومورثتى حرب الصديق بلا نبل
 وحرمها صفوان بن أمية بن محرز الكنانى وقال وتروى لقيس بن عاصم
 رأيت الحمر صالحة وفيها خصال تفضح الرجل الكريم
 فلا والله أشربها حياتى ولا أشفى بها أبدا سقيما
 ولا أعطى بها ثمناً حياتى ولا أدعو لها أبدا نديما
 فان الحمر تفضح شاربها وتورثهم بها الامر العظيما
 اذا دبت حمياها نعلت طوالع تسفه الرجل الخليما

ومنههم مقيس بن صباية السهمى وذلك انه سكر مرة فجعل يخط ببوله .
 ويقول نعمة أو بعير فدا أفاق أخبر بذلك حرمها وقال

رأيت الحمر طيبة وفيها خصال كلها دس ذميم
 ولا والله أشربها حياتى طوال الدهر ما طلع النجوم

ومنههم الاسلوم اليالى وعبد المطالب بن هاشم جد النبي عليه السلام وعمه أبو طالب
 وجده قصي بن كلاب وهو القائل لبنيه اجتنبوا الحمر فانها تصلح الابدان
 وتفسد الازهار وورقة بن نوفل وشيبة بن ربيعة والوليد بن الوليد وعامر بن
 الظرب العدواني وعبد الله بن جدعان وكان من أجواد قريش وساداتها وسبب
 تحريمه الحمر كما قال أبو الزناد انه شرب مع أمية بن أبي الصلت الثقفى فضربه

على عينه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله
ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال له ألت ضاربها بالامس فقال أو بلغ مني
الشراب ما أبلغ معه من جليسي هكذا ووداها ديتين عشرة آلاف درهم وقال
الحمر على حرام لا أذوقها بعد اليوم أبدا وحرمها عفيف بن معد يكرب
الكندي عم الاشعث بن قيس وقال

وقائلة هلم الى التصابي فقلت عفت عما تعلمينا
وودعت القداح وقد أراني بها في الدهر مشغوبا رهينا
وحرمت الخمر على حتى أكون بقعر ملحود دينا
وقال أيضا

فلا والله لا ألقي وشرباً أنازعهم شراباً ما حييت
أبي لي ذاك اباء كرام وأخوال بعزم ربيت
ومن حرمها في الجاهلية وأدرك الاسلام أسد بن كرز وكان يدعي في
الجاهلية رب بجيلة وسويد بن عدى بن عمرو بن سلسلة الطائي وهو القائل
حين أدرك الاسلام

تركت الشعر واستبدلت منه اذا داعى منادى الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والندامى
وحرمت الخمر وقد أراني بها سدا وان كانت حراما

وأبو بكر الصديق وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن مرداس وقد قيل
له حين كبر لو أخذت من الشراب شيئاً فانه يزيد في قوتك فقال لا أدخل
رأسى شيئاً يحول بينى وبين عقلى . وعثمان بن عفان وقيل له ما منعك من شرب
الخمر في الجاهلية فقال انى رأيتها تذهب العقل جملة وما رأيت شيئاً ذهب جملة
ويعود جملة وعدى بن هاشم وقد قيل له مالك لا تشرب الخمر فقال لا أشرب
ما يشرب عقلى وقيل له مالك لا تشرب النبيذ فقال معاذ الله أصبح حكيم قومي
وأمسى سفیههم

ومن بقايا دين ابراهيم فيهم احترام البيت وأعمال الحج والعمرة وحره

الاشهر الحرم والفصل من الجنابة وتفصيل الموتى وتسكينهم مما تقدم ذكره
ومن الاحكام الدينية التي ذكرتها مفصلة في كتابي « المرأة العربية في الجاهلية »
حرمة تزوج الامهات والبنات والعمات والخالات وحرمة الجمع بين الاختين
وأول من جمع بينهما أبو احيحة سعيد بن العاص جمع بين هند وصفية ابنتي
المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وحرمة قربان الحائض والاغتسال من
الحيض والظهار والايلاء والخلع وعدة الوفاة والطلاق والعدة منه وكونه ثلاثا
على التفرقة قال عبد الله بن عباس أول من طلق ثلاثا اسماعيل بن ابراهيم
بثلاث كرات وكانت العرب تفعل ذلك فيطلقها واحدة وهو أحق الناس بها
حتى اذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها ولقد حرموا السرقة وكانوا
يقطعون يد السارق اليمى وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة تصلب الرجل اذا
قطع الطريق وقدروا الدية في النفس والجوارح وحكموا بأن الخنثى يتبع في
ميراثه المبال وكان طريق الحكم عندهم يميناً أو منافرة الى حاكم يقطع بالبينات
أو جلاء وبرهاناً يحل به الحق وتنصح به الدعوى وجاء ذلك في قول زهير
فان الحق مقطعه ثلاث يمين أو نثار أو حلاء

قال بعض الرواة لو أن زهيراً نظر الى رسالة عمر بن الخطاب الى أبي موسى
الاشعري ما زاد على ما قال وكانت اليمين على المدعى . وأول من قال البيعة على
من ادعى واليمين على من أنكر قس بن ساعدة الإيادي . وكانوا يقضون
بالقسامة وهي الايمان تقسم على أهل المحلة في شأن قتيل وجد في محلته لم
يدر قاتله فيستحلف ولي الدم منهم خمسين رجلاً بالله ما قتلت وما علمت له قاتلاً
وأول قسامة في الجاهلية كانت بحكم أبي طالب وجاء الاسلام فأقر القسامة على
ما كانت عليه في الجاهلية . وكانوا يداومون على طهارات الفطرة العشر التي
ابتلى الله بها ابراهيم وهي خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق وقص الشارب
وفرق الشعر والسواك وخمس في الجسد وهي الاستنجاء بالماء وتقليم الاظفار
ونشف الابط وحلق العانة والختان امثالاً لامر ربه . فلما جاء الاسلام أقرها
سنة من سنن الدين ولنبسط الكلام على الختان فنقول

الختان - هو في العرب سنة للنساء والرجال وأول امرأه أختنت هاجر أم اسماعيل وأول رجل أختن إبراهيم أمثالاً لامرأته . ولقد حافظت العرب على سنة الختان حتى أن العربي ليخشى أن يوسم بأنه أغرل (١) وشاهده ما حكاه ابن هشام في غزوة حنين من أنه لما استحر القتل من ثقيف في بني مالك فقتل منهم سبعون رجلاً منهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة وقتل معه غلام نصراني له أغرل فبينما رجل من الانصار يسلب قتلى ثقيف اذ كشف العبد يسلبه فوجده أغرل فصاح بأعلى صوته يامعشر العرب يعلم الله ان ثقيفاً غرل قال المغيرة بن شعبه فأخذت بيده وخشيت أن تذهب عنا في العرب فقلت لا تقل ذلك فذاك أبي وامى انما هو غلام لنا نصراني . ومنه يعلم أن نصارى العرب كانوا لا يختنون ومن عادتهم أن يختنوا الوليد رضيماً أو صبياً ويتخذون لذلك وليمة يسمونها الاعذار وحكى أهل السير أن النبي ولد ممدورا (٢) قال الجاحظ في الحيوان (والختان في العرب في الرجال والنساء من لدن إبراهيم وهاجر الى يومنا هذا ثم لم يولد صبى مختون قط أو في صورة مختون وناس يزعمون أن النبی وعيسى ابن مريم عليهما السلام ولدا مختونين والسبيل في مثل هذا الرجوع الى الرواية الصحيحة) وقد اختلف في ولادة نبينا مختونا على ثلاثة أقوال حكاه ابن القيم الجوزية في كتابه زاد المعاد (أولها) انه ولد مختونا مسرورا (٣) وقد روى في ذلك حديث لا يصح ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات وليس فيه حديث ثابت وليس هذا من خواصه فان كثيراً من الناس يولد مختونا والناس يقولون لمن ولد كذلك ختنه القمر وهذا من خرافاتهم (٤) (ثانيها) انه ختن

(١) الاغرل كالأقلاف ذو الغرلة أو القلفة وهي الجلدة التي تقطع في الختان

(٢) ممدورا أى مختونا يقال عذر الصبي واعذر اذا ختن (٣) مسرورا أى مقطوع السرقة (٤) كانت العرب في الجاهلية تزعم أن الغلام الذي يولد في القفر يخنه القمر وذلك لان غرلته تنقلص فيصير كالمختون قال ابن أبي الحديد « ويجوز عندنا أن يكون ذلك من خواص القمر كما أن من خواصه ابلاء السكتان واثنان اللحم وقد روى عن علي بن أبي طالب اذا رأيت الغلام طويلاً

يوم شق قلبه الملائكة عند ظئره حليلة (ثالثها) ان جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وصنع له مأدبة ومياه محمدا « قال أبو عمرو ابن عبد البر وفي هذا الباب حديث غريب مسند الى ابن عباس ومن رجال سنده يحيى بن أيوب القائل قد طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيته الا عند ابن أبي السرى وقد صنف كمال الدين بن طلحة مصنفاً في انه ولد مختوناً وأجلب فيه من الاحاديث التي لا زمام لها فنقضه عليه كمال الدين بن العديم وبين فيه انه ختن على عادة العرب وكان عموم هذه السنة للعرب مغنياً عن نقل معين فيها

✽ الدين الفتشي ✽

يقال له دين الوثن وذى الروح . لان أهله اعتقدوا أن لكل مادة روحاً تحتل الجسم أو تتصل به ولها سلطان على الاجسام الاخرى حتى أن عبدة غانة كانوا اذا خرجوا لسفر أقسموا أمام أول كائن يبصرونه انهم يخصونه بأنواع العبادة اذا وفقوا في سفرتهم فعبدوا لذلك الاشجار واغصانها وجزورها وقشورها والجلد والعظم والريش والذباب والمخلب والحافر والسن والظفر والحجر وأنواع الحيوان وآلات الحرب والشمس والقمر وغير ذلك لا اعتبارهم أن لها قوة مؤثرة وقدوا لها القرابين باعتبار الروح التي تتصل بها أو تحتلها واتخذوها تيممة تقيهم عوادي الايام وتدفع عنهم الخطوب . وهذه ديانة كل الامم المتوحشة ويسمى الافرنج هذا الدين فتيش *fétichisme* وأصلها في اللغة

الفرلة فأقرب به من السؤ د واذا رأيته قصير الفرلة كأنما ختمته القمر فأبعد به « وأنت خبير انه يولد في القمراء كثيرون ومتقاص الفرلة منهم أقل من القليل وكان يصح دعوى جواز الخاصة للقمر لو كان من يولد في القمراء كلهم أو جلهم متقاص الفرلة وانما خاطبهم على رضى الله عنه بحسب ما يعتقدون قال امرؤ القيس لقيصر وقد وجده أقلف حين دخل معه الحمام

انى حلفت يميناً غير كاذبة لانت أغلف الا ما جنى القمر

البرتغالية l'Inde بمعنى السحر لان الملاحين البرتغاليين سموها السحرة من الزنوج . ثم توسعوا فيها فأطلقوها على هذا الدين ولقد كان اكبار بعض الناس للحكماء الاولين أن اتخذوا لهم الصور والتماثيل اعترافا بفضلهم فيما بذلوا من الارشاد والتهذيب فاتخذ المتأخرون لجهلهم تلك الصور والتماثيل زلفى يعبدونها لتقربهم الى الله ثم آل الامر ببعضهم أن اتخذ تلك الاصنام آلهة خصوصها بأنواع العبادة كما دعتهم أوهاهم الى ذلك

ولشيوع هذا النوع من العبادة في أمم عديدة عبدت الملوك العادلون والعُباد والشجمان والقواد والسمحاء الاجواد ممن بلغ في صفة غاية الكمال ثم زادوا فيه توسعا فعبد كل قوم صنما استحسنوه على صورة انسان أو كوكب أو حيوان أو معدن أو نبات ثم توسعوا في ذلك حتى اختص بعضهم بصنم يعبد في خلوته دون ذويه وعشيرته

ومعبودات هذا الدين لا تحصر فان من لوازم النفوس البحث عن موحد فتصوره النافع أو الضار من النبات أو المعدن أو الحيوان أو الكواكب وافترقوا في عبادة ذلك النافع أو الضار بحسب اختلاف النظر الى فرق شتى . فمنهم عباد الثيران وعباد الشعابين . وعباد الفيلة وعباد القطط وعباد الثوم وعباد شجر الزيتون وعباد الخرنوب وعباد الشمس أو القمر وعباد التماثيل ، وعباد الانسان أو جزء منه أو غير ذلك حتى عبدوا الارواح كالملائكة والشياطين . واعتنق هذا الدين كثير من العرب من قديم الزمان ولم تدل دولة هذا الدين وغيره من الاديان حتى أشرق على العرب نور الاسلام فتبددت بأشعته حجب الاوهام

﴿ عبادة الانسان والحيوان والشجر والملائكة والجن ﴾

من العرب عباد الحيوان أو عبدة الملائكة أو الجن أو الشجر لمعنى تلحظه في المعبود من النفع أو الضرر . فمن عبادة الحيوان عبادتهم للجمل وشاهدها ما ذكره السهيلي في قدوم وفد طي على رسول الله قال : خرج نفر من طي

يريدون النبي عليه السلام بالمدينة وفودا ومعهم زيد الخيل ووزر بن سروس
النمباني وقبيصة بن الاسود بن عامر بن جويس الجرمي وهو النصراني ومالك
ابن عبد الله بن خبيري بن افلت بن سلسلة وقعين بن خليف الظريفي رجل
من جديلة ثم من بني بولان فمقلوا رواحلهم بفناء المسجد ودخلوا فجلسوا
قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم حيث يسمعون صوته فلما نظر النبي صلى الله
عليه وسلم اليهم قال إني خير لكم من العزى ولاتها ومن الجمل الاسود
الذي تعبدونه من دون الله ومما حازت مناع (١) من كل ضار غير نفاع ،
ونقل هذا الخبر الاصفهاني في الاغانى . ومن ذلك ما كان من عمرو بن حبيب
الموصوف بذي الكيود أى كثير الكيد فانه أغار على بني بكر فأصاب
سقباً (٢) كانوا يعبدونه من دون الله فأراد اغاظتهم فنحره وأكله وفى ذلك
يقول احمد البدوي الشنجيطي عند ذكر محارب وهو أبو قبيلة

وأنسب حبيهم وذا الكيود آكل سقب بكر المعبود

عبادة الانسان - كانوا يعظمون الامراء والرؤساء تعظيم العبادة . وليس
أدل على ذلك من الحج اليهم وتعظيم أما كنهم وآثارهم وقد حجت العرب
عصابة الزرقان بن بدر قال السهيلي « وكان الزرقان يرفع له بيت من عمام
وثياب وينضح بالزعفران والطيب وكانت بنو تميم تحج ذلك البيت وقد أشار
الزرقان لذلك بقوله من قصيدة

بما ترى الناس تأتينا سرائهم من كل أرض هويا ثم نصطنع (٣)

فننحر الكوم عبطا فى أرومتنا للنازلين اذا ما انزلوا شبعوا

قال البغدادى فى خزنة الادب (وقال أبو محمد الاسود الاعرابي ان بنى سعد

ابن زيد مناة كانوا يحجون عصابة الزرقان اذا استهلوا رجيا فى الجاهلية اجلالا
له واعظاما لقدره وذكر ذلك ربيعة بن سعد الخمرى يمدح الزرقان بقوله

كانت تحج بنو سعد عصابته اذا استهلوا على أنصابه رجيا

(١) قال أبو المنذر يعنى بمناع جبل طي (٢) السقب ولد الناقة أو ساعة

يولد أو خاص بالذكور (٣) وفى رواية . من كل أرض هوانا ثم نتبع

سب يزغفره سعد ويعبده في الجاهلية يدتابونه عصباً
والمصابة ما يعصب به الرأس « فأنت ترى الشاعر قد صرح بأن هذا
التمظيم نوع من العبادة في قوله ويعبده في الجاهلية . ولقد هجا الزبرقان بن
بدر المخبل السعدي فقال

ألم تعلمي يا أم عمرة اني تخاطباني ريب الزمان لا كبرا (١)
وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المرعفرا (٢)
والزبرقان هو حصين بن بدر لقب به لحسن وجهه لأن الزبرقان من أسماء
القمر أو لأنه كان يزرق عمامته في الحرب أي يصفرها . وكان الزبرقان في وفد
تميم الذين وفدوا على رسول الله فنادوه من وراء الحجرات وقد أسلم وولاه
رسول الله صدقات قومه فأداها في الردة إلى أبي بكر فأقره ثم إلى عمر وذكر
الكوكبي انه وفد على عبد الملك وقاد إليه خمسة وعشرين فرسا ونسب كل
فرس إلى آباءه وأمهاته وحلف على كل فرس مسها يمينا غير التي حلف بها
على غيرها فقال عبد الملك : عجي من اختلاف إيمانه أشد من عجي بمعرفته
بأنساب الخيل

عبادتهم الملائكة والجن — شاهدا ما ذكره الشهرستاني في كتابه

(١) تخاطباني بمعنى تخاطبني وفاتني و (ريب الزمان) حوادثه و (كبر) في
السن من باب فرح . يعني انه كره أن يعيش ويعمر حتى يرى الزبرقان من
الجلالة والعظمة بحيث يحج بنو سعد عصابته (٢) قال البغدادي في خزانه
الادب قال أبو محمد الاسود (واشهد) بالنصب عطف على لا كبرا و (عوف)
أبو قبيلة وهو عوف بن كعب بن سعد و (الحلول) القوم النزل من حل
بالمكان اذا نزل فيه و (يحجون) يقصدون قال ابن دريد في الجهرة الحج
القصود وأنشد هذا البيت و (السب) بكسر السين المهمة العمامة وكانت
سادات العرب تصبغ العمامم بالزغفران وقال بعض الناس ان الشاعر قصده
بهذا البيت معنى قبيحا وكفى بهذا اللفظ عنه . ويدفعه قوله يزورون فاني
الزيارة لا تستعمل في هذا الا أن يدعى التهم

الملل والنحل : ان من العرب من يصبوا الى الملائكة فيعبدونهم ومنهم من يعبد الجن ويعتقدون فيهم انهم بنات الله . وقال أبو المنذر « وكانت بنو مليح من خزاعة يعبدون الجن وفيهم نزلت ان الذين تدعون من دون الله عبادةً أمثالكم . وفي شعب الايمان عن مجاهد قال قال كفار قريش الملائكة بنات الله . فقال لهم أبو بكر الصديق فن أمهاتهم قالوا بنات سراة الجن . ولقد رد الله عليهم بقوله « الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون » الى أن قال « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحانه الله عما يصفون »

وقد اعتقد بعض العرب في أشخاص من الملائكة والارواح التدبير لاهل الارض فيما دون الامور العظام من اصلاح حال العابد في نفسه وولده وماله وشبههم بحال الشفعاء والندماء . وبعضهم اعتقد أن الله جل جلاله يكنسب من الملائكة علما ليس عنده قياسا على الملوك بالنسبة للجواسيس . واعتقد العرب أيضا ان الجن يعلمون الغيب . وانهم قادرون على ايداء الانسان فكانوا يستعينون بهم اذا ركبوا المفاوز يزعمون انهم اذا استعاذوا بهم دفعوا عنهم كل مكروه حتى قال بعضهم وقد استعاذ بالجنى عظيم الوادي فأكل السبع ولده

قد استعذنا بعظيم الوادي من شر ما فيه من الاعادي

فلم يجرنا من هزبر عادي

وسبوا أكثر الامراض الى الجن وداووها بالتقرب اليها واذا اشترى أحدهم داراً أو استخرج عينا ذبح للجن ذبيحة لتسعد الدار ولا تنضب العين وأمثال هذه المعتقدات كانت مدعاة لعبادتهم وعن عبد الله بن مسعود في رواية أن نفراً من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون والانس كانوا يعبدونهم ولا يشعرون فأنزل الله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا : ولقد رد الله أيضا على من عبد الملائكة من العرب بقوله

« ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء أياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون عبادتهم للأشجار - حكى عبادتهم لها ابن هشام في السيرة عند الكلام على غزوة حنين عن الحارث بن مالك . قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية . فسرنا معه إلى حنين وكانت لكفار قریش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط (١) يعظمونها ويأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويمكفون عليها يوماً . فرأينا ونحن نسير مع رسول الله سدره خضراء عظيمة فتنادينا من جنبات الطريق يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الهأ كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون انما السنن لتركن سنن من كان قبلكم » وفيها يقول الشاعر

لنا الميمن يكفيننا أعادينا كما رفضنا إليه ذات أنواط

هذا وعبدت العرب العزى وهي كما قال السهيلي « مخلات مجتمعة وكان عمرو بن لحي قد أخبرهم أن الرب يشقى بالطائف عند اللات ويصيف بالعزى فمظموها وبنوا لها بيتاً وكانوا يهدون إليه كما يهدون إلى الكعبة »

ومما فعله عمر بن الخطاب مخافة عبادة الشجر قطعه للشجرة التي حصلت تحتها بيعة الرضوان عام الحديبية سنة ست للهجرة فمن نافع قال (كان الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت . فعل عمر ذلك قطعاً لشأفة الوثنية خشية الفتنة بها وعبادة غير الله تعالى . ولعمري في هذا الباب مواقف مجيدة منها انه عند ما دخل مسجد بيت المقدس استدعى كعب الاحبار فلما أتى به قال له أين ترى أن نجعل المصلى فقال إلى الصخرة فقال

(١) ناطه نوطاً علقه والانواط المعاليق سميت بذلك لانهم كانوا يعلقون

بها أسلحتهم

ضاهيت والله اليهودية يا كعب وقد رأيتك وخلعتك نعليك فقال أحببت أن أباشره بقدمي فقال قد رأيتك بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله قبلة مساجدنا صدورها فاذهب إليك فانا لم نؤمر بالصخرة ولكننا أمرنا بالكعبة. ومنها قوله لا حجر الاسود لولا اني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك ولقد أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع

❖ الوثنية في العرب ❖

أول من سجد للأصنام الصابئون . وكانوا كالمجوس يسجدون في مبدأ أمرهم للأجرام السماوية ولما رأوا الشمس تختفي ليلاً وسائر الكواكب نهراً وأرادوا التمكن من عبادتها في كل حين مثلوا لها صوراً عبدوها ولذلك كانت أوثان القدماء المشهورة هي المشتري وزحل والمريخ وعطارد وأرطاميس ويونون والزهرة ثم زعموا أن لنفوس الاموات العظماء مدداً الهياً به كانوا عظماء في الحياة فمثلوا لهم صوراً عبدوها واتخذوهم شفعاء عند الله . وأول من فعل ذلك نينوس بن نمرود بن نوح ملك الاشوريين باني مدينة نينوى فانه صنع لانيه تمثالاً سنة ٢٠٥٩ قبل الميلاد وحمل الناس على عبادته وذلك مبدأ عبادة الملوك والامراء والشجعان

وتاريخ دخول الوثنية في بلاد العرب قديم جداً وأول من أدخلها الى مكة وما جاورها عمرو بن لحي سيد خزاعة . وذلك أن جرهما كانوا قد طغوا في الحرم وظلموا واستحلوا منه أموراً عظيمة . فإرسل الله اليهم خزاعة حين أجلهم سيل العرم من بلادهم فطردوا جرهما منه وقتلوا من قتلوا منهم فشفى ذلك صدور أهل الحرم وفرحوا بانتصار خزاعة على جرهم . وربما ظنوا أن الله قد أرسلهم اليهم ليخلص أهل حرمة من جورهم وكان رئيس خزاعة عمرو بن لحي فتولى سدانة البيت . ودانت له العرب واتخذوه رباً لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة . وكان فوق ذلك قد ملكهم بأحسنائه فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة وكسى عشرة آلاف حلة . وكان يطعم الحجيج السويق فدعاهم لعبادة الاوثان وكانت نفوسهم مستعدة لعبادتها بما كانوا يعظمونه

من حجارة الحرم فأجابوه حكى أبو المنذر عن أبيه وغيره قال « ان اسماعيل ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة ونفوا من كان فيها من العمالق فضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضا فتفسحوا في البلاد والتماس المماش وكان الذى سلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا أحتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصباغة بمكة خيما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة نيمنا منهم بها وحبا لها وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتصرون على ارض أبيهم ابراهيم واسماعيل . ثم سلخ ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره فعبدوا الاوثان (١) وصاروا الى ما كانت عليه الامم من قبلهم وانتجثوا (٢) ما كان يعبد قوم نوح منها على ارض ما بقى فيهم من ذكرها وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة ومزدلفة واهداء البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه مالىس منه . فكان أول من غير دين اسماعيل عليه السلام فنصب الاوثان وسيد السائبة ووصل الوصيلة وبحر البحيرة وحى الحامية عمرو بن ربيعة . وهو لحي ابن حارثة بن عمرو بن عامر الازدى وهو أبو خزاعة . وكان الحارث هو الذى يسلى أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحي نازعه فى الولاية وقاتل جرهما بينى اسماعيل فظفر بهم واجلاهم عن الكعبة وتفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة

(١) لهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسوية القبور وطمس التماثيل ولعن المتخذين على القبور المساجد والسرج ونهى عن الصلاة الى القبور وسأل ربه ألا يجعل قبره وثنا يعبد ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيداً وقال اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد حتى لا تخلف الخلوفاً بعد الخلوفاً وتنسى ما كان عليه السلف وتتخذ ما تصنع ديناً فسدنا للذريعة نهى عن ذلك

(٢) انتجثوا استخرجوا

البيت . ثم انه مرض مرضاً شديداً فقليل له ان بالبقاء من الشام حجة (١) ان أتيتها برأت فأثامها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الاصنام . فقال ماهذه فقالوا نستسقى بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة (٢) « فانت ترى ان الوثنية كانت فيهم قبل عمرو بن لحي بما عبدوه من حجارة الحرم في أسفارهم وانما عمرو بن لحي هو أول من وضع لهم أنواع عبادتها وبين لهم ضروب التقرب اليها من اتخاذ البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وغير ذلك . وأول من نقل الاصنام الى الحرم ونصبها حول الكعبة وحمل أهلها على عبادتها ولولاه ما رسخت فيهم أقدامها ولذلك قال عليه الصلاة والسلام قد عرفت أول من سيب السائبة ونصب النصب عمرو بن لحي رأيت يثؤذى أهل النار بريح قصبه (٣) وقال سحنة بن خلف الجرهمي في اتخاذ عمرو بن لحي للاصنام

يا عمرو انك قد أحدثت آلهة شتى بمكة حول البيت انصابا
وكان للبيت رب واحد أبداً فقد جعلت له في الناس أربابا
لتعرفن بأن الله في مهل سيصطفى دونكم للبيت حجابا
ونظم ذلك أحمد البدوي الشنقيطي في كتابه عمود النسب فقال

قمة قيل جد عمرو بن لحي ذى القصب في حديث أفضل لوى
أول من حمل أكياس الحرم لكفره على عبادة الصنم
وأدخل الذين أخرجهما أذا أحدثا فسحنا أهلها (٤)

(١) الحجة بفتح الحاء والميم المشددة المفتوحة كل عين فيها ماء حار ينبع يستشفى بها الاعلاء (٢) حكى أبو المنذر أيضاً أن عمرو بن لحي كان كاهنا ركان له رثى من الجن يكنى أبا ثمامه فقال له عجل بالسير والظمن من تهامة بالسعد والسلامة . قال جبر ولا أقامه قال . انت ضف جدة تجدد فيها أصناما معدة . فأوردها تهامة ولا تهب ثم أدع العرب لعبادتها تجب . فأتى شط جده فاستشارها ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها قاطبة (٣) القصب بالضم المعنى جمعه أقصاب (٤) انظر الكلام على أساف ص ١٣٣

وصلبها على الصفا ليعظم عن الزنا بمكة كل يقظ
ملك أربعين الفا فسمي عن شكرها عيون عشرين جل (١)
وكاد يعبد فكل ما أمر به من المختلقات يعتبر
كالبحر والوصل والتسيب والحماية وكل ريب

الى أن قال بعد تفصيل في البحيرة والوصيلة والسائبة والحامى

والعرب قبل متدينونا بمكة الخليل يملونا

وهو أبو خزاعة واكنم شبهه به النبي منهم (٣)

وقد نص الشهرستاني في الملل أن عمرو بن لحي وضع الاصنام في البيت في
أول ملك سابور ذي الاكتاف وتاريخ دخول الوثنية في الحرم يرجع لتولى
عمرو بن لحي الحرم حين تزوجه مع خزاعة وتغلبه على جرهم عام سيل العرم .
وقد اختلفوا في وقت حدوث ذلك السيل قال حمزة الاصفهاني انه حدث قبل
الاسلام باربعمئة سنة أى في القرن الثالث للميلاد . وقال ابن خلدون أن السد
تهدم في أيام حسان بن تبيان أسعد أى في القرن الخامس للميلاد وذكر
ياقوت انه وقع في ملك حبشان ولعلها حسان حرفها النسخ بحبشان فيوافق ابن
خلدون أو المراد بحبشان الاحباش وقد كان ملكهم على اليمن في القرن السادس
(١) في الروض الانف : وذكر أبو الوليد الازرقى في أخبار مكة أن عمرو

ابن لحي فقاً أعين عشرين بعيراً وكانوا يفتقون عين الفحل اذا بلغت الابل الفا
فاذا بلغت الفين فقروا العين الاخرى قال الراجز

وكان شكر القوم عند المنى كى الصحيحات وفق الاعين

(٢) حكى ابن اسحاق في سيرته أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله

يقول لا كنتم من الجون الخزاعي يا أكنم رأيت عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف
يجر قصبه في النار . فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به ولا بك منه . فقال
أكنم عسى أن يضرنى شبهه يا رسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر . انه
كان أول من غير دين اسماعيل فنصب الاوثان وبحر البحيرة وسب السائبة

ووصل الوصيلة وحى الحامى

وكانت الوثنية في عاد قوم هود وكانت ديارهم بالدو والدهناء وعالج ويبرين ووبار الى عمان وفي نمود قوم صالح وكانت منازلهم بين الشام والحجاز في الحجر وقرح وهي وادي القرى وفي دولة حور رابي وهي الدولة البابلية الاولى من سنة ٢٤٦٠ ق م الى ٨١ ق م وفي أثناء هذه الدولة بعث لهم ابراهيم الخليل وقد حكى الله قصة تكسيره الاوثان في قوله « وتالله لا كيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيراً لهم لعلمهم اليه يرجعون » الى آخر الآيات ومعبودات البابليين على ما ذكره جرجي زيدان في كتابه العرب قبل الاسلام كثيرة الشبه في أسمائها وأسماء الذين ينتسبون اليها باقدم الهة العرب في اليمن وغيرها مثل ايل وبل وشمس واشتار وسين وسمدان ونسر ويشع وذكر ايضا أن العرب القحطانيين والعدنانيين يشتركون في عبادة الاصنام الا أن آلهة القحطانيين أهل اليمن أقرب الى معبودات البابليين فعندهم عشتار وايل وبل وغيرها أما العرب الاسماعيليون أو العدنانيون سكان شمال جزيرة العرب فيشتركون في عبادات تختلف عن تلك كاللات والعزى ومناة وهبل وغيرها وكانت الوثنية في مدين قوم شعيب وكانت منازلهم تجاور أرض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز وكانت الوثنية دين ملوك الحيرة قبل أن يتنصروا ودين أهل اليمن قبل أن يدخل تبع الآخر اليهودية فيهم

﴿ أصنام العرب وبيوت عبادتها ﴾

قال السهيلي يقال لكل صنم من حجر أو غيره صنم ولا يقال وثن الا لما كان من غير الصخر كالنحاس وغيره وقال أبو المنذر المعمول من خشب أو ذهب أو فضة صورة انسان فهو صنم واذا كان من حجارة فهو وثن وقال غيره الوثن كل ماله جثة معمولا من جواهر الارض أو من الخشب أو الحجارة كصورة الأدمى تعمل وتنصب فتعبد والصنم الصورة بلا جثة ومن العلماء من لم يفرق بينهما وقال اذا كان ما يعبدونه حجرا على غير صورة فهو نصب وان كان تمثالا سمي صنما ووثنا ويقال لبيت الاصنام الذي يتخذ ويزين الزونة

والبيت الذي فيه أصنام وتصاوير البد وكان للعرب أصنام عدة وبيوت
للمعبادة يعظمونها ويجعلون لها سدنة وحجابا ويهدون لها كما يهدون للكعبة
ويطوفون بها كطوافهم بها وينحرون عندها وهم يعرفون فضل الكعبة عليها
لأنهم يعلمون أنها من بناء إبراهيم الخليل عليه السلام . ولذا ذكرنا عليه
من ذلك مرتبا على حروف المعجم فنأتي بكل ما جاء منها بكتاب الاصنام لابي
المنذر هشام بن محمد السائب بن بشر الشهير بأبن السكبي وما لم يذكر منها فيه
ننبه عليه وقد نعزوه الى مأخذه ونكتفى فيما ذكره احمد بن فارس الشدياق
في كتابه الساق على الساق فيما هو الفاريق بقولنا عن احمد فارس وفيما ذكره
ابن سيده في المخصص بقولنا عن المخصص وفيما ذكره السيد مرتضى في تاج
العروس شرح القاموس بقولنا عن تاج العروس فنقول :

آذر - صنم عبدة العرب في الجاهلية (عن تاج العروس)

اساف ونائلة - صنمان عبدهما العرب وكانوا ينحرون ويذبحون عندهما .
حكى ابن المنذر عن أبي صالح عن ابن عباس « ان اساف بن يعلى رجل من
جرهم كان يتمشق نائلة بنت زيد من جرهم (١) في أرض اليمن فاقبلا حاجين
فدخلتا الكعبة فوجدتا غفلة من الناس وخلوة في البيت ففجرا بها في البيت
فسخا فأصبحوا فوجدوهما مسخين فأخرجوهما فوضعهما موضعهما ليتعظ
الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها وكان أحدهما يبلصق
الكعبة والآخر في موضع زمزم فنقلت قريش الذي كان يبلصق الكعبة الى
الآخر فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب » وحكى ابن
العربي عن ابن اسحاق « ان اسافا ونائلة بعد مسخهما وضع أحدهما على الصفا
والآخر على المروة لينزجر الناس عن مثل ما ارتكبا فلم يزل الامر يدرس

(١) في سيرة ابن هشام اساف بن بنى ونائلة بنت ديك . وفي الملل

لشهرستاني اساف بن عمرو ونائلة بنت سهيل وفي الاغانى جزء ١٣ صفحة ١٠٥
عن عثمان بن ساج عن أبي الزناد اساف بن سهيل ونائلة بنت عمرو بن ذئب
وقال غيره نائلة بنت ذئب

ويَتَقَادَم حتى صار يتمسح بهما من وقف على الصفا والمروة فلما كان عمرو بن
لحى أمر بعبادتهما وتعظيمهما والتمسح بهما . وقال : انهما كانا معبودين لمن
قبلكم فلما كان قصي بن كلاب حوّلهما من الصفا والمروة فجعل أحدهما
ملاصقا بالكعبة وجعل الآخر في موضع زمزم وكان يطرح بينهما ما يهدي
للكعبة . وكان يسمى ذلك الموضع الخطيم وكان ينجر عندهما ويذبح ولم
تسكن تدنو منهما امرأة طمئت وفي ذلك يقول بشر بن أبي حازم الاسدي
أسد خزيمية

عليه الطير ما يدنون منه مقامات العوارك من اساف

فكان الطائف اذا طاف بالبيت يبدأ باساف ويستلمه فاذا فرغ من طوافه
ختم بنائلة فاستلمها فكان كذلك حتى كسرهما رسول الله مع الاصنام يوم فتح
مكة « وفي عتبة باب السلام الخارجية أحد أبواب المسجد الحرام حجر عظيم
يشبه درجة سلم غير منتظم تطفوه النعال يقول أهل مكة انه اساف ذلك الصنم
الاسحيم - صنم عبده العرب (عن تاج العروس)

الاشهل - صنم وبه سمي عبد الاشهل أبو حي من العرب (عن
تاج العروس)

الاقيصر - قال أبو المنذر هو صنم كان لقضاة ولحم وجذام وعاملة
وغطفان وكان في مشارف الشام فكانوا يحجرونه ويحلقون رؤوسهم عنده
فكان كلما حلق رجل منهم رأسه التي مع كل شعرة قرّة من دقيق - والقرّة
القبضة - فكانت هوازن تنتابهم في ذلك الابان فان أدركه أحدهم قبل أن يلقى
القرّة مع الشعر قال : أعطنيه فاني من هوازن ضارع وان فاته أخذ ذلك الشعر
بما فيه من القمل والدقيق فخبزه وأكله « وفي الاقيصر يقول زهير بن أبي
سلمى خلقت بأنصاب الاقيصر جاهدا وما سحقت فيه المقادير والقمل
أوال - صنم لبكر وتغلب (عن تاج العروس)

باجر - بالجيم المفتوحة وربما كسرت صنم كان للزد ومن جاورهم من

طبي وقضاة

البجة - صنم عبده العرب (عن تاج العروس)

بس - بيت لغطفان (انظر صفحة ٣٣)

بعل - صنم كان لقوم الياس عليه السلام (عن احمد فارس)

البعيم - صنم (عن تاج العروس)

بلج - صنم (عن تاج العروس)

بوانة - صنم عبده . روى عن أم أيمن أنهم كانوا في الجاهلية يجعلون لهم عيداً عند بوانة وهو صنم تعبده قريش وتعظمه وتذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوماً الى الليل في كل سنة فكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك . قالت حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه أشد الغضب وجعلن يقلن انا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا وما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثر لهم جماعاً فلم يرالوا به حتى ذهب معهم ثم رجع فزعا مرعوباً فقلن ما دهاك فقال : انى أخشى أن يكون بى لم (جمع) لمة وهى المس من الشيطان فقلن ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذى رأيت قال انى كلما دنوت من صنم من تلك الاصنام التى عند ذلك الصنم الكبير الذى هو بوانة تمثل لى رجل أبيض يصيح بى ورايك يا محمد لا تمسه قالت أم أيمن فما حاد الى عيدهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم وتلك احدى ارهاصاته تيم - صنم كانت تعبده بنو تميم في الجاهلية قال أبو عبيدة تميم كلها كانت في الجاهلية يقال لها عبد تيم (عن الاغانى)

الجهية - صنم كان يعبد في الجاهلية (عن تاج العروس)

جريش - كأمر صنم عبد في الجاهلية واليه نسب عبد جريش والد عبد

قيس (عن تاج العروس)

الجلسد - صنم عبد في الجاهلية كما في النخص لابن سيده قال الشاعر

فبات محتاب شقارى كما يقرر من يمشى الى المجلسد (١)

(١) الشُقارى شقائق النعمان ويقرر أسرع مطأطأ رأسه

جهمار - صنم كان لهوازن (عن تاج العروس)
 الدار - صنم سمي به عبد الدار بن قصي بن كلاب أبو بطن من الغرب
 (عن تاج العروس)

دوار - قال البغدادى فى خزائن الادب « دوار بالفتح صنم كانوا يدورون
 حوله أسابيع كما يطاف بالبيت الحرام قال امرؤ القيس

فمن لنا سرب كان نعاجه عذارى دوار فى ملاء مذيّل (١)
 يقول ان هذا القطيع من البقر يلوذ بمضه ببعض ويدور كما تدور
 العذارى حول دوار وهو نسك كانوا فى الجاهلية يدورون حوله . وقال
 العسكرى فى التصحيف وروى دوار بدال مضمومة ودوار بدال مفتوحة
 وواو مخففة (٢) وهو نسك كان لهم فى الجاهلية يدار حوله « يطلق الدوار
 على الطواف قال أبو المنذر « وكانت للعرب حجارة غير منصوبة يطوفون
 بها ويعترونها عندها يسمونها الانصاب ويسمون الطواف بها الدوار وفى ذلك
 يقول عامر بن الطفيل وأتى غنى بن أعصر يوماً وهم يطوفون بنصب لهم فرأى
 فى فتياتهم جمالا وهن يظفن به فقال :

ألا ياليت أخوالى غنيا عليهم كلما أمسوا دوار

وقال فى ذلك المثقب العبدى لعمر بن هند

يطيف بنصبهم حجن صغار فقد كادت حواجبه تذيب (٣)
 ذو الخلصة - بفتحات الخاء المعجمة واللام والصاد المهملة (٤) بيت لخثعم
 كان يدعى الكعبة اليمانية وكان فيه صنم يدعى الخلصة وقيل اسم البيت
 الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة . وحكى المبرد ان موضع ذى الخلصة صار
 مسجدا جامعاً لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم وقال أبو المنذر « ان ذا الخلصة

(١) السرب قطيع من ظباء أو بقر أو شاء أو نساء أو قطا و (الملاء)

بضم الميم جمع ملاءة وهى الملحفة و (المذيّل) السابغ (٢) فى القاموس
 الدوار ككتان ويضم صنم ويخفف (٣) حجن صبيان (٤) حكى فيه فتح أوله
 اسكان ثانيه أو ضمه أو ضمهما

كان مروءة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بقبالة بين مكة واليمن مسيرة سبع ليال من مكة وكان سدنتها بنو امامة من باهلة بن أعصر وكانت تعظمها وتهدي لها خثعم وبجيلة وازد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوزان ومن كان ببلادهم من العرب بقبالة وفيها يقول خدش بن زهير العامري لعنم (١) بن وحشى في عهد كان بينهم فغدر بهم

وذكرته بالله بينى وبينه وما بيننا من مدة (٢) لو تذكرنا

وبالمروءة البيضاء يوم قبالة ومحبة العمان حيث تنصرا

فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلمت العرب ووفدت عليه وفودها قدم عليه حرير بن عبد الله مسلما فقال له يا جرير ألا تكفيني ذا الخالصة فقال بلى فوجهه اليه فخرج حتى أتى بنى أحس من بجيلة فسار بهم اليه فقاتلته خثعم وناهلة دونه فقتل من سدنته من باهلة يومئذ مائة رجل وأكثرت القتل في خثعم وقتل مائتين من بنى قحافة بن عامر بن خثعم فظفر بهم وهزمهم وهدم بنيان ذى الخالصة وأضرم فيه النار فاحترق وذو الخالصة اليوم عتبة باب مسجد قبالة وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تذهب الدنيا حتى تصطك أليات نساء دوس على ذى الخالصة يعبدونه كما كانوا يعبدونه» وكان يحج اليه ويهدي له روى العباس أحمد بن يحيى ثعلب أن المنتشر بن وهب الباهلي خرج يريد حج ذى الخالصة ومعه غلمة من قومه وكان بنو نفيل بن عمرو بن كلاب أعداء له فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث ابن كعب وطريقه عليهم وكان من حج ذى الخالصة اهدى له هديا يتحرم به ممن لقيه فلم يكن مع المنتشر هدى فسار وانذر بنو نفيل بالمنتشر بنى الحارث بن كعب وأراد قتالهم فأمنوه وكان قد أسر رجلا منهم يقال له هند بن اسماء ابن زنباع فسأله ان يفدى نفسه فأبطأ عليه فقطع أنمله ثم أبطأ فقطع منه أخرى وقد آمنه القوم ووضع سلاحه فقال أتؤمنون مقطعا والهى لا أومنه ثم قتل فرثاه أخوه لامه اعشى باهلة بقصيدته التى يقول فى مطلعها

(١) خزانة الادب للبغدادى لعقبة (٢) رواية خزانة الادب من هذه

انى أتتى لسان لا أسر بها من علولا عجب منها ولا سخر (١)
الى أن قال

أصبت فى حرم منا أخت ثقة هند بن أسماء لا يهنى لك الظفر
خاطب قاتل المنتشر بقوله أصبت منا أخت ثقة فى حرم وهو حرم ذى الخلصة
وروى البخارى بسنده عن جرير قال كان بيت فى الجاهلية يقال له ذو
الخلصة والكعبة اليمانية والكعبة الشامية فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم
ألا تريحنى من ذى الخلصة فنقرت فى مائة وخمسين راكبا فكسرناه واستشكله
بعض المحدثين بأن معناه كان يقال الكعبة اليمانية والشامية يعنون بالشامية
البيت الحرام فزيادة له سهو وباسقاطه يصح المعنى واجاب عنه السهيلي بأن
الحديث فى جامع البخارى بزيادة له كما فى صحيح مسلم وليست له بزيادة
سهوا اذ المعنى كان يقال له أى يقال من أجله الكعبة الشامية للكعبة
وهو الكعبة اليمانية وله بمعنى من أجله لا تنكر كما قال ابن أبى ربيعة
وقير من آخر الليل قد لا ح له قالت الفتانان قوما

ذو الشرى - صنم كان لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الازد
ذو الكعبات - بيت كان لربيعة كانوا يطوفون به كما فى تاج العروس
وكان بسداد وفيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة

بين الخورق والسدير وبارق والبيت ذى الشرفات من سداد
ذو الكفين - صنم كان لبني منهج بن دوس فلما أسلموا بعث النبى عليه
الصلاة والسلام الطفيل بن عمرو الدوسى فجعل يلقي النار فى وجهه ويحرقه ويقول
يا ذا الكفين لست من عبادك ميلادنا أكبر من ميلادك

انى حشوت النار فى فؤادك

الربة - اللات وكعبة كانت بنجران لمذحج وبني الحارث بن كعب (عن
تاج العروس)

(١) اللسان الرسالة واراد بها نعى المنتشر و (سخر) بضمين أى اتانى
رسالة من أعلى نجد لا أعجب منها وان كانت عظيمة لاذ مصائب الدنيا كثيرة

رضاء - بيت لبنى ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول
المستوغر بن ربيعة بن كعب حين هدمها في الاسلام
ولقد شددت على رضاء شدة فتركتها قفرا بقاع اسحما
وأعان عبد الله في مكروها وبمثل عبد الله أغشى المحرما
رئام - هو بيت كان بصنعاء لمحير وأهل اليمن يعظمونه وينحرون عنده
ويكلمون منه فيما يذكرون فلما انصرف تبع من مسيره الذي سار فيه الى
العراق قدم معه الخبران اللذان صحباه من المدينة فأمر بهدم رئام وقال
انما هو شيطان يفتنهم فخل بيننا وبينه قال شأنكما فنشر التوراة وجملا
يقرأنها وهدماه قال ابن اسحاق فبقاياها اليوم كما ذكر لي بها آثار الدماء التي
كانت تهراق عليه

السجة - صنم كما في القاموس

سعد - قال أبو المنذر هو صنم كان لبنى مالك وملك كان ابني كنانة ومكانه
بساحل جدة وتلك الناحية وكان سعد صخرة طويلة فأقبل رجل من بني
ملك بأبل له ليقفها عليه ابتغاء بركته فلما أدناها منه ورأته وكان يهراق
عليه الدماء نفرت منه فذهبت في كل وجه فغضب ربها فتناول حجرا فرماه
به وقال لا بارك الله فيك الها أنفرت على ابلي ثم خرج في طلبها حتى جمعها
ثم انصرف وهو يقول

اتينا الى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد الا صخرة بتنوفة من الارض لا يدعولفي ولا رشد

سعد - صنم أيضا كان لمذحج (عن احمد فارس)

سعد - صنم أيضا كانت تعبده هذيل (عن المخصص)

السعيدة - بيت بني بجبل أحد كانت تحجج ربيعة في الجاهلية (عن المخصص)

سعير - بصيغة التصغير صنم كان لعنزة قال ابو المنذر خرج جعفر بن أبي

خلاص الكلابي على ناقته فر به وقد عترت عنزة عنده فنفرت ناقته منه

فأنشأ يقول

تفرت قلوبى من عتائر صرعت حول السعير يزوره ابنا يقدم (١)
 وجوع يذكّر مهطمين جنا به ما ان يحير اليهم بتكلم
 سواع - قال ابوا المنذر وكان أول من اتخذ تلك الاصنام من ولد اسماعيل
 وغيرهم وسموها باسمائها على ما بقى فيهم من ذكرها حين فارقوا دين اسماعيل
 هذيل بن مذركة (٢) اتخذوا سواعا وذلك ان عمرو بن لحي دفع للحارث
 ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعا فكان لهم
 (١) يقدم ويذكر ابنا عنزة رأى الشاعر بنى هؤلاء يطوفون حول السعير
 (٢) مقتضاه ان ودا وسواعا ويعوق ويعوق ونسرا هي غير ما عبده
 قوم نوح بل مطابقة لها في الاسم وفي المستطرف انها اصنام قوم نوح لقوله
 واما يعوق ويعوق ونسر . ففيل انهم كانوا اولاد آدم عليه السلام وكانوا
 اتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فأرادوا أن يصوروا صورته
 ليدكروه اذا نظروه فصوروه من صفر ونحاس وجعلوه في مؤخر المسجد
 كراهة ان يكون في قبلته ثم مات آخر ففعلوا به ذلك الى أن ماتوا كلهم فصوروه
 هناك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وعبدوها الى أن بعث الله
 نوحا عليه السلام فنهاهم عن عبادتها . ولما عم الطوفان الارض طمها وعلا عليها
 التراب زمنا طويلا ثم أخرجها مشركو العرب فعبدوها . وذكر الواحدى
 فى الوسيط ان هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام
 فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون أنشط لهم
 وأشوق للعبادة كلما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم جهال بالاحوال فحسن لهم
 عبادتها فعبدوها ومقتضاه أن تكون هذه الاصنام تماثيل أنسانية لكن
 نقل الواحدى ان ودا كان على صورة رجل وسواعا على صورة امرأة ويعوق
 على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسرا على صورة نسر وهذا
 يصحح ما ذكره أبوا المنذر وابن اسحق من أن الاصنام المذكورة ليست هي
 الاصنام التي عبدها قوم نوح وانما سميت باسمائها

برهاط من أرض يذنبع يعبدونه يليه من مضر بن نزار وكانت سدة نته
بنى لحيان وكانوا يحجون اليه وينحرون عنده ويمكفون عليه وفي ذلك
يقول الشاعر

تراهم حول قبلتهم عكوا كما عكفت هذيل على سواع

تظل جبا به صرعى لديه عتائر من ذخائر كل راع

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لخدمه عمرو بن العاص قال عمرو
فلما انتهيت اليه وعنده السادن فقال ما تريد فقلت أمرني رسول الله أن أهده
قال لا تقدر على ذلك قلت لم قال تمنع فقلت ويحك وهل يسمع أو يبصر قال
فدنوت منه فكسرتة ثم قلت للسادن كيف رأيت قال أسلمت لله

الشارق - صنم كانت تعبد هذيل وبه سمى عبدالشارق (عن تاج العروس)

شمس - صنم قديم كان في الجاهلية وبه سمى عبد شمس وهو بطن من

قريش وأول من تسمى به سبأ بن يشجب (عن تاج العروس)

ضمار (١) - صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه (سيرة ابن هشام)

الضمين - صنم كان يعبد من دون الله في الجاهلية (عن المخصص)

الضيزان - صنمان كانا للمنذر الأكبر كان اتخذهما بباب الحيرة ليسجد

لهما من دخل الحيرة امتحانا للطاعة (عن المخصص)

عائم - بالهمز صنم كان لازد السراة وأقسم زيد الخير به فقال

تخبر من لا قيت ان قد هزمتهم ولم تدر ما سيأثم لاوعائم

عبدة مرحب - صنم كان يحضرموت

عمععب - بالعين المهملة ويقال بالمعجمة صنم كانت قضاة تعبد (عن المخصص)

العزى - صنم عبده العرب واتخذ عليه بيت قال ابو المنذر (وهي

(١) قال السهيلي ضمار بكسر الراء مثل حذام ورقاش ولا يكون مثل

هذا البناء الا في أسماء المؤنث وكانوا يجعلون آلهتهم انا كالكالات والعزى ومناة

لاعتقادهم الخبيث في الملائكة انها بنات

أحدث من اللات ومناة وذلك انى سمعت العرب سمت بهما قبل العزى فوجدت تميم بن مر سمي ابنه زيد مناة بن تميم بن مر بن اد بن طابخة وعبد مناة ابن اد وباسم اللات سمي ثعلبة بن عكابة ابنه تيم اللات وتيم اللات بن رفيدة ابن ثور وزيد اللات بن رفيدة بن ثور بن وبرة بن مر بن اد بن طابخة وتيم اللات بن النمر بن قاسط وعبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم فهم أحدث من الاوليين . وعبد العزى بن كعب من أقدم ما سمت به العرب وكان الذى اتخذ العزى ظالم بن أسعد (١) وكانت بواد من نخلة الشامية يقال له حراض بازاء الغمير عن يمين المصعد الى العراق من مكة وذلك فوق ذات عرق الى البستان بتسعة أميال فبنى عليها بيتا وكانوا يسمعون فيه الصوت وكانت العرب وقريش تسمى بها وكانت أعظم الاصنام عند قريش وكانوا يزورونها ويتقربون عندها بالدبائح وكانت قريش قد حمت لها شعبا من وادى حراض يقال له سقام يضاهون به حرم الكعبة فذاك قول ابى جندب الهذلى فى حلف امرأة كان يهواها بها

لقد حلفت جهدا يميننا غليظة بفرع اتى أحمت فروع سقام
وكان لها منحرج ينحرون فيه هداياها يقال له الغبغب (٢) وفيه يقول
نهيكة الفزارى لعامر بن الطفيل

يا عام لو قدرت عليك رماحنا والراقصات الى منى فالغبغب
وكانت قريش تخصصها بالاعظام فلذلك يقول زيد بن عمرو بن نفيل وكان
قد تأله فى الجاهلية وترك عبادتها وعبادة غيرها من الاصنام
تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل الصبور
فلا العزى ادين ولا ابنتيها (٣) ولا صنمى بنى غنم أزور
ولا يهبل أزور وكان ربا لنا فى الدهر اذ حلنى صغير

(١) تنقل عن ابن العربى عند الكلام على اللات ان اول من دعا لعبادة
العزى عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب (٢) قال السهيلي الغبغب هو المنحرج
ومراق الدم كأنه سمي بحكاية صوت الدم عند انبعاثه (٣) رواية ولا ابتغيها

وكان سدة العزى بنو شيبان بن جابر بن مرة من بني سليم وكان آخر من سدنهم دبية بن حرمي السلمي . فلم تزل العزى كذلك حتى بعث الله نبيه فعبأها وغيرها من الاصنام ونهاهم عن عبادتها ونزل القرآن فيها فاشتد ذلك على قريش ومرض أبو أحيحة مرضه الذي مات فيه فدخل عليه أبو لهب يعود فوجده يبكي فقال ما يبكيك يا أبا أحيحة أمن الموت تبكي ولا بدمنه قال لا ولكني أخاف ألا تعبد العزى بعدى قال أبو لهب والله ما عبت حياتك لاجلك ولا تترك عبادتها بعدك لموتك فقال أبو أحيحة الآن علمت ان لى خليفة . وأعجبه شدة نصبه في عبادتها فلما كان يوم الفتح دعا النبي خالد بن الوليد فقال انطلق الى شجرة بطن نخلة فاعضدها فانطلق فقتل دبية سادنها (وذكر ابن هشام انها كانت بيتا يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر فلما علم سادنها السلمي بمسير خالد اليها علق عليها سيفه وأسند في الجبل الذي هى فيه وهو يقول

اياز شدى شدة لا توى بها (١) على خالد القى القناع وشمري
فانك الا تقتلى اليوم خالدا فبؤى بذل عاجلا وتنصرى
فلما انتهى اليها خالد هدمها وقال بعضهم ان خالدا حمل على العزى وهو يقول

يا عز كفرانك لا سبحانك انى رأيت الله قد أهانك

ثم قتل دبية السادن وقطع الشجرة وكان من سدنهم أفلح بن النضر السلمي من بني سليم حكى سعيد بن عمرو الهذلي ان أفلح سادنها لما حضرته الوفاة دخل عليه أبو لهب يعود وهو حزين فقال ما لي أراك حزينا قال أخاف ان تضيع العزى بعدى فقال له لا تحزن فاني أقوم عليها بعدك . فجعل أبو لهب يقول لكل من لقي أن تظهر العزى كنت قد أخذت عندها يدا وان يظهر محمد على العزى وما أراه يظهر فابن أخى فانزل الله تعالى (تبت يدا أبا لهب) وروى ابن العربي من حديث أبي الوليد ان سدة العزى بنو شيبان بن سليم حلفاء

(١) رواه خزائن الادب : عزى شدى شدة لا تكذبي .

بنى هاشم . وكانت قريش وبنو كنانة وخزاعة وجميع مضر تعظمها فإذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة لم يحلوا حتى يأتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها ويعكفون عندها يوما وقال أبو المنذر (ولم تكن قريش بمكة ومن أقام بها من العرب يعظمون شيئا من الأصنام اعظمهم العزى ثم اللات ثم مناة فاما العزى فكانت تخصها دون غيرها بالزيارة والهدية وذلك فيما أضل لقربها منها . وكانت ثقيف تخص اللات كخاصة قريش العزى وكانت الاوس والخزرج تخص مناة كخاصة هؤلاء الآخرين وكلهم كان معظما للعزى ولم يكونوا يرون في الخسة الأصنام التي دفعها عمرو بن لحي وهي التي ذكرها الله تعالى في القرآن المجيد حيث قال (ولا تذرون ودا ولا سواعا ولا يغوث ولا يعوق وسرا) كرايتهم في هذه ولا قريبا من ذلك فظننت ان ذلك كان لبعدها منهم وكانت قريش تعظمها وكانت غي وباهلة يعبدونها معهم » وروى ابن العربي بسنده عن ابن عباس ان خالد بن الوليد بعد أن هدم العزى رجع الى رسول الله . وقال الحمد لله الذي أكرمنا بك يا رسول الله وأتقنا من الهلكة لقد كنت أرى أبي يأتي العزى بخير ماله من الابل والغنم فيذبجها للعزى ويقيم عندها ثلاثا ثم ينصرف اليها مسرورا فمظرت الى مامات أبي عليه والى ذلك الرأي الذي كان يعيش في فضله حتى يذبح لمسا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع . فقال رسول الله ان هذا الامر الى الله فمن يسره للهدى تيسره له ومن يسره للضلالة كان لها . وكان هدمها لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان وجاء حسان بن ثابت الانصاري الى رسول الله وهو في المسجد فقال يا رسول الله ائذن لي أقول فاني لا أقول الا حقا فقال قل فانشأ يقول

شهدت باذن الله ان محمدا رسول الذي فوق السموات من عل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد فقال حسان

وان ابا يحيى ويحيى كليهما له عمل في دينه متقبل

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان الذى عادى اليهود ابن مريم رسول أتى من عند ذى العرش مرسل

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان أخا الاحقاف اذ يعذلونه يجاهد فى ذات الاله ويعدل

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان التى بالجزع من بطن نخلة ومن دانها فل عن الحق معزل (١)

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد قال سفیان يعنى العزى

عميانيس (٢) — قال أبو المنذر وكان لخولان صنم يقال له (عميانيس)

بارض خولان يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله تعالى بزعمهم

فما دخل فى حق الله تعالى من حق عميانيس ردوه عليه وما دخل فى حق الصنم

من حق الله الذى سموه له تركوه . وهم اليممرى فى عيون الاثر وابن هشام فى

سيرته فسمياه « عم انس » وقد تبعهما احمد البدوى الشنقيطى فى كتابه عمود

النسب فقال بعد ذكر خولان

أضاهم صنمهم عم أنس كانوا اذا ما الغيث عنهم احتبس

توسلوا اليه بالذبائح فامطروا وأعظم القبائح

ان جعلوا له ولله نصيب من مالهم وان تغيب النصيب

أعطى للصنم حظ الله وحظه لم يعط للاله

ومن حديث هذا الصنم أن النبی علیه السلام قال لخولان ما أعظم ما رأيتم

من فتنته قالوا له يا رسول الله لقد رأينا وقد اسنتنا حتى أكلنا الرمة وهلك

ثاغيتنا وراغيتنا وحافرنا فقلنا قربوا لعميانيس قربانا يشفع لكم فتغاثوا فتعاونا

فجمعنا ما قدرنا عليه من عين مالنا ثم ذهب داهبنا فابتاع مائة ثور ثم حشرها

عائنا فنحرقناها فى غداة واحدة وتركناها للسباع ونحن أحوج اليها من

السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا . فأى فتنة أعظم من هذه فلقد رأينا الغيث

يوارى الرجال ويقول قائلنا أنعم علينا عميانيس وسأئوه عليه السلام عما قسموا

(١) قال هشام الغل من الارض المجذبة التى لا خير فيها ولا ركة فشبها بذلك

(٢) فى القاموس عميانيس بالضم والياء المشناة تحت بعدها الف ونون صنم لخولان

له من ما لهم فذكر لهم ان الله أنزل عليه في ذلك « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله . وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون » وفي سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق ان ذلك الصنم كان لبطن من خولان يقال لهم الادييم . عوض — ذكر ابن هشام ان ابن السكابي لم يذكره في كتاب الاصنام وقال عوض اسم صنم كان لبكر بن وائل وفيه يقول رشيد بن رميض بالتصغير فيهما العزى

حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير
حلف بالانصاب التي حول السعير وبالدماء الجاريات حوله وكانوا يذبحون
للانعام (عن البغدادى فى خزانه الادب)
العوف — صنم (عن القاموس)

غيب — انظر عيب

غمدان — بيت غمدان بناه الضحاك بمدينة صنعاء اليمن على اسم الزهرة
وخر به عثمان ذو النورين (عن الممل والنحل للشهرستانى)
الملس — قال أبو المنذر . وكان لطيف صنم يقال الفلس وكان انفاً أحر في
وسط جبلهم الذى يقال له أجأ اسود كانه تمثال انسان . وكانوا يعبدونه
ويهدون اليه ويعترون عنده عتائهم ولا يأتية خائف الا أمن عنده ولا يطرد
أحد طريدة فيلجأ بها اليه الا تركت له ولم تخفر حويته (١) وكانت سدنته
بنو بولان وهو الذى بدأ بعبادته فكان آخر من سدنته منهم رجل يقال له
صيفى فأطرد ناقة خلية (٢) لامرأة من كاب من بنى عليم وكانت جارة لمالك
ابن كلثوم الشمجى وكان شريفاً فانطلق بها حتى وقفها بفناء الفلس . وخرجت
جارة مالك فاخبرته بذهابه بناقتها فركب فرساً عربياً وأخذ رحمه وخرج في
(١) الحوية كغنية استدارة كل شئ — والمعنى ان ماصار في حرمة يتركه
(٢) الخلية من معانيها الناقة التى تنتج وهى غزيرة فيجر ولدها من تحتها
فيجعل تحت أخرى وتخلى هى للحلب

أثره فأدركه وهو عند الفيلسوف والناقاة موقوفة عند الفيلسوف فقال له خل سبيل ناقاة جارتى . فقال انها لربك . قال : خل سبيلها قال أتخفر الطك فبوا له الرمح (١) خل عقاها وانصرف بها مالك وأقبل السادن على الفيلسوف ونظر الى مالك ورفع يده وقال وهو يشير بيده اليه

- يارب ان مالك بن كلثوم أخفرك اليوم بنابءكوم (٢)

وكننت قبل اليوم غير منخوم

يخرضه عليه وعدى بن حاتم يومئذ قد عثر عنده وجلس هو ونفر معه يتحدثون بما صنع مالك وفزع لذلك عدى بن حاتم وقال انظروا ما يصيبه في يومه هذا فمضت له أيام لم يصبه شئ فرفض عدى عبادته وعبادة الاصنام وتنصر فلم يزل متنصرا حتى جاء الله بالاسلام فاسلم فكان مالك أول من أخفره فكان بعد ذلك السادن اذا أطرده طريفة أخذت منه فلم يزل الفيلسوف يعبد حتى ظهرت دعوة النبي عليه السلام فبعث اليه على بن أبي طالب فهدمه وأخذ سيفين كان الحارث بن أبي شمر الفسائي ملك غسان قلده اياهما يقال لهما مخذم ورسوب فقدم بهما على بن أبي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم فنقلدهما ثم دفعه الى على بن أبي طالب فهو سيفه الذي كان يتقلده

القيس - كنيسة بناها أبرهة الاشرم (انظر صفحة ١٣٤)

القيس - صنم لم يذكره ابن السكبي وبه سمى امرؤ القيس أى رجل ذلك الصنم ولذلك كان الاصمعي يكره أن يروى قوله في معاقته - عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل - فكان يقول يا مرأ الله

كثرى - صنم لجديس وطسم كسره نهشل الربيش بن عرعة ولحق بالنبي عليه الصلاة والسلام فأسلم ولم يكتب له كتاباً وقال عمرو بن صخر بن اشنم حلفت بكثرى حلفة غير برة لتستلبن أثواب قيس بن عازب الكسعة - صنم عبدوه في الجاهلية (عن تاج العروس)

(١) بوا الرمح نحوه قابله به (٢) أخفره نقض عهده وغدره و(الباب)الناقاة المسنة و(الملكوم) الشديدة

الكعبة - هي بيت الله الحرام وهو أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين بناء بالوحي الإلهي إبراهيم وإسماعيل قال الشهرستاني وكدب من قال ان بيت الله الحرام إنما هو بيت زحل ولهذا المعنى اقترن الدوام به بقاء والتعظيم له لقاء مقبولة وسماه بيت زحل ولهذا المعنى اقترن الدوام به بقاء والتعظيم له لقاء لان زحل يدل على البقاء وطول العمر أكثر مما يدل عليه سائر الكواكب وهذا خطأ لان البهاء الاول كان مستنداً الى الوحي على يدي أصحاب الوحي كعبة نجران . كانت ابني الحارث . قال أبو الفرج الاصفهاني انها بيعة بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة للكعبة وسموها كعبة نجران . وكان فيها أساقفة يقيمون وهم الذين جاءوا الى النبي ودعاهم الى الميابة . وقيل انها قبة من ثلاثمائة جلد لعبد المسيح بن دارس بن عدي وسمتها العرب كعبة نجران لانهم كانوا يقصدون زيارتها كما يقصدون زيارة الكعبة . فكان اذا نزل بها مستجير اجير أو خائف أمن أو مسترفد اعطى ما طلب أو جائع شبع أو طالب حاجة قضيت وفيها يقول الاعشى يخاطب اقلته فكعبة نجران حتم عليك حتى تنأخي بأبوابها نزور يزيد وعبد المسيح وقيسأهو خير أربابها قال أبو المنذر « وكان ابني الحارث بن كعب كعبة بنجران يعظمونها وهي التي ذكرها الاعشى وقد زعموا انها لم تكن كعبة عبادة وإنما كانت غرفة لاولئك القوم الذين ذكرهم وما أشبه ذلك عندي بان يكون كذلك لاني لا أسمع بني الحارث يسمونها في شعر وكان لا ياد كعبة أخرى بسنداد من أرض بين الكوفة والبصرة في الظهر وهي التي ذكرها الاسود بن يعفر (١) وقد سمعت ان هذا البيت لم يكن بيت عبادة إنما كان منزلاً شريفاً فذكره » كعب وامراته - صنمان لم يذكرهما ابن الكلبي كانا في كنيسة القاييس وكان كعب خشبة من ساج منقوشة طولها ستون ذراعاً وكانت امرأته

(١) قول الاسود بن يعفر المشار اليه هو

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

خشبة من السّاج مثلها في الطول وكانوا يتبركون بهما في الجاهلية
اللات - صخرة بالطائف اتخذ العرب عليها بيتا قال أبو المنذر وهي أحدث
من مناة وكانت صخرة مربعة وكان يهودى يلت عندها السوق وكان سدنتها
من ثقيف بنو عتاب (١) بن مالك وكانوا قد بنوا أمامها بناء وكانت قريش
وجميع العرب تعظمها وبها كانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت
في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم وهي التي ذكرها الله في القرآن
فقال (افرايتم اللات والعزى) وفيها يقول عمرو بن الجعيد

فاني وتركى وصل كأس لكالدى تبرأ من لات وكان يدينها
وقال السهيلي « ان عمرو بن لحي هو اللات الذي يلت السوق للحجيج
على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات ويقال ان الذي يلت كان من ثقيف
فلما مات قال لهم عمرو انه لم يمت ولكن دخل في الصخرة ثم أمرهم بعبادتها
وأن يبنوا عليها بيتا يسمى اللات . ودام أمره وأمر ولده على هذا بمكة
ثلاثمائة سنة فلما هلك سميت تلك الصخرة اللات مخففة البناء واتخذنا يعبد »
وحكى ابن العربي من حديث أبي الوليد بسنده عن ابن عباس قال : « ان رجلا
ممن مضى كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن من الحاج اذا مر يلت
سويقهم وكان ذا غنم فسميت صخرة اللات فلما فقده الناس قال لهم عمرو ان
ربكم اللات قد دخل في جوف الصخرة . وكانت العزى ثلاث شجرات نخيل
وكان أول من دعا الى عبادتها عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب وقال لهم عمرو
ان ربكم يصيف باللات لبرد الطائف ويشقى بالعزى لحرقهم فبنوا على صخرته
بيتا يعبدونه أهل الطائف وهم ثقيف ويسترونه بالثياب ويهدون له الهدى
ويطوفون حوله ويسمونونه الربة يضاهون به بيت الله الحرام بمكة ولهدمه خبر
مفصل وهو انه لما قدم وفد ثقيف على رسول الله بعد فتح مكة لاصلاح
لتيقنهم الا طاقة لهم بقتاله وهم بضعة عشر رجلا من أشrafهم فيهم كنانة
وعبد ياليل وهو رئيسهم يومئذ وصاحب أمرهم فعرض عليهم النبي الاسلام
(١) جعل ابن اسحاق سدنتها بني معتب :

فقالوا له أرأيت الزنا فانا قوم نفترب ولا بد لنا منه قال هو عليكم حرام . قالوا فالربا فانه أموالنا كلها قال والربا حرام ولكم رهوس أموالكم . قالوا فالخمر فانها عصير أرضنا ولا بد لنا منها قال ان الله قد حرمها وتلا عليهم بذلك كله قرآنا قالوا أرأيت الربة ماذا نصنع فيها . قال اهدمونها . قالوا هيهات لو تلم الربة انك تريد هدمها قتلت أهلها . فقال عمر بن الخطاب ويحك يا عبد ياليل ما أحمقك انما الربة حجر قالوا انا لم نأتك يا ابن الخطاب ثم قالوا يا رسول الله تول أنت هدمها فاما نحن فلا نهدمها أبداً فقال سأبعث من يكفيكم هدمها فرجعوا الى بلادهم وبعث رسول الله سرية منهم أبو سفيان بن حرب ومنهم المغيرة ابن شعبه وأمر عليهم خالد بن الوليد فلما قدموا عليهم عمدوا الى اللات ليهدموها وأنكفت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان حتى خرج العواتق من الحجال وهم لا يرون انها تهدم ويظنون انها ستمتنع فاخذ المغيرة بن شعبه فأساً كبيرة وقال لاصحابه لاضحككنكم من ثقيف قالوا بلى فضرب بالمعول ضربة ثم صاح وخر مغشياً على وجهه فارتجت الطائف بالصياح سرورا بان اللات قد صرعت المغيرة وأقبلوا يقولون كيف رأيتها يا مغيرة دونكها ان استطعت ألم تعلم انها تهلك من عاداها . من شاء منكم فليقترب وليجد على هدمها فوالله لا تستطاع ابدا . فوثب المغيرة يضحك منهم ويقول والله يامعشر ثقيف ما قصدت الا الهزء بكم انما هي لكاع حجارة ومدرثم ضرب الباب فكسره ثم علوا سورها فما زالوا يهدمونها حتى سووها بالارض . وجعل صاحب المفاتيح يقول ليغضبن الاساس فليخسفن بهم الارض فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد : دعني أحفر أساسها فخفروه حتى أخرجوا ترابها وحرقوها بالنار ثم أخذوا حايها وثيابها وكسوتها فقدموا به على رسول الله فقسمه من يومه وحمدوا الله عز وجل على نصر نبيه واعزاز دينه وروى ان المغيرة لما قام يهدمها قام قومه دونه بنو معتب خشية أن يرمى أو يصاب وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها ويقلن

لتبكين دفاع أسلمها الرضاع (١) لم يحسنوا المصاع (٢)

وفي اللات يقول كعب بن مالك الانصارى من قصيدة

وننسى اللات والعزى وودا ونسايها القلائد والشنؤفا

ويقول شداد بن عارض الجشمى ينهى ثقيفا عن العود اليها

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها وكيف نصركم من ليس ينتصر

ان التي حرقت بالدار فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها هدر

ان الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن وليس بها من أهلها بشر

المحرق - صنم لبكر بن وائل كان إسمان (عن تاج العروس)

المدان - صنم وبه سمى عبد المدان وهو أبو قبيلة (عن تاج العروس)

مرحب - صنم كان بحضر موت اليمرو ذو مرحب ربيعة بن معديكرب

كان سادنه اى حافظه (عن تاج العروس)

مناة - صنم من أصنامهم قدم به عمرو بن لحي من البلقاء من أرض

الشام الى مكة ونصبه حول الكعبة . قال أبو المنذر . ان العرب دانت للأصنام

وانخذوها فكان أقدمها كلها مناة وسمت العرب عبد مناة وزيد مناة وكان

منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة . وكانت

العرب جميعاً تعظمه وتذبح حوله وكانت الاوس والخزرج ومن ينزل المدينة

ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له . وكان أولاد

معد على بقية من دين اسماعيل . وكانت ربيعة ومضر على بقية من دينه ولم

يكن أحد أشد إعظاماً له من الاوس والخزرج ومناة هي التي ذكرها الله

تعالى في قوله ومناة الثالثة الاخرى (٣) وكانت لهذيل وخزاعة وكانت قريش

(١) اى أسلمها اللثام (٢) فى رواية اذ كر هوا المصاع - والمصاع القتال

(٣) قال السهيلي مناة وزنه فعلة من منيت الدم وغيره اذا صببته لان

الدماء كانت تمنى عنده تقرباً اليه ومنه سميت الاصنام الدمى وجعلها ثلاثة اللات

والعزى وأخرى بالاضافة الى مناة التي كان يعبدونها عمرو بن الجموح وغيره من

قومه فهما مناتان واحداً غير الاخرى بالاضافة الى صاحبتهما

وجميع العرب تعظمه فلم يزل على ذلك حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سنة ثمان من الهجرة وهو عام الفتح فلما سار من المدينة أربع ليال أو خمس ليال بعث عليا (١) اليها فهدمها وأخذ ما كان لها فأقبل به الى النبي صلى الله عليه وسلم . وكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبي شمر ملك غسان أهدهما اسم أحدهما مخزم والآخر رسوب وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة في شعره فقال

مظاهر سر بالي حديد عليهما عقيلا سيوف مخزم ورسوب
فوهبهما لعل . فيقال ان ذا الفقار سيف على أحدهما . ويقال ان عليا وجدتهما في الفلج صنم لطيف حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لهدمه وكانت الاوس والخزرج يخصصونها دون غيرها بالزيارة والهدية «

وروى ابن العربي عن ابن اسحاق ان عمرو بن لحي نصب مناة على ساحل البحر مما يلي قديد وكانت الازد وغسان يحجونها ويعظمونها . فاذا طافوا بالبيت وأفاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلوا الا عند مناة . وكانوا يهلون لها ومن أهلها لم يطف بين الصفا والمروة لمكان الصنمين
مناف - صنم به سمي عبد مناف قال أبو المنذر ولا أدري أين كان ولا من نصبه

منهب - صنم ذكره الجاحظ في الترييع والتدوير

نائلة - صنم (انظر أساف)

نسر - صنم قال أبو المنذر واجابت عمرو بن لحي حمير فدفع الى رجل من ذى رعين يقال له معد يكرب نسرا فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبده حمير ومن والاها فلم يزل يعبدونه حتى هودهم ذو نواس ولم أسمع حمير سميت به أحدا ولم أسمع له ذكرا في أشعارها وأشعار العرب وأظن ذلك كان لا ينتقال حمير عن عبادة الاصنام الى اليهودية «

(١) في قول آخر ان النبي بعث لهدمها أبا سفيان بن حرب فهدمها وذكر

القولان ابن هشام

(وأقول) ذكره في الشعر عمرو بن عبد الجاهلي فقال

أما والدماء المائرات تتخاطها على قنة العزى وبالذسر عند ما
نعتّر - صنم (عن المخصص)

نم - صنم عبدة مزينة وبه سمت عبدتهم وكان سادته خزاعي بن عبد
نم من مزينة فلما سمع ببعثة رسول الله شرح الله صدره الاسلام فكسر
صنمه وانشأ يقول

ذهبت الى نهم لا ذبح عنده عتيرة نسك كالذي كنت أفعل
فقلت لنفسى حين راجعت عقلها أهذا إله أ بكم ليس يعقل
أبيت فديني اليوم دين محمد إله السماء الماجد المتفضل
ثم لحق بالنبي فأسلم وضمن اسلام قومه مزينة

هبل - كان من أعظم الاصنام عند قريش وكان من عتيق أحر على صورة
الانسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب وكان
أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . وكان يقال له هبل خزيمة
ذكر ذلك أبو المنذر وحكي ابن هشام أن هبل قدم به عمرو بن لحي من مأرب
فنصبه في مكة وأمر الناس لعبادته وتعظيمه واختلف في موضعه فالشهرستاني
ذهب الى انه كان على ظهر الكعبة وابن اسحاق ذهب الى انه كان عند البئر
التي كانت في جوف الكعبة على يمين من دخلها . وكان عمقها ثلاث أذرع حفرها
ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ليحفظ فيها ما يهدي الى الكعبة . وكانت
تسمى الاخسف وكان قدامه سبعة أقدح يضربونها عنده اذا اختصموا في
أمر أو أرادوا سفراً أو عملاً فما خرج عملوا به وانتهوا اليه

ود - صنم عبدة كلب بدومة الجندل قال أبو المنذر « ان عمرو بن لحي أتى
شط جده فاستشار الاصنام ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب
الى عبادتها فاجابه عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن
كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فدفع اليه
ودا فحمله الى وادي القرى فأقره بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو أول

من سمي به ثم سميت العرب به بعد وجعل غوف ابنه عامرا الذي يقال له غامر
 الاجدار سادنا له فلم يزل بنوه يسدونونه حتى جاء الله بالاسلام . قال السكبي
 فحدثني مالك بن حارثة الاجداري انه رأى ودا قال وكان أبى يبعثني بالابن اليه
 فيقول اسقه الهك فاشربه قال ثم رأيت خالد بن الوليد كسره فجعله جذازا وكان
 رسول الله بعث خالد بن الوليد من غزوة تبوك لهدمه فحلت بينه وبين هدمه
 بنو عبد ود وبنو عامر الاجدار فقاتلهم حتى قتلهم وهدمه وكسره قال السكبي
 فقلت لمالك بن حارثة صف لي ودا حتى كافي أنظر اليه قال كان تمثال رجل
 كاعظم مايكون من الرجال قد ذبر عليه (١) حلتان متزر بحلة ومرتد بأخرى
 عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوسا وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة (٢)
 فيها نبل « وفي ود يقول الشاعر

حياك ود فانا لا يحل لنا لهو النساء وان الدين قد عزمنا
 ودع - صنم (عن المخصص)

ياليل - وزن هابل صنم سميت العرب به عبد ياليل (عن تاج العروس)
اليعبوب - كان لجديلة طيبي صنم فأخذته منهم بنو أسد فأتخذوا بعده

اليعبوب صنما عبدوه فلذلك قال عبيد

فتبدلوا اليعبوب بعد الههم صنما فقرروا يا جديل وأعذبوا
 أى لا تأكلوا على ذلك ولا تشربوا

يعوق - صنم قال أبو المنذر (وأجابت عمرو بن لحي همدان فدفع الى مالك

ابن مرثد بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان يعوق
 فأخذته خيوان فكان بقرية يقال لها خيوان (٣) من صنماء على ليلتين مما يلي مكة
 تعبده همدان ومن والاها من أرض اليمن ولم أسمع همدان سميت به ولا غيرها
 من العرب ولم أسمع لها أو غيرها فيه شعرا وأظن ذلك لانهم قربوا من صنماء
 واختلطوا بحمير فدانوا معهم باليهودية أيام تهود ذو نواس فتهودوا معه)

(١) رواية ذبر أى نقش (٢) الوفضة الجمبة (٣) خيوان بطن من همدان

كافي ابن هشام

أقول قد ذكره في الشعر مالك بن نخط الحمداني في قوله :

يريش الله في الدنيا ويبرى ولا يبرى يعوق ولا يريش (١)

يفوث - صنم - قال أبو المذر اتخذته مذحج وأهل جرش وفيه يقول الشاعر

وسار بنا يفوث الى مراد فناجزناهم قبل الصباح

ودفعه عمرو بن لحي الى أنعم بن عمرو المرادي فكان بأكمة باليمن يقال لها
مذحج تعبد به مذحج ومن والاها

* كثرة الاصنام *

ليس في الاستطاعة حصر أصنامهم في الجاهلية فكثرتها تتجاوز العد .
وقد كان للقبيلة أكثر من صنم وكان منها عند الكعبة كثير حكى الزمخشري
انه كان حولها ثلثمائة وستون صنما لكل قوم صنم بحياهم . ولما دخل
رسول الله يوم فتح مكة المسجد والاصنام منصوبة حول الكعبة جعل
يطعن بسية قوسه (٢) في عيونها ووجوهها ويقول جاء الحق وزهق الباطل
ان الباطل كان زهوقا ثم أمر بها فكفئت على وجوهها وارتقى على بن أبي
طالب على منكبه الشريف حتى صعد الكعبة فقال له عليه السلام الق صنمهم
الا كبر وكان من نحاس وقيل من زجاج وألقى كل ما عليها من الاصنام ولم يبق
الا صنم خزاعة موندأ بأوتاد من حديد فما زال يعالجه حتى تم كنه منه فقذفه
فتكسر ثم أخرجت من المسجد فخرقت وفي تكسيرها يقول فضالة بن عمير
ابن الملوح الليثي (٣)

قالت هلم الى الحديث فقلت لا ياأبي عليك الله والاسلام

() يریش ويبرى من رشت السهم وبريته ثم استعير في المنفع والضرر

قال سويد

فرشني بخير طالما قد بريتني وخير الموالى من يریش ولا يبرى

(٢) سية القوس ماعطف من طرفها (٣) نسبها ابن السكبي في كتاب

الاصنام لراشد بن عبد الله السلمي

أو ما رأيت محمداً وجنوده (١) بالفتح يوم تكسر الأصنام
 رأيت دين الله أضحى بينا (٢) والشرك يغشى وجهه الاظلام
 وقال تميم بن أسد الخزاعي

وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرحو الثواب أو العقاب
 وأصنامهم سفرا وحضرا تجل عن الحصر أما في الحضر فذكر ابن اسحاق
 ان أهل كل دار اتخذوا في دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر
 ما يصنع في منزله أن يتمسح بصنمه واذا قدم من سفره كان أول ما يصنع
 اذا دخل منزله أن يتمسح به فلما بعث الله تعالى نبيه ودعاهم لعبادة الله
 وحده قالوا أجعل الآلهة إلها واحداً ان هذا شيء عجاب . وأما في السفر
 فكان الرجل منهم اذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر الى أحسنها
 فاتخذها رباً وجعل الثلاثة اثنى لقدره واذا ارتحل تركه فاذا نزل منزلاً آخر
 فعل مثل ذلك قال أبو المنذر « واستهترت العرب في عبادتها فمنهم من اتخذ بيتاً
 ومنهم من اتخذ صنماً ومن لم يقدر على اتخاذ صنم أو بناء بيت نصب حجراً اما
 من الحرم واما من غيره مما استحسن ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها
 الانصاب وسموا طوافهم الدوار » واتخذ كثير منهم في داره صنماً وكثيراً ما
 يسميه بأسم الصنم الذي تعبد به القبيلة ويتخذ على مثاله ليتمكن من عبادته
 وهو في داره حكى ابن هشام في سيرته ان عمرو بن الجموح أحد سادات بني
 سامة وأشرافهم كان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له مناة كما كانت
 الاشراف يصنعون تتخذها إلها تعظمه وأطهره فلما أسلم فتيان بني سامة كانوا
 يدالجون (٣) بالليل على صنمه فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سامة
 وفيها عذر الناس منكساً على رأسه فاذا أصبح عمرو قال : ويلكم من غدا (٤)
 على آلهتنا هذه الليلة قال ثم يغدو يلتمسه حتى اذا وجدته غسله وطهره وطيبه

(١) رواية وقبيلة (٢) رواية نور الله أضحى ساطعاً (٣) أدلج سار أول
 الليل وأدلج سار آخر الليل وقيل الادلاج سير الليل كله (٤) الاصل ان معنى
 غدا عليه بكر ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق في أي وقت كان

ثم قال أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لآخزينه فاذا أمسى ونام عمرو غدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الاذى فيفسله ويطهره ويطيبه ثم يغدون عليه اذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك فلما أكتروا عليه استخرجه من حيث ألقيه يوما ففسله فطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له انى والله ما أعلم من يصنع بك ماترى فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما أمسى ونام عمرو غدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقيه في بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجحوح فلم يجد في مكانه الذى كان به فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقرونا بكلب ميت فلما رآه أبصر شأنه وكله من أسلم من قومه فأسلم وحسن اسلامه وقال حين أسلم يذكر صنمه وما أبصر من أمره

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلب وسط بئر في قرن (١)
 أف للملأك إلهاً مستدن الآن فتشناك عن سوء الغبن (٢)
 الحمد لله العلى ذى المنن الواهب الرزاق ديان الدين (٣)
 هو الذى أنقذنى من قبل أن أكون فى ظلمة قبر صتهن
 ومثله فى ترك عبادة صنمه حين رآه عاجزاً عن الدفاع عن نفسه غاوى بن ظالم فقد كان يأتى صنمه بالخبز والزبد فيضعه عند رأسه ويقول له أطعم وقيل انه كان سادناً له فجاء ثعلبان (وهو ذكر الثعلب) فأكل الخبز والزبد ثم بال على رأس الصنم فلما رأى ذلك غاوى بن ظالم تبين له الحق فقال
 لقد خاب قوم أملوك لشدة أرادوا نزالاً ان تكون تحارب
 فلا أنت تغنى عن أمور تواترت ولا أنت دفاع اذا حل نائب

(١) القرن الحبل (٢) مستدن من السدانة وهى خدمة البيت وتعظيمه و (الغبن) يكون فى الرأى يقال غبن رأيه بمعنى خسر نفسه وأوبقها (٣) قال السهيلي الدين جمع دينة وهى العادة ويقال لها دين أيضاً ويجوز أن يكون أراد بالدين الاديان أى هو ديان أهل الاديان ولكن جمعها على الدين لانها ملل ونحل

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب
 ثم ضرب الصنم فكسره وأتى النبي فآمن وسأله عليه الصلاة والسلام
 عن اسمه فقال غاوى بن ظالم . قال لا بل أنت راشد بن عبد ربه
 (وكانوا) لا يتخذونها من مادة معينة . قال أبو رجاء العطاردي كنا نعبد
 الحجر في الجاهلية فاذا وجدنا حجرا أحسن منه تلقى ذلك وتأخذة فاذا لم
 نجد حجرا جمعنا حفنة من تراب ثم جئنا بغنم فخابناها عليه ثم طفنا به . وقال
 أيضا كنا نعمد الى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده وكنا نعمد الى الحجر
 الابيض فنعبده زمانا ثم نلقيه .

وقد اتخذت بنو حنيفة صنما من حيس فعبدوه دهرآ طويلا ثم أدركتهم
 مجاعة فأكلوه . وفيهم يقول الشاعر
 أكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة
 لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة
 وقال رجل من بني تميم

أكلت ربها حنيفة من جو ع قديم بها ومن أعواز
 عبادة الأصنام وما يتقرب به لها

عبد أكثر العرب الأصنام لا لذاتها بل لتقربهم الى الله زلفى وتشفع لهم
 عنده روى انهم كانوا يقولون في طوافهم بالكعبة واللات والعزى ومناة
 الثالثة الاخرى فانهن الغرائيق العلى وان شفاعتهم لترجيى فعملوا عبادتها
 وسيلة لعبادته ولما كان ذلك من الشرك انكره الله تعالى عليهم في غير ما آية من
 كتابه كما انكر عليهم اعتقادهم انها بنات الله في قوله (أفرايتم اللات والعزى
 ومناة الثالثة الاخرى الحكم الذكر وله الاثنى تلك اذن قسمة ضيزى ان هي الا
 أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بهامن سلطان) وما أسرع تزلزل هذه
 المقيدة عند مبدأ النظر فقد روى ان قريشا قالت قيسوا لابي بكر رجلا
 يأخذه فقيضوا له طلحة بن عبيد الله فأتاه وهو في القوم فقال يا أبا بكر قم الى
 فقال الام تدعوني قال أدعوك الى عبادة اللات والعزى فقال أبو بكر من اللات

والعزى قال بنات الله قال فن أمهم فسكت طلحة وقال لأصحابه أجيئوا صاحبكم
ففسكتوا فقال طلحة قم يا أبا بكر فاني أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله (فكانوا) يعظمونها ويلبسونها أحسن الثياب وخلف الشنفرى بثياب
الاقيصر فقال

وان امراً أجار عمرا ورهطه على وأتواب الاقيصر يعنف
(وكانوا) يتقربون لها بالمناسك والمشاعر وحملوا لها وحرموا وسيبوا
لها السوائب والبحائر (وكانوا) يحجون اليها فلذلك نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن شد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجده عليه السلام والمسجد
الحرام والمسجد الاقصى لان الله ضاعف أجر العبادة فيها (وكانوا) يطوفون
بها تقربا اليها وشاهده قول اسرى القيس يشبه قطيعا من البقر يلوذ بعضه ببعض
ويدور كما تدور العذارى حول الصنم دوار

فمن لنا سرب كان نعاجه عذارى دوار في الملاء المذيل
(وكانوا) يسبحون ويهللون لها قال ربيع بن صبيغ الفزارى
واننى والذي نغم الانام له حول الاقيصر تسبيح وتهليل
(وكانوا) يستقسمون عندها بالارلام (وكانوا) يجعلون لها نصيبا من
انمامهم وحرثهم (وكانوا) يقفون لها الاوقاف ويهدونها أقواتهم يرجون
بذلك الخير والبركة * روى نافع عن أبي نعيم قال : كان أبو طالب يعطى عليا
قدحا من اللبن يصبه على اللات فكان على يشرب اللبن ويبول على اللات
(وكانوا) يسمون أنفسهم باسماء مضافة اليها بالعبودية أو الاختصاص كعبد
اللات وعبد العزى وامرى القيس فغير النبي عليه الصلاة والسلام ما كان من أسماء
أصحابه كذلك يعبد الله وعبد الرحمن و (كانوا) يقسمون بها فيقول الحالف
واللات أو وهبل مثلا ويرون ان الحالف بها كذبا يستوجب نقصا في الاموال
والانفس والثمرات فلا يقدمون على ذلك . ويستحلف الاخصام بعضهم بعضا
باسمائهم فنهوا عن ذلك بقوله عليه السلام من حلف بغير الله فقد أشرك
و (كانوا) ينذرون لها النذور ومنها مولى السائبة وهو ما سيب نذر الالهة

فلا يمنع من ماء ولا كلاء وان كان رقيقا وأعتقه مالكة سائبة فلا يعقل عنه ولا يورث ولا ولاء عليه لاحد . ومن اعتق سائبة سالم مولى أبي حذيفة اعتقه قتيبة بنت يعار وقيل اسمها ثبيثة بنت يعار فانقطع سالم الى أبي حذيفة ابن عتبة بن ربيعة فتبناه فقيل سالم مولى أبي حذيفة

و (كانوا) يسجدون لها وينكسون رأسهم عندها قال الشاعر

فبات يجتاب شقارى كما يقرر من يمشى الى الجلسد (١)

و (كانوا) يستعينون بها في حوائجهم من شفاء المريض وغنى الفقير وغير ذلك فأوجب الله عليهم أن يقولوا في صلاتهم (اياك نعبد و اياك نستعين) وقال تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) و (كانوا) لا يمكنون الحيض من النساء من الدنو منها ولا التمسح بها انما كانت الحائض تقف ناحية منها قال بلعاء بن قيس بن عبد الله بن يعمر وهو الشداخ الالبي

و قرن قد تركت الطير منه كعنتز العوارك من مناف (٢)

و (كانوا) يجعلون لاصنامهم أعيادا وروينا حديث أم أيمن في ذلك عند ذكر الصنم بوانة و (كانوا) يهدون لها الهدايا ويقربون لها القرابين فمنها (الفرع) وفسره الشافعي بأنه أول نتاج البهيمة كانوا يذبحونه ولا يملكونه لاحد رجاء البركة في الام وكثرة نسلها وفسره أبو علي القالى بأنه ذبح كان أهل الجاهلية يذبحونه على أصنامهم ويلبسون جلده سقياً آخر وفي المحكم الفرع أول نتاج الابل والغنم كان أهل الجاهلية يذبحونه لا سنامهم ثم يأكلونه ويلقى جلده على الشجر وعن أبي مالك انه البكر ينجره الرجل للصنم اذا بلغت ابله مائة ويقال انه ذبح كانوا اذا بلغت الابل ما تمناه صاحبها ذبحوه وكذلك اذا بلغت ابله مائة يعتر منها بعير كل عام ولا يأكل منه هو ولا أهل بيته ويطاق الفرع أيضا على الطعام الذى يصنع لنتاج الابل كالخرس لاولادة وقال الميذاني في مجمع الامثال عند قولهم في المثل (أول الصيد فرع) مانصه الفرع أول

(١) البيقرة أن يعدو الرجل منكسا رأسه و (الجلسد) صنم (٢) المعتز

المتنحى في ناحية - و (مناف) صنم

ولقد نذتجه الماقة كانوا يذبحونه لآلهتهم يتبركون بذلك وكان الرجل يقول
إذا تمت ابلى كذا نحرت أول نذيج منها و(كاوا) إذا أرادوا نحروه زينوه
والبسوه ولذلك قال أوس بن حجر يذكر أزمة في شدة البرد

وشبه الهيدب العباب من الاقــسوام سقياً مجللاً فرعاً (١)

وأفرع القوم إذا ذبحوا الفرع يقال أفرع إذا أراق الدم مأخوذ من الفرع
ومنه قولهم للضبيع اذ وقعت في الغنم

أفرعت في قرارى كأنما ضرارى أردت يا جمار (٢)

ومنها (العتيرة) بوزن عظيمة وهي كما قال أبو عبيد . ذبيحة كانوا يذبحونها
في الجاهلية في رجب يتقربون بها لاصنامهم وهي الرجبية . ولغيره انهم كانوا
ينذرون من بلغ ماله كذا أن يذبح من كل عشرة منها في رجب عتيرة . وفي
الصحاح العتيرة هي أن الرجل كان يقول في الجاهلية ان بلغ ابلى مائة عترة
منها عتيرة في رجب ونقل أبو داود تقييدها بالعاشر الاول من رجب . وروى
الحميدى انها الشاة التي تذبح عن أهل بيت في رجب وسميت بذلك لذبحها وهو
المر . وفسرها النووى بأنها ذبيحة كانوا يذبحونها في العشر الاول من رجب
ويسمونها الرجبية وفيها يقول المابغة الجعدي وكان من المعمرين

قالت أمامة كم عمرت زمانة وذبحت من عتر على الاوثان

وقد أبطلت الشريعة المطهرة كلا من الفرع والعتيرة لقوله عليه السلام
في الحديث الصحيح لا فرع ولا عتيرة وهذا النهي محمول على ما اذا كان
ذبحهما لطواغيتهم وآلهتهم كما كانوا يصنعون في الجاهلية أما اذا لم يقصد
بذبحهما غير وجه الله تعالى فلا حظر فيه وعليه يحمل ما رواه البيهقي بسنده
عن الطارث بن عمر قال أتيت النبي بعرفات أو قال بمنى وسأله رجل عن العتيرة
فقال من شاء عتر ومن شاء لم يعتر ومن شاء فرع ومن شاء لم يفرع ولكنهم
نهوا عن تخصيص ذبح العتيرة في رجب لحديث ان رجلاً نادى رسول الله
(١) الهيدب النبی الثقيل و(العباب) العبي الثقيل و(المقب) الذكر

من ولد الناقة ساعة يولد (٢) القرار الغنم و(جمار) كقطام الضبيع

انا كنا نعتر عتيرة في الجاهلية فمات امرنا قال اذبحوا لله في أى شهر كان لما
في التخصيص من تفضيل بعض الاوقات على بعض وتمييزها بالعبادة من غير
نص من الشارع كما نهوا عن تخصيص ذبح الفرع أول ما يولد لان رسول الله لما
سئل عن الفرع قال الفرع حق وأن تركوه حتى يكون بكرا أو ابن مخاض
أو ابن لبون (١) فتعطيه ارملة أو تحمل عليه في سبيل الله خير من أن تذبحه
فيلزق لحمه بوبره (٢) وتكفىء اناك (٣) وتوله ناقتك (٤) ومنه تعلم ان
الفرع كان يصلح عندهم للفسك ولو ذبح صغيرا أما غيره فلا يصلح لذلك
الا اذا ذبح كبيرا وشاهده قول أبي علي القالى في أماليه (الحلان والحلام
فويق الجدى وأنشد لابن احرر

تهدى اليه ذراعُ الجدى تمكرمة اما ذبيحا واما كان حلالا

فالدبيح الذى يصلح للفسك والحلان الصغير الذى لا يصلح للفسك ثم قال
وانشدنا أبو عبيدة قول مهلهل

كل قتيل فى كليب حلام حتى ينال القتل آل همام

يقول كل قتيل صغير ليس هو بوفاء من كليب بمنزلة الحلام الذى ليس بوفاء أن
يذبح للفسك حتى ينال القتل آل همام فانهم وفاء به «

و(كانوا) يذبحون قربانهم عند الاصنام اذا كانوا بمقربة منها وحينئذ
يلطخونها بدمائها يلتمسون بذلك الزيادة فى أموالهم ودفع المكروه عنهم
وشاهده قول زهير بن أبى سلمى

فزل عنها وأوفى رأس مرقبة كمنصب المتردى رأسه الفسك (٥)

(١) البكر الفتى من الابل والاثنى بكرة و(ابن المخاض) التفصيل اذ
لقت أمه وقيل مادخل فى السنة الثانية لان أمه لحقت بالمخاض أى الحواما
وان لم تكن حاملا و(ابن اللبون) ولد الناقة اذا كان فى العام الثانى واستكم
وقيل اذا دخل فى الثالث والاثنى ابنة لبون لان أمه وضعت غيره (٢) يريد
انه لا شبع فيه (٣) يشير به الى ذهاب اللبن لان ذهاب ولدها يدفع لبنه
فكانه اذا فعل ذلك كفىء اناءه وأراقه (٤) يعنى تفجعها بولدها (٥) معنى البيضة

وقد هجا شاعرهم رجلا فشبهه برأس بقرة قد قاربت أن يذهب بصرها
فلا تصلح الا للذبح والنسك فقال

لقد أنكحت أسماء رأس بقيرة من الادم أهداها أمرو من بنى غنم
رأى قدعا في عينها اذ يسوقها الى غبغب العزى فوسع في القسم (١)
وكذلك كانوا يصنعون اذا نحرروا هديا قسموه فيمن حضرهم و (كانوا)
يهلون بأسمائها عند الذبح فيقولون باسم اللات أو العزى مثلا وغلوا في ذلك
حتى قالت كفار قريش ما ذكر اسم الله عليه فلا تأكلوه وما ذبحتم لغيره فكلوه
خرم الله ذلك واعتبر ذبيحتهم نجسة يحرم أكلها بقوله (ولا تأكلوا مما لم
يذكر اسم الله عليه وانه لنفسق) (٢) وتبع نصارى العرب كفار قريش في
تعمد ترك اسم الله تعالى عند الذبح ولذلك نهى عليه الصلاة والسلام عن ذبيحة
نصارى العرب على أن من العرب من فتح الله بصيرته فعلم سوء صنيعهم هذا
من هؤلاء زيد بن عمرو بن ثعلبة وكان ممن اعتزل عبادة الاوثان وحرّم أكل
ذبائح المشركين ومن قوله في ذلك (يامعشر قريش أيرسل الله قطر السماء وينبت
بقل الارض ويخلق السائمة فترعى فتذبحونها لغير الله)

ومن أنواع قرايينهم في الجاهلية البحرية والسائية والوصيلة والحامى وورد
ذكر الثلاثة الاخيرة في قول الشاعر

حول الوصائل في شريف حقّة والحاميات ظهورها والسيب (٣)

زل الصقر عن القطاة وأشرف على رأس (سرقبة) وهى المكان المرتفع حيث
يرقب الرقيب وقوله (كمنصب العتر) أى كأن الصقر مما به من الدم الحجر
الذى يعتر عليه وهو النصب و (العتر) ذبح كان يذبح في رجب (١) القدح
ضعف البصر من ادمان النظر و (الغبغب) المنحدر مهبraq الدماء (٢) فسر النفسق
بمتروك التسمية عمدا لقوله تعالى أوفسق أهل لغير الله به (٣) حول جمع حائل
ويقال فى جمعها أيضا حوال والحائل كل أنثى لا تحمل و (الشريف) اسم موضع
واذا طعنت الابل فى الرابعة فهى حق وحقّة و (وصائل) ووصل جمع وصيلة
و (سيب) وسوائب جمع سائبة - وفى نسخة حول الفصائل

وتتميز كل واحدة منها عما عداها بعلامة كما قال الجاحظ « وقد أعلم العرب
البحيرة بغير علم السائبة لتمييز عنها وأعلموا الحامى بغير علم الفحول وكذلك
الفرع والرجبية والوصيلة والعتيرة من الغنم وكذلك سائر الاغنام السائمة »
ولنبين معانيها فنقول ، أما البحيرة فهي فعيلة بمعنى مفعولة من البحر
وهو الشق جمعها بحائر وبحر . وفسرها الزجاج بأن أهل الجاهلية كانوا اذا نتجت
الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنفا وحرموا نحرها وركوبها ولا تطرد
من ماء ولا تمنع من مرعى واذا لقيها المعى لم يركبها وفسرها ابن اسحاق بأنها
بنت السائبة (١) وتعقبه ابن هشام بأنها عند العرب ليست كذلك بل البحيرة
عندهم الناقة تشق أذنفا فلا يركب ظهرها ولا يحز وبرها ولا يشرب لبنها الا ضيف
ولا يتصدق به وتهمل لا تهتم

وقال الكلبي كانت الناقة اذا نتجت خمسة أبطن فكان الخامس ذكرا أكله
الرجال دون النساء وان كان أنثى بحروا أذنفا وشقوها وتركوا لا يشرب لها لبن
ولا تركب قيل ولا يحز لها وبر ولا يحمل عليها شيء ولا يذكر اسم الله عليها
ان ذكيت وتكون ألبانها للرجال دون النساء وان كانت سبعة اشترك فيها
الرجال والنساء . وقيل البحيرة الناقة التي ولدت خمسة أو سبعة وقيل بل عشرة
أبطن وتترك هملا واذا ماتت حل لحمها للرجال خاصة وقيل هي في الشاة خاصة
اذا نتجت خمسة أبطن بحرت . وعن ابن المسيب انها التي منع لبنها للطواغيت
فلا تحلب وقيل هي السقب الذي اذا ولد شقوا أذنه وقالوا اللهم ان عاش ففتى
وان مات فذكى فاذا مات أكلوه . وقيل التي تترك في المرعى بلا راع

أما السائبة فهي فاعلة من سيبته أى تركته وأعملته فهو سائب وهي سائبة
قال ابن اسحاق هي الناقة اذا تابعت بين عشر أناث ليس بينهن ذكر سيبت
فلم يركب ظهرها ولم يحز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك
من أنثى شقت أذنفا ثم خلى سبيلها مع امها فلم يركب ظهرها ولم يحز وبرها
ولم يشرب لبنها الا ضيف كما فعل بأمها فهي البحيرة بنت السائبة وتعقبه

(١) من معانيها في القاموس انها ابنة السائبة وحكمها حكم أمها

ابن هشام بأن السائبة عند العرب هي التي ينذر الرجل أن يسيبها ان يرى من مرضه أو ان أصاب امرا يطلبه فاذا كان ذلك اساب ناقة من ابله أو جملا لبعض آلهم فسابت فرعت لا ينتفع بها وعن أبي عبيدة كان الرجل اذا قدم من سفر بعيد أو نجته دابته من مشقة أو حرب . قال هي سائبة أو كان ينزع من ظهرها فقارة أو عظماً (١) وكانت لاتنعم من ماء ولا كلاء ولا تركب وكان هذا نذرا من نذورهم وقيل هي البعير الذي يدرك نتاج نتاجه فيترك ولا يركب وقيل ماترك ليحج عليه وعن ابن عباس وابن مسعود انها التي تسبب للانعام فتعطى للسدنة ولا يطعم من لبنها الا أبناء السبيل ونحوهم والسائبة أيضا العبد يعتق على ألا يكون عليه ولاء ولا عقل ولا ميراث

وأما الوصيلة فهي فعيلة بمعنى فاعلة على الاظهر وقيل بمعنى مفعولة وفسرها ابن اسحاق بانها الشاة اذا اتأمت عشر أناث متتابعات في خمسة أبطن ليس بينهما ذكر جعلت وصيلة قالوا قد وصلت . فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون اناتهم (٢) الا ان يموت منها شيء فيشترك في أكله ذكورهم واناتهم . وتعقبه ابن هشام بأن الوصيلة عند العرب هي التي تلدها اثنتين في كل بطن فيجعل صاحبهما لآلته الاناث منها ولنفسه الذكور فتلدها (٣) أمها ومعهما ذكر في بطن فيقولون وصلت أخاها فيسبب أخوها معها فلا ينتفع بهما

وقال القراء هي الشاة تنتج سبعة أبطن عناقين (٤) عناقين واذا ولدت في آخرها عناقا وجديا قيل وصلت أخاها فلا يشرب لبن الام الا الرجال دون النساء وتجري مجرى السائبة . وعن ابن عباس هي الشاة تنتج سبعة أبطن فان

(١) نقل القلقشندي في صبيح الاعشى سببا آخر لاغلاق الظهر اذ قال كان الرجل منهم اذا بلغت ابله مائة عمدا الى البعير الذي كملت به المائة فاعلق ظهره بأن ينزع شيئا من فقراته ويمقر سنامه كي لا يركب ليعلم ان ابل صاحبه قد اتمأت (٢) بروي فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنينهم دون اناتهم (٣) أي الاثني (٤) العناق كسحاب الاثني من أولاد المعز جمعه أعنق وعنوق

كان السابع انثى لم ينتفع النساء منها بشئ الا أن تموت فيأكلها الرجال والنساء وكذا ان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها فترك معه وينتفع بها الرجال دون النساء فان ماتت اشتركوا فيها قال ابن قتيبة ان كان السابع ذكرا ذبح وأكلوا منه دون النساء . وقالوا خالصة لذكورنا محرمة على أزواجنا وان كان انثى تركت في الغنم وان ذكرا وانثى فكقول ابن عباس

وقال الزجاج هي الشاة اذا ولدت ذكرا كان لآلهمم واذا ولدت انثى كانت لهم واذا ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها أي دفعت عنه الذبح فلم يذبخوا الذكر لآلهمم . وقيل هي الشاة تنتج خمسة أبطن أو ثلاثة . فان كان جديا ذبحوه وان كان انثى أبقوها وان كان ذكرا وانثى قالوا وصلت أخاها . وقيل الوصيلة من الابل هي الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن لا ذكر بينها . وقيل أنها الناقة التي تبكر فتلد أنثى ثم تثني بولادة أنثى أخرى ليس بينهما ذكر فيتربكونها لآلهمم ويقولون قد وصلت أنثى بأنثى ليس بينهما ذكر

وأما الحامى فهو فاعل من الحمى بمعنى المنع واختلف فيه . فقال ابن اسحاق انه الفحل اذا نتج له عشر أناث متتابعات ليس بينهما ذكر حتى ظهره . فلم يركب ظهره ولم يحز وبره وخلى في ابله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك وقيل هو الفحل ينتج له سبع أناث متواليات فيحمى ظهره . وقال الشافعى انه الفحل يضرب في مال صاحبه عشر سنين وقال القراء هو الفحل اذا لقح ولد ولده فيقولون حمى ظهره فيهمل ولا يطرد من ماء ولا مرعى . وقال أبو عبيدة والزجاج انه الفحل يولد من ظهره عشرة أبطن فيقولون حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى . وروى هذا القول عن ابن عباس وابن مسعود

وكانوا يرون أن الضرورة تبيح المحظور . وشاهده ما رواه المفضل الضبي أن جبيلة بن عبد الله أخا بني قريع بن عوف أغار على ابل جرية بن أوس بن عامر يوم صلوق فاطرد ابله غير ناقة كانت مما يحرم أهل الجاهلية ركوبها وكان لجرية ابن أخت يرعى ابله فبلغ الخبر خاله والقوم قد سبقوا

بالابل غير تلك الناقة الحرام فقال جرية للسلام رد على تلك الناقة لأركبها في أثر القوم فقال الغلام انها حرام فقال جرية «حرامه يركب من لاحتلال له» فحرت مثلاً لمن اضطر الى ما يكرهه

واختلاف أئمة اللغة والمفسرين في معناها يرجع لاختلاف القبائل في ذلك فنقل بعضهم عن قبيلة معنى يخالف ما نقله غيره عن قبيلة أخرى وبهذا تعلم أن لا وجه لابن هشام في تعقبه ابن اسحاق ويؤيد ما ذهبنا اليه ما رواه أبو هريرة ان النبي عليه السلام قال ان عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف أول من غير دين اسماعيل وبحر البهيرة وسبب السائبة وحى الحامى وما رواه زيد بن أسلم أن رسول الله: قال قد عرفت أول من بحر البحائر رجل من مدلج كانت له ناقةتان جددع آذانهما وحرّم ألبانهما وظهورهما وقال هاتان لله ثم احتاج اليهما فشرب ألبانهما وركب ظهورهما قال فلقد رأيت في النار يؤذى أهل النار ريح قصبة فقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام في حديث أبي هريرة أن أول من بحر البهيرة عمرو بن لحي وهو أبو خزاعة من القحطانية (١) وأخبر في حديث زيد بن أسلم أن أول من بحرهما رجل من مدلج وهم بطن من كنانة بن خزيمه بن مدركة من العدنانية . وأوليتهما انما هي بالنسبة لمن اتبعهما فيما ابتدعا فلا ينافي أولية غيرهما فاختلف المعنى لاختلاف الواضعين وقد أبطل الشارع ذلك وحرّمه لقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرم لا يعقلون) وقوله (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمتهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميته فمهم فيه - شركاء (٢) سيجزيهم

(١) قال القاضى عياض المروفي في نسب خزاعة انه عمرو بن لحي ابن قعدة بن الياس بن مضر وعليه فهو من العدنانية وان لم يكن من بنى مدلج (٢) الحجر الحرام كانوا لا يطعمون ما حرّموا من الحرث والأنعام الا من

وضفهم (١) انه حكيم عليم »

الاستقسام بالازلام

من عادتهم معرفة ما قدر لهم بالاستقسام بالازلام أى القداح فاذا أراد أحدهم سفرا أو غزوا أو تجارة أو أمرا من معازم الامور ضرب بالقداح وهي ثلاث قطع من الخشب مكتوب على بعضها نهانى ربى وعلى بعضها أمرنى ربى وبعضها غفل كذا قال الفراء فان خرج الآمر مضى لطيبته وان خرج الناهى أمسك وان خرج الغفل أجالها عودا . وقيل كان يستقسم بقدحين مكتوب على أحدهما افعل وعلى الثانى لا تفعل . فان خرج افعل مضى وان خرج لا تفعل ترك وقيل كان لا يمضى حتى يخرج له لا تفعل ثلاث مرات فان خرج له مرة افعل ومرة لا تفعل ولم يخلص له أحدهما ثم مضى فى ذلك فقد مضى وهو يرجو ويخاف . وذهب ابن ظفر الى أن الازلام سبعة قداح مكتوب على أحدها نعم وعلى الآخر لا وعلى قدح منكم وعلى قدح من غيركم وعلى قدح ملصق وعلى قدح العقل وعلى قدح فضل العقل وكانت بيد سادن الاصنام فيأتيه ذو الحاجة بدراعم فيأل الصنم أن يوضح له ما سأل عنه بضرب القداح . وجعلها ابن هشام سبعة أيضا لكنه اسقط فضل العقل وجعل سابعها للمياه اذا أرادوا أن يحفروا المياه ضربوا به فاخرج عملوا به وذكر انها كانت عند الصنم هبل شاءوا من خدمة الاوثان والرجال دون النساء . وكانوا يحرمون ظهور السوائم والبحائر والحوامى وكانوا يحرمون ذكر اسم الله على بعض الانعام فلا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها كما حرموا ذكر اسمه تعالى على ما ذبح للاصنام وجعلوا ما فى بطونها للذكور دون الاناث . وفى الآية من الفقه الزجر عن التشبه بهم فى تخصيصهم الذكور دون الاناث بالهبات حكى البخارى فى التاريخ ان عمرة روت عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يعبد أحدكم الى المال فيجعله عند ذكور ولده ان هذا الا كما قال الله تعالى « وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة للذكورنا » (١) أى سيجزيهم الله بما كذبوا عليه فى التحليل والتحريم

فكانوا يذهبون اليه اذا ارادوا امرامما يستشار فيه ويعطون الذي يضرب بالقдах
مائة درهم وجزور فان شكوا في نسب أحد قربوا من يشكون في نسبه تم قالوا
يا إلهنا هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه ويأمرون
صاحب القдах أن يضرب بالقдах الموسومة بمنكم ومن غيركم وملصق فان
خرج منكم أضافوا نسبه الى أنفسهم وان خرج من غيركم كان حليفًا وان خرج
عليه ملصق كان على منزلته فيهم لان نسب له ولا حلف واذا تنازعوا في العقل وهي
دية المقتول أحضروا المتهم بالقتل واستقسم لهم الامين بقدين أحدهما موسوم
بالعقل والآخر غفل فان خرج الموسوم بالعقل تحمل الدية وان خرج الغفل
لا وان اشتبهوا فيمن يحمل العقل منهم ضربوا بهذين القدين أيضا فان خرج
على قوم العقل برئ منه الآخرون وان عقلوا ففضل شيء فان اختلفوا فيه
ضرب بالقдах الموسوم بفضل العقل فان خرج عليه أداه واذا أرا. وا معرفة
ما في فعل أسر من خير أو شر أجال لهم أمين القдах قدحى أمرني ربي
ونهاى ربي (١) فان خرج قدح الامر ائتمروا وباشروا المسئول عنه من حرب
أو سفر أو زواج أو ختان أو بناء أو نحو ذلك وان خرج قدح النهى أخروا
ذلك العمل الى سنة أخرى فاذا انقضت استقسموا مرة أخرى

هذا ما ذكره النقات ويتأخص من كلامهم ان الاستقسام عام وخاص
فالعام ما يزاوله كل واحد بان يعمد الى ثلاث قداح مكتوب على أحدها
امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل فيضعها في خريطة ويحيلها ثم
يخرج منها واحدا فان خرج الأمر فعل وان خرج الداهى ترك وان خرج
الغفل أعاد . والخاص وهو ما يراد منه الحكم لا مجرد الاستشارة يكون لدى
سادن الصنم كما اذا ارادوا معرفة من عليه العقل أو غير ذلك . وقال ابن اسحاق
كان لهبل سبعة قداح يضرب بها على الميت والعذرة والسكاح وكان قربانه
مائة بعير . وكان له حاجب . وكانوا اذا جاءوا هبل بالقربان ضربوا بالقдах وقالوا
(١) يروى ان الاستقسام حينئذ بقدين كتب على أحدهما نعم وعلى
الآخر لا

انا اختلافنا فهب السراحا ثلاثة ياهبـل فصاحا
الميت والعذرة والنكاحا والمبرئ المريض والصحاها
ان لم تقله فر القداها

ولم يقصرها الفلقشندي في صبح الاعشى على سبعة لقوله « كانوا اذا ارادوا فعل امر ولا يدرون ما الامر فيه أخذوا قداها مكتوبا على بعضها افعل. وعلى بعضها لا تفعل وعلى بعضها نعم وعلى بعضها لا وعلى بعضها خذو على بعضها سر وعلى بعضها سريع فاذا أراد احدكم سفرا مثلا أتى سادن الارثان فيضرب له بتلك القداح ويقول اللهم أيها كان خيرا له فاخرجه فما خرج له عمل به واذا شكوا في نسب رجل أجالوا القداح وفي بعضها مكتوب صريح وفي بعضها مكتوب ملحق فان خرج الصريح اثبتوا نسبه وان خرج الملحق نفوه وان كان بين اثنين اختلاف في حق سمي كل منهما له سهم او أجالوا القداح فن خرج سهمه فالحق له »
ومن شواهد الاستقسام عند النصب قول طرفة بن العبد

للفتى عقل يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه
أخذ الازلام مقتسما فأنى اغواها زلمه (١)
عند انصاب لها زفر في صعيد حمة ادمه (٢)

واخبار استقسامهم كثيرة فنها ما حكاها الاصبهاني وغيره انهم كانوا يستقسمون عند ذى الخلصة وان امراً القيس لما قتل بنو أسد اياه حجراً اخذ أزالامه وأتى الصنم ذا الخلصة فاستقسم فخرج له القدح الذي يكره فكسر الازلام وضرب بها وجه الصنم وقال لو كان ابوك قتل ماعقتنى ثم انشد
لو كنت يا ذا الخلصة الموتورا مثلى وكان شيخك المقبوراً

(١) يروى : فأفاض القدح مقتسما و (اغواها) من الغواية وثنى الضمير في اغواها وهو للازلام لان الشعر لحكم قافيته يحتمل ما لا يحتمله النثر و (الزلم) واحد الازلام

(٢) الانصاب الحجارة التي كانوا يذبحون عليها و (الصعيد) التراب و (حمة) كثيرة و (ادمه) جلوده يعنى جلود ما حمل الرجل الى الانصاب

لم تنه عن قتل العداة زورا

ثم خرج فظفر بيني أسد . قال ابو المذر فلم يستقسم أحد عند ذى الخليفة بعد ذلك حتى جاء الاسلام فكان امرؤ القيس أول من أحفره
ومن ذلك ما حكاه ابن اسحاق «أن عبد المطلب بن هاشم شرع في حفر
بئر زمزم فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان
دفنت جرمهم فيها حين خرجت من مكة ووجد فيها أسيافا قاعية (١) وأدراعا
فقال له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق قال لا ولكن
هلوا الى أمر نصف بيني وبينكم انضرب عليها بالقداح . قالوا وكيف تصنع
قال أجعل للكعبة قدحين ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج له قدحاه
على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا أنصفت فجعل قدحين
أسودين له وقدحين أصفرين للكعبة وقدحين أبيضين لقريش وضرب صاحب
القداح بها عندهبل أعظم أسنامهم وهو الذى عناه أبو سفيان بن حرب يوم
أحد حين قال اعل هبل أى أظهر دينك نخرج الأصفران على الغزالين وخرج
الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش فضرب
عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة وضرب فى الباب الغزالين من ذهب فكان
أول ذهب حلته الكعبة فيما يزعمون

ومنها ان قريشا استقسمت فى غزوة بدر الكبرى عند هبل للخروج
لحرب رسول الله فاستقسم أمية بن خلف وعتبة وشيبة نخرج القدح الناهى
فاجمعوا المقام حتى أزعجهم أبو جهل وخرج زمعة بن الأسود حتى اذا كان
بذى طوى أخرج قداحه واستقسم بها نخرج الناهى عن الخروج فلقى غيظا
ثم أعادها الثانية فلقى مثل ذلك فكسرها وقال ما رأيت كاليوم قدحا كاذب
ومن الشواهد على استقسام الرؤساء بالازلام قول شمعلة بن أخضر الضبي
جلينا الخيل من أطراف فلج ترى فيها من الغزو أقورارا (٢)

(١) نسبة الى القلعة بلد ببلاد الهند واليه ينسب السيوف (٢) فلج اسم

بلد و (الاقورارا) الضمور والتغير

بكل طمرة وبكل طرف يزبن سواد مقلته العذارا (١)
 حوالى عاصب بالرأس منا جبين أغر يستلب الدارار (٢)
 رئيس ما ينازعه رئيس سوى ضرب القداح اذا استشارا
 على أن منهم الحازم الذى لا يستشير قداحه بل اذا هم بالامر مضى فيه
 كجدع بن سنان حيث يقول

أتانى قائر وبنو أبيه وقد جن الدجى والليل لاحا
 وحذرنى أمورا سوف تأتى أهر لها الصوارم والرماحا
 سأمضى للذى قالوا بعزم ولا أبغى لذلك قداحا

وقد حدث الاستقسام بالازلام فيهم بعد أن كانوا يعتمدون فى المعرفة
 على الرؤيا المنامية . وقد رأى رسول الله صورة ابراهيم واسماعيل وفى
 أيديهما الازلام فقال لقد علموا أنهما لم يستقسما قط وقد حرمة الله تعالى
 وجهه رجسا أى مأثما وفسقا فى قوله (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام
 رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) وقال (وان تستقسموا بالازلام ذاكم فسق)
 وانما حرمة لانه تهجم على علم الغيب الذى استأثر به علام الغيوب وقل (لا يعلم
 من فى السموات والارض الغيب الا الله) فان الغيب لا يمكن ادراكه بصناعة
 من الصناعات واقتراء على الله فى قوله أمرنى ربى ونهى ربى وما يدريه أنه
 أمره ونهاه . ومن الفسق أيضا الرجوع الى الكهنة والمنجمين لان مفسدته
 كهذه المفسدة

❖ الاقسام ❖

اذا أراد أحدكم فعل أمر أو تركه وخشى أن تهين عزيمته قواها بالحلف
 لان الحنث يوجب المؤاخذه . فكانوا يحلفون بمعبوداتهم وبشعائر دينهم

(١) الطمرة الفرس الكريم و (الطرف) الكريم الطرفين من

الامهات والآباء (٢) (الدر) النفس وجمعه الدرار يعنى أنه شجاع يقتب
 النفوس

وبما عظم فيه ولما كان قصد تعظيم المحلوف به غاية التعظيم هو داعية البر في
اليمين وهذا نوع من أنواع العبادة وهي لا تليق لغير الله تعالى قال عليه الصلاة
والسلام من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت فحرم الحلف بالنبي وبأحد من
ذريته وبالكعبة والصالحين والسنن المسلمين خصوصا في هذه الايام لبسوا
الدين مقلوبا وفعلوا ما نهوا عنه (وكان العرب) مع اختلاف عقائدهم ونحلهم
يحلفون بالله تعالى وبصفاته لانهم ما عبدوا الا صنما الا لتقربهم اليه بل كان
الحلف به أعظم ايمانهم قال المابغة الذبياني

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
وقال أوس بن حجر

وباللوات والعزى ومن داند دينها وبالله ان الله منهم أكبر
ومن الحلف بصفاته تعالى قول عنتره العبسي

قسما بالذى أمات وأحيا وتولى الارواح والاجساما
وقول مهمل التغلبي

قتلوا كليباً ثم قالوا لا تثب كلا ورب البيت ذى الاحرام

وقولهم لا ورب هذه البنية . (١) لا وقائت (٢) نفسى القصير . وقولهم
لا والذى لا أتقيه الا بقتله (٣) لا والذى أخرج العذق (٤) من الجريمة (٥)
والنار من الوثيمة (٦) لا ومقطع القطر . لا وفالق الاصباح . لا ومهب الرياح .
لا ومنشر الارواح . لا والذى مسحت أيمن كعبته . لا والذى جلد الابل
جلودها . لا والذى شق الجبال للسيل والرجال للخيل . لا وبارئ الخلق .
لا والذى يرانى من حيث ما نظر لا والذى نادى الحجيج له لا والذى رقصن
ببطحائه . لا والذى أمد اليه بيد قصيرة . لا والذى كل الشعوب تدينه .

(١) كغنية الكعبة (٢) القائت من القوت يعطيه قليلا قليلا .

(٣) أى كل شيء منى مقتل من حيث شاء قتاني (٤) النخلة (٥) الزواه

(٦) هى الموثومة أى المربوطة يريد به قدح حوافر الخيل النار من

لا والذي وجهي زمزم بيته (١) لا والذي شقتهن (٢) خمساً من واحدة لا والذي
أخرج قاثبة من قوب (٣) وقد أكثروا من الحلف بشعائر الحج ومشاهده لأنهم
كانوا على اختلاف نحلهم يرون الحج من دين إبراهيم وإسماعيل وحلف زهير
ابن أبي سلمى بالكعبة فقال

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرحهم
وحلفوا بزمام والحطيم قال ابن دريد وسمى بالحطيم لأن أهل الجاهلية
كانوا يحلفون به فيحطم الكاذب وحلف زهير بن أبي سلمى بالمنازل من منى فقال
فأقسمت بهذا بالمنازل من منى وما سحقت فيه المقادير والقمل
حتى حلفوا بالابل التي تؤم مزدلفة فقالوا لا والراقصات ببطن جمع
وبالتي تؤم منى قال أعشى قيس

حلفت له بالراقصات إلى منى إذا محرم خلفته بعد محرم
وحلفوا بشهر رجب لتعظيمهم له لأنه الشهر الذي كانوا يعتمرون فيه ويذبحون
فيه العتيرة وهي الرجبية وحلف الوثنيون بالاصنام وبما ألبسته من الثياب
وبالانصاب وهي حجارة كانت في الجاهلية يهل عليها ويذبح وبما هريق لها
أو عابها من الدماء قال مهلهل بن ربيعة

قتلوا كليلاً ثم قالوا ارتعوا كذبوا لقد منعوا الجيادرتوعا
كلا وانصاب لنا عادية معبودة قد قطعت تقطيعاً

وقال طرفة بن العبد يخاطب الملك عمرو بن هند
أني وجدك ما هجوتك وال أنصاب ينفج بينهن دم
وقال النابغة الذبياني

فلا لعمرو الذي مسحت كعبته وما هريق على الانصاب من جسد (٤)
ما قلت من منى أتيت به إذا فلا رفعت سوطي إلى يدي

(١) أي تجاهه وحذاه - (٢) يعنون الاصابيع (٣) يعنون فرخاً من بيضة
(٤) رواية فلا ورب الذي قد ذرته حججاً و (الجسد) والجساد الرغفران

والمراد به هنا الدم

وقال رشيد بن رميظ العنزي
 حلفت بمائزات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير
 وقال المتأس من قصيدة يهجو بها عمرو بن هند الملقب بالخرق
 أطردتني حذر الهجاء ولا واللات والانصاب لا تثل (١)
 وحلف مهمل بن ربيعة بالحرام والحل فقال
 كذبوا والحرام والحل حتى يسلب الخدر بيضه المحجولا (٢)
 وحلف عدي بن زيد وكان نصرانيا بالله والصليب فقال يخاطب النعمان
 لما حبسه

سمى الاعداء لا يألون شرا عليك ورب مكة والصليب
 ارادوا كي تمهل عن عدي ليسجن او يدهده في القليب
 وحلفت النصارى بالابيل وهو الناسك والراهب قال في لسان العرب (وكانوا
 يعظمون الابيل فيحلفون به كما يحلفون بالله) حتى حلف الاعشى بمسوح
 الراهبان فقال :

حلفت بثوبي راهب الدير والتي بناها قصي والمضاض بن جرهم
 وحلفوا بانفسهم فقالوا لعمري أي وبقائي ولعمرك قال طرفة بن العبد
 لعمرك ما أمرى على بغمة نهاري ولا ليلي على سرمد (٣)
 وحلفت العرب بالآباء قال عروة بن الورد
 فلا واييك لو كاليوم أمرى ومن لك بالتدبير في الامور
 وكانت قريش تحاف بآبائها فنهاهم النبي عليه السلام عن ذلك بقوله لا تحلفوا
 بابائكم (وكانوا) يحلفون بالملح والرماد كقول الاعشى في حرب ذي قار فيما
 رواه الاصمعي في الاغانى

حلفت بالملح والرماد وبالعمزى وباللات تسلم الحلقة

(١) أطردتني أي صيرتني طريدا . ويروى والله والانصاب . و (لا تثل)
 لا تنجو (٢) الحل بالكسر ما جاوز الحرم (٣) الغمة الكرب و (السرمد)
 الدائم أي اذا هممت بأمر أمضيته وأمضي هي بالليل ولا ابالي طوله

حتى يظل الهمام منجدلا ويقرع النبل طرة الدرقه
وقد اختلفوا في المراد باسمهم المقسم به من قول أعشى قيس
رضي عنى لبان ثدى ام تحالفا باسمهم داج عوض لانتفرق
على سبعة أقوال ذكرها ابن السيد البطليموسى فى الاقتضاب أولها هو
الرماد وكانوا يخلفون به قال الشاعر

حلفت بالملح والرماد وبالنـار وبالله تسلم الحلقة
حتى يظل الجـواد منعفرا وتحضب النبل غرة الدرقه

(ثانيها) هو الليل (ثالثها) هو الرحم (رابعها) هو الدم لانهم كانوا
يغمسون ايديهم فيه اذا تحالفوا حكى هذه الاقوال الاربعة يعقوب وحكى
غيره وهو (الخامس) انه حلة الثدى وقيل وهو (السادس) زق الحمر وقيل
وهو (السابع) دماء الذبائح التى كانت تذبح للاصنام وجعله اسمهم لان الدم
اذا ببس اسود قال ابن السيد وابعده هذه الاقوال من قال انه الرماد لان الرماد
لا يوصف بانه اسمهم ولا داج وانما يوصف بأنه أ ورق وممن ذكر حلفهم بالنار
ابن قتيبة فى ابيات المعانى عند الكلام على اراء التحالف حيث قال كانوا يخلفون
بالنار وكانت لهم نار يقال أنها كانت بأشواف اليمن لها سدة فادا تفاقم الامر
بين القوم خلف بها انقطع النزاع بينهم وكان اسمها هولة والمهولة وكان سادتها
اذا أتى برجل هيمه من الحلف بها ولها قيم يطرح فيها الملح والكبريت فاذا
وقع فيها استشاطت فيقول هذه النار قد تهددتك فاحلف فان كان مريبا نكل
وان كان بريئا حلف قال أوس بن حجر يصف عيرا على مرتفع من الارض
اذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالف (١)

وقال السكيت

همخوفونا بالعمى هوة الردى كما شب نار الخالفين المهول
وقال ابو عبيدة كان فى الجاهلية لكل قوم نار وعامها سدة وكان اذا
وقع بين الرجلين خصومة جاء من ثبت عليه اليمين الى النار فيحلف عندها
(١) كحدث الحلف

وكان السدنة يطرحون بها ملحاً من حيث لا يشعر يهولون بها عليه قال السكيت
وذكر امرأة

فقد صرت عما لها بالمشيب زوالاً لديها هو الازول
كهولة ما أوقد المحلفون لدى الخالفين وما هولوا (١)
وفي القاموس « التهويل شيء كان يفعل في الجاهلية اذا أرادوا أن
يستجلفوا انساناً أوقدوا ناراً ليحلف عليها وكان السدنة يطرحون فيها ملحاً
من حيث لا يشعر يهولون بها عليه والجمع التهويل ». والتعليف عند النار
أو بها أثر من آثار المجوسية سري لهم من مجاورتهم لفارس
وحلفت السكهان بما جل قدره وعظم خطره كالسما والارض والليل
والنهار والشمس والقمر وامتازوا عن غيرهم بكثرة الايمان في صدر كلامهم
وأخبارهم بالمغيبات كقول سلمى الهمدانية الحميرية
والخفو والوميض (٢) والشفق والاعريض (٣) والقلّة والحضيض ان
خزيماً لمنيع الجيز (٤) وقول زبراء أمة حويلة والليل الغاسق واللوح (٥)
الخافق والنجم الطارق والمزن الوادق ان شجر الوادي ليأدوا (٦) ختلاً
وقول السكاهن الخزاعي لما تنافر اليه أمية بن عبد شمس وهاشم بن عبد مناف
والقمر الباهر. والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجومن طائر وما اهتدى
بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية الى المفاز ولامية أواخر.
ولقد اقسم الله في القرآن بكثير من الازمنة والامكنة والاشياء وحاشاه ان
يحتاج في تأكيد اخباره الى القسم بشيء هو صنع قدرته بل اقسم لاغراض
منها تقرير وجود المقسم به في عقل من انكره وتعظيم شأنه عند من احتقره
أولينبه الغافل الى موضع العبارة فيه او غير ذلك من الاغراض الشريفة

(١) هاله هولا افزعه كهوله فاهتال

(٢) الخفو اللمعان الضعيف (والوميض) اشد من الخفو (٣) الاعريض
حجارة النورة (٤) الجيز الناحية (٥) اللوح بضم اللام الهواء بين السماء
والارض واللوح بفتح اللام العطش (٦) ادوت له ادوا ختلته

أما الحلف بالطلاق فما كانت العرب تعرفه ولا نستحلف به وفي محاضرات
الادباء : واول من استحلف به ابن مسleme وكان واليا على كرمان استحلف
جنده بالطلاق فقال بعضهم

رايت هذيل احدثت في طلاقها طلاق نساء لم يسوقوا لها مهرا
وقيل ان اول من استحلف بالطلاق العباس بن عبد المطلب استحلف
الانصار ليلة العقبة حين اخذ عليهم البيعة لرسول الله « ويبعد صدور ذلك عن
العباس خاصة وعن العرب عامة لانهم لم يكونوا يذكرون الطلاق الا عند ارادة
حل عقدة الزواج وانى لم اثر على ذكر ذلك في سيرة من السير ولو صح لنقل
واستفاض . وكانت بيعة رسول الله ان يقول لمن بايعه بايعتك او ابايعك على
السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره فاحدث الحجاج كما قال
ابن قيم الجوزية بيعة غير هذه تتضمن اليمين بالله تعالى والطلاق والعتاق
وصدقة المال والحج و (كانوا) يغلطون الايمان بالحلف عند الامكنة المحترمة
كالا نصاب وشاهده قول طرفة بن العبد

فأقسمت عند النصب انى لهالك بمعلقة ليست بغبط ولا خفض (١)
او مكة كقول زهير بن ابى سلمى

فتجمع أيمن منا ومنكم بمقسمة تمور بها الدماء (٢)
او الحطيم وفي القاموس « والحطيم حجر الكعبة او جداره او ما بين الركن
وزمزم والمقام وزاد بعضهم الحجر او من المقام الى الباب او ما بين الركن
الاسود الى الباب الى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء وكانت الجاهلية
تتحالف هناك »

وكانوا يحرسون على البر في اليمين وعدم الخنث فيها حتى لقد زعم علماء
كندة كما حكاه الاصبهاني في الاغانى ان جد امرئ القيس وهو الحارث بن
عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور وهو كندة خرج الى الصيد

(١) المتلفة المفازة و (بغيظ) أى تغتبط (٢) المقسمة موضع القسم

وأراد بها مكة حيث تنجر المدن فتسار دماؤها

فألف ببتيس (١) من الأطباء فأعجزه فألى الية ألا يأكل ولا يلا من كبده فطلبته الخيل ثلاثا فأنى بعد ثلثه وقد هلك جوعاً فشوى له بطنه فتناول فلذة من كبده فأكلها حارة فمات وفى ذلك يقول الوليد بن عدى الكندى فى بنى بجيلة فشوا فكان شواءهم خبطاله ان المنية لا تجل جايلا

و (كانوا) لا يتركون المحلوف عليه الا اذا وجدوا مخرجاً من اليمين. وشاهده ما ذكره ابن رشيقي فى العمدة من ان المنذر بن ماء السماء حلف فى يوم اواراة الاول ليقتلن بكراً على راس اواراة حتى يلحق الدم بالحضيض فشفع لهم رضيع المنذر مالك بن كعب العجلي وقال للمنذر انا اخرجك من يمينك فصب الماء على الدم فليحق الارض وبر يمين المنذر فكف عن القتل وما روى ان الحارث ابن عباد آلى الا يصالح تغلب حتى تكلمه الارض فلما كثرت وقائعه فى تغلب ورات تغلب انها لا تقوى عليه حفروا سرباً تحت الارض وادخلوا فيه رجلاً وقالوا اذا مر بك الحارث فغن بهذا البيت

أبا منذر أفنيت فاستبق . بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض
فلما أتى الحارث على ذلك الرجل غنى بذلك البيت فقبل للحارث برّ قسمك فأبقى بقية قومك ففعل واصطلحت بكر وتغلب (وكانوا) يخافون عقوبة الله فى الحنث ولا تعلم من تجرأ على الله بالحلف حانثاً قبل امرئ القيس فى قوله فقلت يمين الله أبرح قاعداً وان قطعوا رأسى لديك وأوصالى (٢)
حلفت لها بالله حلفة فاحر لنا موا فاما ان من حديث. ولا صالى
ولقد نما نحوه الشماخ بن ضرار الغطفانى فى الاسلام فقال

وجاءت سليم قضها بقضيضها تمسح حولى بالبقيع سبالها (٣)
يقولونلى يا احلف ولست بحالف أخادعهم عنها لكيا أناها (٤)

(١) الظ به لازمه ولم يفارقه (٢) تعارفوا يمين الله حلفاً به تعالى (٣) قضها بقضيضها بالنصب اى منقضاً آخرهم على اولهم و (البقيع) موضع بالمدينة و (السبال) جمع سبلة وهى مقدم اللحية
(٤) عنها أى عن الحلقة المفهومة من احلف اى يقولون احلف فأقول

ففرجت هم النفس عنى بحلقة كما قدت الشقراء عنها جلالها (١)
يقول كشفت هم النفس عنى باليمين الكاذبة وخرجت من الهم كما خرجت الفرس
الشقراء من جلالها . ومثله قول بعضهم

سألوني اليمين فارتعت منها ليغروا بذلك الانخداع

ثم ارسلتها كمنحدر السيل تعالى من المكان اليفاع

ومثله قول ابن الرومي

واني لدو حاف كاذب اذا ما اضطررت وفي الحال ضيق

وهل من جناح على مسلم يدافع بالله ما لا يطيق

✽ التحالف ✽

التحالف التعاقد . ولقد دعانا لذكره ما يكون عنده من الاقسام بما هو
محترم ديناً فقد كانت قبائلهم لكثرة شتمهم الغارات وطلبهم الثارات ووقوع
العداوة والبغضاء فيما بين بعضهم وبعض تحتاج القبيلة لحفظ كيانهما ان تتحالف
مع قبيلة او اكثر حسبما تقتضيه حاجتها الى البقاء او رغبتها في الانتصار
على الاعداء وقد يكون التحالف لكف القتال والصلح بعد المضال .
وكانوا يغمسون ايديهم في دم أو خلق أو رب او غير ذلك عند الحلف كناية
عن صبغتهم بصبغة واحدة فمن التحالف بغمس اليد في الدم ما كان من تحالف
قبائل عبد الدار ومخروم وعدى وسهم وجميع فأنهم عند ما تحالفوا على الا
يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً اخرجوا جفنة مملوءة دم جزور نحروها وقالوا
من ادخل يده في دمها فلعق منه فهو منا ففعلوا ذلك فسموا لعقة الدم لذلك .
ومن ذلك ايضاً ما كان من امر الدم الذي قربه عندما ارادوا الحلف مع
الهجرس بن كليب وذكر خبر ذلك الاصفهاني في الاغانى قال

لا احلف حتى يقبلوها مي فاحلف فتقطع الخصومة (١) قدت شقت والجل
بالضم وبالفتح ما تلبسه الدابة لتصان به

« ان جساسا لما قتل كليبا وكانت اخت جساس تحت كليب فرجعت الى اهلها ووقعت الحرب بين الفريقين زمنا طويلا ثم صاروا الى المهادنة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان فولدت اخت جساس غلاما سمته الهجرس رباه جساس فكان لا يعرف اباً غيره فزوجه ابنته فوقع بين الهجرس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلام فقال البكرى ما انت بمنته حتى بلحقك بأبيك فأمسك عنه ودخل الى امه كئيبا فسألته عما به فأخبرها الخبر فلما آوى الى فراشه ونام الى جنب امراته وضع اتفه بين يديها فتنفس تنفسه تنقط ما بين يديها من حرارتها فقامت الجارية فزعة قد افلتها رعدة حتى دخلت على ابيها فقصت عليه قصة الهجرس فقال جساس ثائر ورب الكعبة وبات جساس على مثل الرصف حتى اصبح فارسل الى الهجرس فأثاه فقال له انما انت ولدى ومنى بالمكان الذى قد عدت وقد زوجتك ابنتى وانت معى وقد كانت الحرب فى ابيك زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطاحنا وتحاجزنا وقد رايت ان تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح وان تنطلق حتى نأخذ عليك مثلما اخذ علينا وعلى قومنا فقال الهجرس انا فاعل ولكن مثلى لا يأتى قومه الا ببلاء مته وفرسه حملة جساس على فرس واعطاه لأمة ودرعا . نخرجا حتى اتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا فيه من العافية . ثم قال وهذا الفتى ابن اختى قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد ما عقدتم . فلما قربوا الدم وقاموا الى العقد اخذ الهجرس بوسط رمحه ثم قال . اما وفرسى واذنيه ورعوى ونصليه . وسيفى وغراريه لا يترك الرجل قاتل ابيه وهو ينظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ثم لحق بقومه . ومن ذلك ما كان من بكر بن وائل وذلك ان جساس بن مرة لما قتل كليبا اخذه ابوه فأوثقه رباطا وجعله فى بيت ثم دعا بطون بكر بن وائل واستشارهم فى امره . فقال سعد بن مالك بن صبيبة البكرى لا والله ما نمطى تغلب جساسا ولنقاتلن دونه حتى نفنى جميعا فدعا بخزور فنحرت ثم تحالفوا على الدم . ومن ذلك ما قيل ان حشمهم وهم بطر من انمار سموا بذلك من التخنم وهو التلطلخ بالدم وذلك انهم نحروا بعيرا

وغمسوا ايديهم في دمه واحتلفوا عليه

ومن التحالف بغمس اليد في الخلق ما كان من امر بني عبد مناف وبنى اسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة والحارث بن فهر فانهم تحالفوا على النصره وغمسوا ايديهم في جفنة مملوءة طيبا ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على انفسهم فسموا بالمطيبيين لذلك . ومن ذلك ما روى ان منشم التي صرب المثل بعطرها فقبل اشأم من عطر منشم ودقوا بينهم عطر منشم كانت امرأة عطارة تبيع الطيب فكانوا اذا قصدوا الحرب غمسوا ايديهم في طيبها وتحالفوا عليه بأن يستमितوا في تلك الحرب ولا يولوا أو يقتلوا

ومن التحالف بغمس اليد في الرب ما كان من أمر بني عبد مناف بن اد بن طابخة وهم تيم وعدى وعكل وثور فانهم غمسوا أيديهم في الرب في حلف على بنى صبة فلقبوا بالرباب كذا في العقد الفريد وفي القاموس والرباب احياء نسبة لانهم أدخلوا أيديهم في رب وتعاقدوا - والرب بالضم سلافة خثارة كل ثمرة بعد اعتصارها وثقل السمن و (كانوا) يوقدون نارا عند التحالف وذكرها الجاحظ في البيان والتبيين فقال : وكانوا يتحالفون على النار ويتعاقدون يأخذون العهد المؤكد واليمين الغموس مثل قولهم ماسرى نجم وهبت ريح وبل بحر صوفة وخالفت جرة درة . ولذلك قال الحارث بن حازة اليشكري . واذكروا حلف ذى المجاز وماء دم فيه العهود والكفلاء

حذر الخون والتعدى وهل تنقض ما في المهارق الالهواء (١)
وقال في كتاب الحيوان « كانوا لا يعقدون حلفهم الا عند نار فيذكرون عند ذلك منافعها ويدعون الله بالحرمان والمنع من منافعها على الذى ينقض عهد الحلف ويخيس بالعهد ويقولون في الحلف الدم الدم (٢) والهدم الهدم

(١) الخون الخيانة ويروى الجور و (المهرق) الصحيفة جمعه مہارق

(٢) قال ابن قتيبة : كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار دمی دمک وهدمی هدمک أى ما هدمت من الدماء هدمته انا ويقال أيضا بل الدم الدم والهدم الهدم وأنشد (ثم الحق بهدى ولدى) فالدم

(بحر كون الدال في هذا الموضع) (١) لا يزيد طول الشمس الا شدا وطول الليالي
الا مدا ما بل البحر صوفة وما أقام رضوى في مكانه ان كان جبلهم رضوى
وكل قوم يذكرون جبلهم وربما دنوا منها حتى تسكاد تحرقهم ويهلون على من
تخاف عليه الغدر بحقوقها ومنافعها والنخويف من حرمان منفعتها . ولقد
يحالفت قبائل من مرة بن عوف عند نار فدنوا منها حتى محشتهم فسموا المحاش
وربما تحالفوا وتعافدوا على الملح قال الشاعر

حلفت لهم بالملح والقوم شهد وبالنار واللات التي هي أعظم
والملح شيئان أحدهما المرققة والآخر اللبن وأنشدوا لشتيم بن خويلد

الغزاري

لا يبعد الله رب العباد والملح ما ولدت خالده

وأنشدوا في قول أبي الطمجان

واني لا رجو ملحتها في بطونكم وما بسطت من جلد أشعث أغبرا

وذلك أنه كان جاورهم فكان يسقيهم اللبن كأنه يقول كنتم مهازيل
والمهزول يتكشف جلده وينقبض فبسط ذلك من جلودكم « قال ابن السيد
البطليوسي ولأنهم كانوا يتحالمون على النار ذكر اعشى بكر النار عند المحالفة
في قصيدته التي امتدح بها المخلق حيث قال

لعمري قد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في يفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار المدى والمخلق

رضيحي لبان ندى أم تحالفا باسحهم داج عوض لا تتفرق

جمع لادم وهم أهله الذين يلتدنون عليه اذا مات وهو من لدمت صدره اذا ضربته
(١) قال ابن هشام الهدم بفتح الدال الحرمة وانما كنى عن حرمة الرجل
وأهله بالهدم لأنهم كانوا أهل نجمة وارتحال ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم
فكلما ظعنوا هدموها والهدم بمعنى المهدوم كالقبض بمعنى المقبوض ثم جعلوا
الهدم وهو البيت المهدوم عبارة عما حوى فهو كقولهم هدمي هدمك أي رحلتى
مع رحلتك أي لا أظمن وأدعك وأنشد يعقوب (كأنها هدم في الجفر منقاض)

وعلى العسكري تحالفهم على النار بأن منفعتها تختص بالإنسان لا يشاركها فيها غيره من الحيوان. وأرى أن حلفهم بالنار وتعاقدهم عليها أثر من آثار الديانة المجوسية سرى إليهم من مجاورتهم لفارس ثم رأيت ابن عبد ربه قال في العقد الفريد في بيت الأعشى المتقدم « قوله تقاسما باسحهم داج يقول تحالفا على الرماد وهذا شيء تفعله الفرس لا يتفرقوا أبد الدهر » فإذا كان تحالفهم على الرماد الذي هو أثر النار المقدسة جاءهم من مجاورتهم الفرس فلان يكون تحالفهم على المار جاءهم من مجاورتهم الفرس من باب أولى

﴿ الدعاء ﴾

العربي ككل إنسان ذي دين إذا نزل به مكروه لجأ إلى معبوده في كشف الضر عنه وإذا أصابه قوى بمصيبة تضرع لبارئه أن ينتقم له ممن ظلمه وكانوا يعتقدون أن من دعى عليه فاضطجع لم تستجب فيه دعوة الداعي وشاهد ذلك ما حصل عند دعوة خبيب بن عدي وذلك أنه قدم رهط من عضل والقارة وهما قبيلتان من الطون بن خزيمية بن مدركة على رسول الله فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث الينا من يفقهوننا في الدين فبعث اليهم ستة نفر منهم خبيب بن عدي فذروا بهم وباعوا خبيبا من قريش بأسير من هذيل كان بمكة فابتاع خبيبا حجير بن أبي اهاب التميمي لعقبة بن الحارث بن عاص ليقتله بأبيه فأقام في أيديهم حتى انقضت الاشهر الحرم ثم خرجوا به إلى التنعيم ليصاموه ورفعوه على خشبة وقتلوه طعنا بحربة قال ابن اسحاق « فلما أوثقوا خبيبا قال : اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا ثم قتلوه رحمه الله فكان معاوية بن أبي سفيان يقول حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض فرقا من دعوة خبيب وكانوا يقولون ان الرجل اذا دعى عابه فاضطجع لجنبه زالت عنه »

﴿ الصابئون ﴾

ينسب الصابئون دينهم إلى سيدنا نوح وإلى ابراهيم الخليل بالتلقى عن نوح

وعن أدريس ومنهم عبدة الاصنام والكواكب والفئة الباقية منهم على معتقدها الاطى بعد أن مزجته بالعقايات يتوجهون في عبادتهم للقطب الشمالى ويصلون ثمانى ركعات عند ظهور شفق الشمس الشروق وخمس وقت الزوال ومثلها وقت غروب الشمس يسجدون في كل ركعة منها ثلاث سجعات بلا انحناء ويتلون في قيامهم وسجودهم كلمات تشتمل على مناجاة ودعوات واستغفار ويصومون في كل سنة ثلاثين يوما عدد ما تقطعه الشمس في كل برج من بروجها يسكون فيها عن الطعام والشراب من شفق شروق الشمس الى شفق غروبها ويفطرون على غير اللحوم من الالبان والنباتات الا ما حرم منها عندهم يصومون من الثلاثين يوما أربعة عشر يوما متتالية في فصل الشتاء موافقة لاعداد الكواكب السبعة وأفلا كها وسبعة أيام في الربيع موافقة لاعداد الكواكب وحدها وتسعة ايام في أواخر الصيف موافقة للافلاك السبعة مع فلكى الثوابت والمحيط ويقدمون الضحايا في هياكلهم ومعابدهم للسنة والفقراء ويمظمون الكواكب لاعتقادهم أنها أعظم أثر الهى فعال في الاجرام السفلية ويمنعون تورث الفاسق من العدل ويعتقدون بعث الارواح لا الاجسام وطهارة النفس العاصية بعد تعذيبها ثلاثة آلاف سنة وان الرسل لم يبعثهم الله بل هم ملهمون من المجرذات وان الخير من الله والشر من النفوس وان الله لا تدركه الابصار لا في هذه الدار ولا في الدار الآخرة وحرهوا تعذيب الحيوان وقتله الا ما أحل كل لحمه وكلاهما ثم لا يكفر الا بالضحايا المبينة في كتبهم . ذلك هو الاصل ثم تعددت المذاهب واختلفت فبعضها يحرم من النبات والحيوان ما أحله الآخر وبعضها يحل زواج امرأة الاب التى لم تعقب منه والبعض يحرمها مطلقا وبعضها يوجب غسل جراحات القتيل عند دفنه والآخر يحرمه الى غير ذلك من القروع ثم اشتغلوا بالالهيات الحكماء وكتب الفلاسفة على أنها كتب تعليم وارشاد ككتب الرسل والصابئون يعتقدون في الانواء اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك أحدهم ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم الا بنوء من الانواء ويقول مطرنا

بنوء كذا وهم ينقسمون الى مؤمن وكافر ولذلك ذكرهم الله تعالى في الاون
 الاربع الذين تنقسم كل أمة منهم الى ناج وهالك في قوله (ان الذين آمنوا
 والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا
 فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فذكرهم في آية الوعد
 بالجنة لذلك ولما ذكر المجوس والمشركين وليس منهم سعيد حكم عليهم
 بالفصل بينهم في قوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى
 والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) وحران دار الصابئة
 وهم فرق فصائبة حنفاء وصائبة مشركون وصائبة فلاسفة وصائبة يأخذون
 محاسن ما عليه اهل الملل والنحل من غير تقييد بجملة ومنهم من يقر بالنبوات
 جملة ويتوقف في التفصيل ومنهم من يقر بها جملة وتفصيلا ومنهم من ينكرها
 جملة وتفصيلا

والمشركون منهم يمسدون الله بالتقرب للكب والعلويات بأنواع
 للعبادة من التضرع والابتهال بالدعوات والصلوات وذبح القرابين والبخور
 والعزائم لتستمد نفوسهم منها بغير واسطة الرسل وأقاموا لها الهياكل
 للعبادة فكان كفرهم لعبادة العلويات والكب

عبادتهم الكب وآثار عبادتهم لها

نظر فريق من الناس الى الكب نظر المتقدمين من علماء النجوم
 من حيث تأثير الكب في هذا العالم فعملوا الموجودات الارضية أثرا
 للشمس عند قوم والكب بتوزيع التأثير فيها عند آخرين وهذه الطائفة
 ترى الكب مدبرة لهذا العالم وعنهما يصدر ما فيه من خير وشر وسعادة
 ونحس وغير ذلك بسبب أوضاع الكب من التثايت والتسديس والتربيع
 ومقارنة كوكبين أو أكثر من الكب السبعة السيارة في درجة واحدة
 من برج واحد ومن الصابئين من عدل عن معتقده الالهى فاعتقد التأثير
 للكب وهو لاء ثلاث فرق (الفرقة الاولى) ذهبت الى أن الكب واجبة

الوجود لذاتها غير محتاجة الى مخصص و (الفرقة الثانية) ترى أن الكواكب
 آلهة ولكل منها عمل قائم به في هذا العالم يصدر عنه لا يقدر عليه غيره وانها
 أبدية الوجود أزلية الاولية تجري أحكامها لا لغاية (والفرقة الثالثة) ترى
 أن لهذه الكواكب والافلاك الهاً مبدعاً أعطاها قدرة و ارادة ذاتية نافذة
 في هذا العالم وفوض اليها تدبيره وهذه الطوائف كان لها عصبية في بلاد
 العرب فدانت العرب بهذا الدين واعتقدته وبنوا الهياكل العظيمة للشمس
 وقربوا لها القرابين وحجوا اليها وذبحوا لها الذبائح واعتكفوا عندها خاضعين
 عابدين وأول من دان بهذا الدين من العرب قبائل سبأ الحميرية فلما تهدمت
 سدودهم وتخربت أراضيهم تفرقوا في بلاد العرب وقبائلها فانتشروا دينهم في القبائل
 التي نزلوا بها أو جاوروها والبطون التي سكنوا معها وعاشروها حتى شاع في
 بلاد العرب وانتقل منها الى مجاورهم أهل الحبشة والشام ومن قبائل سبأ قوم
 بلقيس وقد حكى القرآن حديث الهدد لسيدنا سليمان عبادتها وقومها في قوله
 « وجئتك من سبأ بنياً يقيناًني وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها
 عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان
 أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون » وعبدت ثمود الشمس وكانوا بين
 الحجاز والشام بأرض الحجر فدعاهم صالح لعبادة الله تعالى وهدم هياكل الشمس
 فما آمن به الا قليل . وأخص أنواع عبادتهم للشمس كانت بالسجود لها عند
 شروقها وعند غروبها وعند توسطها السماء فلماذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
 الصلاة في هذه الاوقات قطعاً لمشابهة الكفار ظاهراً وسداً لذريعة الشرك

وبعض كنانة كانت تعبد القمر والديبران وبنو لخم وجرهم كانوا يسجدون
 للمشتري ومن العرب من عبد عطارد وبنو طي عباد بعضهم سهيلاً وبعضهم
 الثريا وهي عدة كواكب مجتمعة وبعض قبائل ربيعة عبدوا المرزم كمنبر
 (والمرزمان نجمان مع الشعرين يسمى أحدهما كف الكلب وهو يتبع الشعرى
 العبور وثانيهما هو الكوكب الاخفى من كوكبي الذراع) وطائفة من تميم
 عبدوا الديبران وبعض قبائل لخم وخزاعة وقريش عبدوا الشعرى العبور

وهي الشعري اليمنية ذكر بعضهم ان اول من سن لهم ذلك أبو كبشة وجزء ابن غالب جد وهب بن عبد مناف وهو أبو آمنة أم نبينا عليه السلام فلما بعث الرسول وخالف العرب في عبادتهم الاوثان دعوه بابن أبي كبشة (١) لمخالفته لهم كمخالفة أبي كبشة لقومه في عبادة الشعري

قال ابن قتيبة « وكان قوم في الجاهلية عبدوا الشعري العبور وفتنوا بها وكان أبو كبشة الذي كان المشركون ينسبون اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من عبدها وقال قطعت السماء عرضا ولم يقطع السماء عرضا غيرها وعبدها وخالف قريشا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا الى عبادة الله وترك عبادة الاوثان قالوا هذا ابن أبي كبشة أي شبهه ومثله » وخص الله الشعري بالذكر في قوله : « وانه هو رب الشعري » اما لعبادة كثير منهم لها واما للاشعار بأن النبي عليه السلام ان وافق أبا كبشة في مخالفته دين قومه فانه يخالفه في أن دين أبي كبشة باطل ودين محمد الحق لعبادته الله تعالى أما آثار عبادتهم للسكران ففنها تسميتهم أنفسهم بأسماء مضافة لها بالعبودية كمعبد شمس وعبد المشتري فان ذلك دليل على عبادتهم لها ومنها تسميتهم للشمس بالالهة والالهة قال الشاعر

تروحنا من اللعباء عصرا واعجلنا الالهة أن تؤوبا (٢)

قال الفارسي سموها الالهة على نحو تعظيمهم لها وعبادتهم اياها وعلى ذلك نهاهم الله عز وجل عن عبادتها وأمرهم بالتوجه في العبادة اليه دون ما خلقه وأوجده بعد ان لم يكن فقال « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن »

(١) في القاموس وكان المشركون يقولون للنبي ابن أبي كبشة شبهوه بأبي كبشة رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الاوثان أو هي كنية وهب بن عبد مناف جده صلى الله عليه وسلم من قبل أمه لانه كان نزع اليه في الشبه أو كنية زوج حليلة السعدية أو كنية عم ولدها (٢) تروحنا سرنا وقت الرواح وهو العشي أو من الزوال الى الليل (اللعباء) اسم مكان و (اعجلنا) سبقنا

ومن آثار عبادة الشمس ما يفعله الغلام اذا سقطت سنه وذلك انه كان اذا سقطت له سن أخذها بين السبابة والابهام واستقبل الشمس اذا طلعت وقذف بها وقال : يا شمس أبدلينى بهاسنا أحسن منها ولتجر فى ظلمها أياتك أويقول اياؤك وهما جميعا شعاع الشمس زعموا انه يأمن على اسنانه العوج اذا صنع ذلك . والى هذا أشار شاعرهم

شادن يجلو اذا ما ابتسمت عن اقاح كاقاح الرمل غر
بدلته الشمس من منبته برداً أبيض مصقول الاثر (١)
وقال طرفة بن العبد البكرى يصف ثغر محبوبته
سقطه أياة الشمس الا لثاته أسف ولم تسكدم عليه بأئمد (٢)
وقال آخر

وأشذب واضح عذب الثنايا كأن رضا به صافى المدام
كسته الشمس لونا من سناها فلاح كأنه برق الغمام
وقال آخر

بذى أشر عذب المذاق تفردت به الشمس حتى عاد أبيض ناصما
ووجه كون هذه العادة من آثار عبادة الشمس ان الشمس كانت من معبوداتهم فى الجاهلية والعبد يطلب من معبوده سؤاله والاباء يلقنون عقائدهم لابنائهم فالظاهر أن يكون عابد الشمس علم ولده أن يسأل معبوده الشمس أن تبدله بسنه التى سقطت سنا أخرى خيرا منها بريئة من الفساد والعوج ويكون الولد قد امثال أمر والده فسمعه غيره من الابناء الذين لم تكن الشمس معبودة لهم ولا لابائهم فقلدوه . وبهذا البيان لا تكون هذه العادة من الاوابد التى

(١) أشر الاسنان التحزيز الذى يكون فيها خلقة ومستعملا يقال أشرت المرأة أسنانها حزرتها وهذا كان من صنيعهم (٢) أى ثغرها براق اللثاته فانها حواء و (أسف) ذر عليه و (الائمد) الكحل و (اللاثات) اللحم الذى تنبت فيه الاسنان و (اياة الشمس) ضوءها و (لم تسكدم) لم تعض و (بأئمد) متعلق بأسف أى ذر الائمذ على اللثاة والشغاه وكانت تلك عاداتهم التى يستحبونها

لا يفهم معناها ولا يزال الخلف ينقل هذه العادة عن السلف فمن الولد اذا اليوم
من اذا سقطت سنه رمى بها في عين الشمس وقال « يا شمس يا شمسة خذى سنة
الحمار وهاتى سنة العروسة »

﴿ المجوسية والزندقة ﴾

المجوس يعتقدون نبوة ابراهيم الخليل وقد بحثوا في كتب الحكماء مقتصرين
على مبحثي التكوين والخير والشر فنظروا في مبحث التكوين الى انفصال الحرارة
التكوينية من ممكن الصادر الاول ثم تدرجها الى الحرارة المركزية بالنسبة
لبطن الارض ومحيط سطحها وبها صارت الارض ذات رواب وجبال وصحارى
وجزائر ونظروا للانسان من حيث تركيبه وأصل نشأته فجعلوه ابن الارض التي
هى بنت الحرارة المقابلة عندهم للقدرة الالهية فاتخذوا النار من حيث هى أثر
الآله وفيها صفته التكوينية دالا على معبود ومع تقادم الزمن وكثرة تصرف
الرؤساء الدينيين فى هذا الاصل اختلفوا فى الاعتقاد حتى قالت طائفة منهم
أن النار معبود قائم بذاته ونظر قدمائهم فى مبحث الخير والشر لقول الحكماء
ان البارى بتوحيد ذاته جهة واعتبارا يستحيل صدور التكثير عنه لانه لو صدر
الخير والشر عنه لكان عين التكثير فى امكانه وهو باطل فقالوا بوجود فاعلين
أزايين يصدر عن أحدهما الخير وعن الثانى الشر فاعتقدوا بوجود الهين أحدهما
نور ومبدأ الخير كله ويسمونه أرمزاد أو يزدان والثانى ظلام ومبدأ الشر
كله ويسمونه اهرمان او اهرمن يكون الغالب منهما إله الشر متى كثرت
الشرور ومنه يطلب الانسان الشر والبلاء لاعدائه ويغلب إله الخير متى كثرت
الخيرات واليه يضرع الانسان فى طلب الخير لنفسه ولأحبائه وهؤلاء هم الثنوية
وانتهى الامر بالمتأخرين أن صوروا الههم بصورة على كنفها صورتا الخير
والشر ولما نشأ زرادشت بن بيورشت المتوفى سنة ٤٨٧ قبل الميلاد أبطل
القول بألهى النور والظلمة وعلمهم أن الاله واحد وانه خلق ملكى النور
والظلام وان الشر فى العالم يصدر عن طبيعة المخلوقات وعند انتهاء العالم تبعث

الاموات للجزاء فيسجن ملك الظلام وأتباعه في مكان ظلمة وعذاب أبدي ،
 أما ملك النور وأتباعه فيتمعمون خالدون في مكان نور وسعادة وشرع لهم
 شرائع مدونة في مجلدات والمجوس تقر بنبوته وأتباعه هم الزرادشتية ولم يكن
 للمجوس هياكل قبله وكانوا يسجدون للشمس لأنهم يزعمون انها مسكن الاله
 وللنار لمشايتها للشمس في الحرارة والنور فأمرهم ببناء الهياكل حتى لا يمنعهم
 مزاج الفلك عن العبادة في أى وقت وجدد لهم بيوت النيران التي أخذها
 منو شهر وأخبرهم انه عرج الى السماء ورأى الله في سحابة لامعة وسمع صوته
 ثم هبط منها بقبس من النار اشعلت به النار المقدسة التي في هياكلهم ولا يجيزون
 للكهنة تفحصها بأفواههم ومن يفعل ذلك فجزاؤه القتل ولا يقربها الكهنة الا
 وعلى وجوههم براقع لئلا يفسدوها بانفاسهم ولا يطفئونها ليسلا ولا نهارا
 ووقودها حطب نظيف مقشور وان انطفأت لا تجدد الا من نار هيكلك آخر .
 وهو الذي شرع لهم عيد النيروز أى اليوم الجديد في الاعتدال الربيعي وعيد
 المهرجان أى الخريف في الاعتدال الخريفي ولما ظهر مزدك الخارجى في أيام قباز
 ابن فيروز بن يزديجرد زعم انه يدعو الى شريعة ابراهيم واستحل المحارم
 والمنكرات وسوى بين الناس في الاموال ولا ملاك والنساء والعبيد والاماء
 حتى لا يكون لاحد على أحد فضل في شئ وكان يأخذ امرأة هذا فيسلمها الى
 ذاك وكذا في العبيد والاماء والاموال فكثير أتباعه وعظم شأنه ، وكان مما
 شرعه تحريم ذبح الحيوان واكتفاء الانسان في طعامه بما تنبت الارض وما
 يتولد من الحيوان كالبيض والابن والسمن والجبن وأتباعهم المزدكية .
 وقد دخلت المجوسية بلاد العرب قال ابن قتيبة « وكانت المجوسية في تميم
 منهم زرارة بن عدس التميمي وابنه حاجب بن زرارة وكان تزوج ابنته ثم ندم
 (١) ومنهم الاقرع بن حابس (٢) كان مجوسيا وأبو سود جد وكيع بن
 حسان كان مجوسيا » .

(١) ندم لان زواج البنت كان من الفواحش عند قريش في الجاهلية

(٢) أدرك الاسلام فأسلم وله صحبة

وفي تاريخ ابن الاثير قال بعض العلماء ان المجوسية كان يدين بها بعض العرب بالبحرين فكان زرارة بن عدس وابناه حاجب ولقيط والاقرع بن خابش وغيرهم مجوسا وان لقيط تزوج ابنته دختنوس وسماها بهذا الاسم الفارسي وقتل وهي زوج له فقال في ذلك

ياليت شعري عنك دختنوس اذا أتاها الخبر المرموس

أتخلق القرون أو تميس لا بل تميس انها عروس

وقال أبو زيد احمد بن سهل البلخي في كتابه البدء والتاريخ (كانت المزدكية والمجوسية في تميم) ومن آثار هذه الديانة فيهم نار الاستسقاء ونار الحلف وحلفهم بالرماد والدار

وأما الزندقة فكانت عند العرب أيضا : قال ابن قتيبة في كتاب المعارف عند الكلام على أديان العرب في الجاهلية وكانت الزندقة في قريش أخذوها عن الحيرة . وقال البلخي في كتاب البدء والتاريخ كانت الزندقة والتعطيل في قريش وقال ابن الاثير في تاريخه وفي أيام قباذ بن فيروز بن يزدجرد ملك الفرس خرج مزدك فدعا الناس الى الزندقة فأجابه قباذ الى ذلك ودعا قباذ المنذر بن ماء السماء عامله على الحيرة ونواحيها فامتنع فدعا الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ملك نجد الى ذلك فأجابه فاستعمله على الحيرة وطارد المنذر من مملكته وفي القاموس (الزنديق بالكسر من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان أو هو معرب زن دين أي دين المرأة) وفي اللسان الزنديق القائل ببقاء الدهر فارسي معرب وهو بالفارسية زندكراي يقول بدوام الدهر والزندقة الضيق وقيل الزنديق منه لانه ضيق على نفسه ورد ابن الكمال . اذهب اليه القاموس من انه معرب زن دين وقال ان زند اسم كتاب أظهره مزدك رئيس الفرقة المزدكية من الفرق الثنوية ونقل بعضهم عن ابن خلدون انه قال ان زرادشت بن بيورشت الحكيم جاء بكتاب ادعاء وحيا وان كيستاسف وضع هذا الكتاب في هيكل باصطخر وוכל به الهرامزة ومنع العامة من تعليمه ويسمى هذا الكتاب تستاه ثم

فسره زرادشت ومعى تفسيره زند ثم فسر التفسير ثانيا وسماه زنديه فكانت هذه اللفظة أصلا لكلمة زنديق لان العرب عربتها هكذا واختصت في عرف الشرع بمن يظهر الاسلام ويظن الكفر والظاهر ان ابن قتيبة يريد بالزندقة احدى الفرق المجوسية من الثنوية أو المرذكية أو الزرادشتية بدليل قوله اخذوها عن الحيرة فان الحيرة وان كانت من بلاد الفرس سكانها وملوكها العرب دينهم دين الفرس أو دين المسيح ولو كانت مراده من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية لم يكن لاخذها من الحيرة وجه فان كثيرا من قبائل العرب كانوا كذلك .

﴿الموحدون من العرب﴾

كانت العرب قبل البعثة عدا من كان على دين سماوى أو غير سماوى مشركين يعبدون الاصنام الايمان أنار الله بصائرهم وهم أفراد قليلون وحدوا الله وعبدوه بما ارتضته عقولهم او بما أخذوه عن الشرائع السابقة ولا نخلي كتابنا من ذكر بعضهم فمنهم (تبع الاول) و(خالد بن سنان العبسى) و(حنظلة بن صفوان) وذكرت خبرهم في المختلف في نبوتهم من العرب ومنهم (زيد بن عمرو بن ثعلبة بن عبدالمزى) وقد خلاص هو وورقة بن نوفل ابن أسد وعبيد الله بن جحش بن ذئاب وعثمان بن الحويرث بن أسد يتناجون فيما حكاه ابن اسحاق وقد اجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويمكفون عنده ويدرون به وكان ذلك عيدا لهم في كل سنة فقال بعضهم لبعض تصادقوا ولا يكتم بعضكم على بعض قالوا أجل قال تعلقوا بالله ما قومكم على شيء لقد اخطأوا دين أبيهم ابراهيم ما حجر لطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع يا قوم التمسوا لا تفسم فانكم والله ما أنتم على شيء فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم فاما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب واما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة فلما قدمها تنصر وفارق

الاسلام حتى هلك هناك نصرانيا واماعثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الاوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الاوثان ونهى عن قتل المؤودة وقال اعبد رب ابراهيم ونادى قومه بعيب ما هم عليه . وروى البخارى فى صحيحه بسنده قال حدثنا موسى حدثنا سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح (١) قبل ان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي فقدمت الى النبي صلى الله عليه وسلم سفره (٢) فأبى « أى زيد » أن يأكل منها ثم قال زيد انى لست آكل مما تذبحون على انصابكم ولا آكل الا ما ذكر اسم الله عليه (٣) وان زيد بن عمرو كان

(١) بلدح مكان فى طريق التنعيم ويقال هو واد (٢) تلك رواية البخارى فى المواقب وروايته فى باب ما ذبح على النصب والاصنام فقدم اليه رسول الله سفره فيها لحم فأبى أن يأكل منها . وجمع ابن المنير بينهما بأن القوم الذين كانوا هناك قدموا السفره للنبي فقدمها لزيد فقال زيد مخاطبا لاولئك القوم ما قال (٣) قال السهيلي فان قيل فالنبي عليه الصلاة والسلام كان أولى من زيد بهذه الفضيلة فالجواب انه ليس فى الحديث انه عليه السلام أكل منها وعلى تقدير ان يكون أكل فزيد انما كان يفعل ذلك برأى يراه لا بشرع متقدم وانما تقدم شرع ابراهيم بتحريم الميتة لا بتحريم ما ذبح لغير الله وانما نزل تحريم ذلك فى الاسلام واذا كانت الاشياء قبل ورود الشرع حكمها الاباحة كما يقوله بعض الاصوليين فان كان أكل فقد فعل أمرا مباحا وان كان لم يأكل فلا اشكال وان قلنا على ما هو الاصح ان الاشياء قبل ورود الشرع لا توصف بالاباحة ولا بالتحريم فان الذبائح لها أصل فى تحليل الشرع المتقدم ولم يقدح فى هذا التحليل ما ابتدعوه من الذبح على النصب حتى جاء الاسلام وأنزل الله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه)

يعيب على قريش ذبائهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وانبت لها من الارض الكلا ثم تذببحونها على غير اسم الله انكارا لذلك واعظاما له . قال موسى حدثني سالم بن عبد الله ولا اعلمه الا تحدث به عن ابن عمر ان زيد ابن عمرو بن نفيل خرج الى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقى عالما من اليهود فسأله عن دينهم فقال اني لعلى ان ادين دينكم فاخبرني فقال لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله قال زيد لا أفر الا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيئا أبداً واني استطيعه فهل تدلني على غيره قال ما اعلمه الا أن يكون حنيفاً قال زيد وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد الا الله فخرج زيد فلقى عالما من النصارى فذكر مثله فقال ان تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله قال ما أفر الا من لعنة الله ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئا أبداً وانا أستطيع فهل تدلني على غيره قال ما اعلمه الا أن يكون حنيفا قال وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانيا ولا يعبد الا الله فلما رأى زيد قولهم في ابراهيم عليه السلام خرج فلما برز رفع يديه فقال اللهم اني أشهد اني على دين ابراهيم وقال الليث كتب الى هشام عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما قالت رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسندا ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش والله ما منكم على دين ابراهيم غيرى وكان يحى المؤودة يقول للرجل اذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أنا أكفيكها مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت قال لا ييها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول اللهم لو اني أعلم أى الوجوه أحب اليك عبدتك به ولكنى لا أعلمه ثم يسجد على راحته قال ابن اسحاق وحدثت أن ابنه سعيد وابن عمه عمر بن الخطاب قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لزيد بن عمرو قال نعم فانه يبعث يوم القيامة أمة وحده ولم يكن زيدا كل الميتة ولا الدم وهو القائل وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الارض تحمل صخرها ثقالا

دحاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المازن تحمل عذبا [زلالا
إذا هي سيقت الى بلدة أطاعت فصبت عليها سجالا

ولما خرج زيد بن عمرو بن نفيل من مكة يطلب دين ابراهيم سار
يسأل الرهبان والاحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل فجاء الشام
كلها حتى اذا كان بأرض البلقاء أخبره كاهن انتهى اليه علم أهل النصرانية
بأنه قد اظل زمان بنى يبعث من بلاد العرب بدين ابراهيم فرجع سرعيا يريد
مكة حتى اذا توسط بلاد لحم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة بن نوفل يرثيه

رشدت وأنعمت ابن عمرو وانما (١) تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثله وتركك أو ثان الطواغى كماهيا
وادراكك الدين الذي قد طلبته ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت في دار كريم مقامها تعمل فيها بالكرامة لاهيا

ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل في الالهيات قوله

عبادك يخطئون وأنت رب بكفيك المنايا والحتوم (٢)

(ومنهم قس بن ساعدة الايادي) كان من أقدم من آمن بالبعث من العرب
وعمر طويلا وسمعه النبي عليه السلام قبل البعثة بمكاف يقول في خطبته
ايها الناس اسمعوا وعوا فان وعيتم فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات
فات وكل ما هو آت آت ان في السماء لطبرا وان في الارض لعبرا مهادموضوع
وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار ان تغور ليل داج وسما ذات أبراج
أقسم قس قسما حتما ان لله ديننا هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه مالى
أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا ومنهم
(سحنة بن خلف الجرهمي) وقد منا قوله في لوم عمرو بن لحي على وضع الاوثان
حول الكعبة وحمله العرب على عبادتها ومنهم « المتلمس بن أمية

(١) رشدت وأنعمت أى رشدت وبالفيت في الرشد كما يقال أمعنت

في النظر وأنعمته (٢) الحتوم الاقضية

السكناني) وكان يخطب بفناء الكعبة ويقول أطيعوني ترشدوا قالوا وما ذاك قال انكم تفردتم بالهة شتى واني لا اعلم ما الله راض به وان الله رب هذه الالهة وانه ليحب أن يعبد وحده فتفرقت عنه العرب وزعموا أنه على دين بنى تميم ومنهم أجداده عليه السلام كعب بن لؤى وقصى وعبد مناف وهاشم وعبد المطلب فاما (كعب) فقد كانت العرب تجتمع اليه في كل يوم جمعة فيحشهم على صلة الارحام وحفظ العهد ومراعاة حق القرابة والتصدق على الفقراء والاحسان للايتام ويذكروهم بالموت وأهواله وينبئهم ببعثة رسول من عند الله وأما : قصي « فكان يأمر قومه بتعظيم الحرم وينهاهم عن عبادة الاوثان ويخبر قومه ببعثة نبي ينهى عن عبادة الاصنام (وأما عبد مناف) فكان يبغض الاصنام ويأمر قريشا بتقوى الله وصلة الرحم وأما (هاشم) فكان يؤدى الحقوق ويحمل ابن السبيل وبجانب عبادة الاوثان ويؤمن بالله واما (عبد المطلب بن هاشم) فقد منا ايمانه بالبعث وتوحيده الله ورجوعه اليه في قصة الفيل ومن الموحدين (وكعب بن سلمة بن زهير بن أياد) وكانت له ولاية أمر البيت بعد جرحه وبني صرحا بأسفل مكة وجعل فيه أمة يقال لها حزورة وبها سميت حزورة مكة وجعل في الصرح سلما فكان يرقاه ليخلو بنفسه ويتفكر في ملكوت السموات والارض والعرب يعدونه من الصديقين ومن أقواله مرضعة أوظامة ووادعة أوقاصمة والقطيعة والفجيعة وصلة الرحم وحسن الكلام . ومن كلامه زعم ربكم ليجزين بالخير ثوابا وبالشر عقابا ان من في الارض عبيد لمن في السماء هلك جرحهم وربلت أياد وكذلك الصلاح والفساد فلما حضرته الوفاة جمع أيادا فقال لهم أسمعوا وصيتي الكلام كلمتان والامر بعد البيان من رشد فاتبعوه ومن غوى فافضوه وكل شاة برجلها معلقة . ولما مات نعى على الجبال وفيه يقول بشير بن الحجير الايادى

ونحن أياد عبيد الاله ورهط مناجيه في سلم

ونحن ولادة حجاب العتيق زمان النخاع على جرحهم (١)

(١) هلك من جرحهم بداء النخاع ثمانون كهلا في ليلة واحدة سوى الشبان

ومنهم (قيس بن نشبة) قال فيه ابن سيدة في المخصص كان منجما متفلسفا واعدا
ببعثة الرسول فلما بعث عليه الصلاة والسلام أتاه فقال يا محمد ما كحلة فقال
السماء فقال وما كحلة فقال الارض فأمن به وقال لا يعرف هذا الا نبي
وقال حين آمن

تابعت دين محمد ورضيته كل الرضا لامانتى ولدينى
مازلت آملة وأرقب وقته والله قدر أنه يهدينى .
ومنهم (عبد الطابخة بن ثعلب بن وبرة بن قضاة) وروى له الشهرستاني في الملل قوله
أدعوك يا ربى بما أنت أهله دعاء غريق قد تشبث بالمصم
لأنك أهل الحمد والخير كله وذو الطول لم تعجل بسخط ولم تلم
وأنت القديم الاول الماجد الذى تبدأت خلق الناس فى أكتم العدم
وأنت الذى أحالته غيب ظلمة الى ظلمة من صلب آدم فى ظلم
ومنهم (علان بن شهاب التميمي) القائل فى الايمان بالله ويوم الدين
وعلمت أن الله جاز عبده يوم الحساب باحسن الاعمال
ومنهم زهير بن أبى سلمى وقد اعترف بوجود الله واثبت له الحياة والعلم
والقدرة وأقر بالبعث والنشور والثواب والعقاب وكتابة الاعمال مما جاءت
به الحنيفية فى قوله

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم
ومنهم (عبد الله بن تغلب بن وبرة بن قضاة) وكان ينهج فى ديانتة منهج الحنيفية
ومنهم عبيد بن الابرص الاسدي القائل

ولتأتين قبلى قرون جمة ترى مخارم أيكمة ولدودا
فالشمس طالعة وليل كاسف والنجم يحرى انحسا وسعودا
وليفنين هذا وذاك كلاهما الا الآله ووجهه المعبودا
ومنهم (عامر بن الظرب المدواني) وقد منا قوله فى البعث ومنهم (سيف بن ذى يزن)
وقد بشر عبد المطلب بن هاشم ببعثته عليه الصلاة والسلام . ومنهم (أبو قيس

صرمة بن أبي أنس) قال ابن قتيبة وهو من بني النجار وكان ترهب ولبس المسوح وقارق الاوثان وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ثم دخل بيتاً له فاتخذ مسجداً لا يدخله طامث ولا جنب وقال أعبد رب ابراهيم فلما بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام أسلم وحسن اسلامه وقال في الجاهلية

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسك وكل هلال

يا بني الارحام لا تقطموها وصلوها قصيرة من طوال

ومنهم (أمية بن أبي الصلت الثقفى) فقد حدث الزبير بن بكار عن صه ان أمية نظر في الجاهلية الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبداً وذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية وحرم الخمر وتجنب الاوثان وصام والتمس الدين طمعا في النبوة لانه علم ببعثة نبي من العرب وكان يرجو أن يكونه فلما بعث عليه السلام حسده وقال فيه النبي عليه السلام ، آمن شعره وكفر قلبه ، ومنهم (الناطقة الجعدى حسان بن تيسر بن عبد الله) شاعر قديم مفلق طويل البقاء في الجاهلية والاسلام ، وأذكر في الجاهلية الخمر وهجر الاوثان والازلام وقال في الجاهلية قصيدته التي أولها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظاما

وكان يذكّر دين ابراهيم والحنيفية ويصوم ويستغفر ويتوقع أشياء لمواقبها ولما جاء الاسلام وفد على النبي وأسلم فحسن اسلامه

﴿ اليهودية ﴾

اليهودية هي الشريعة المنزلة على موسى الكليم عليه السلام نسبة الى يهوذا أحد اسباط اسرائيل الذي تناسل منه أكثر الملوك ونشأت هذه الديانة في مصر ولما لم يؤمن بها فرعون وقومه خرج موسى وبنو اسرائيل من مصر سنة ١٤٩١ قبل الميلاد وضرب بعصاه البحر فانشق فجاوزه موسى وأغرق فرعون وجيشه فوصلوا جبل طور سيناء بعد خمسة وأربعين يوماً من خروجهم من مصر ثم انتقلت اليهودية الى الاراضي المقدسة ومنها الى بلاد العرب وكان دخولها

اليها زمن موسى على ما رواه ابن زبالة بسنده عن عروة بن الزبير قال : كانت العماليق قد انتشروا في البلاد فسكنوا مكة والحجاز كله وعتوا عتوا كبيرا فلما أظهر الله موسى عليه السلام على فرعون وطيء الشام أو بعث اليها بعثا فأعلمك من بها من الكنعانيين ثم بعث بعثا آخر الى الحجاز للعماليق وأمرهم الا يستبقوا أحدا منهم بل بلغ الحلم فقدموا عليهم فأظهرهم الله فقتلوا حتى انتهوا الى ملكهم الارقم بن أبي الارقم فقتلوه وأصابوا ابنه وكان شابا من أحسن الناس فضنوا به عن القتل وقالوا نستحييه حتى نقدم به على نبي الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه فأقبلوا وهو معهم فقبض الله موسى قبل قدوم الجيش فلما سمع بهم الناس تلقوهم فسألوهم فأخبروهم بالفتح وقالوا لم نستبق منهم الا هذا القتي فاننا لم نر شابا أحسن منه فتركناه حتى نقدم به على نبي الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه فقالت لهم بنو اسرائيل ان هذه لمعصية منكم لما خالفتم أمر نبيكم لا والله لا تدخلون علينا بلادنا أبدا فقال الجيش ما بلد اذ منعمت بلادكم بخير من البلد الذي خرجتم منه وكان هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق . وفي الروض الانف عن أبي الفرج الاصبهاني ان السبب في كون اليهود بالمدينة وهي وسط أرض العرب مع أن اليهود أسلمهم من أرض كنعان ان بنى اسرائيل كانت تغير عليهم العماليق من أرض الحجاز وكانت مبارهم يثرب والجحفة الى مكة فشكت بنو اسرائيل ذلك الى موسى فوجه اليهم جيشا وذكروا ما تقدم ثم قال ولا أحسب هذا صحيحا لبعد عمر موسى عليه السلام وذكر الطبري ان نزول بنى اسرائيل بالحجاز كان حين وطئ بختنصر بلادهم بالشأم وخرب بيت المقدس وذكر صاحب كتاب وفا الوفا اليهود الذين نزلوا المدينة فمنهم قريظة والنضير والتحام وهذل . وفي خطط المقرئ ان العرب تعلموا كبس اليهود الذين نزلوا يثرب من عهد شعويل نبي بنى اسرائيل وهو صمويل المتوفى سنة ١٠٥٧ قبل الميلاد وفي كتاب وفا الوفا باخبار دار المصطفى « وحكى ياقوت عن بعض علماء الحجاز من يهود ان سبب نزولهم الحجاز ان ملك الروم حين ظهر على بنى اسرائيل وملك الشام خطب

الى بنى هرون وفي دينهم ألا يزوجوا النصارى تخافوه وأنعموا له وسألوه ان يشرفهم باتيانهم اليهم فأتاهم ففتكوا به وبمن معه ثم هربوا حتى لحقوا بالحجاز فأقاموا بها وزعم بنو قريظة ان الروم لما غلبوا على الشام خرج قريظة والنضير وهذل هاربين من الشام يريدون من كان بالحجاز من بنى اسرائيل فوجه ملك الروم في طلبهم فاعجزوا رسله «

أما الذى ادخل اليهودية بلاد اليمن فهو تبع الاصغر أبو كرب تبارك اسمعده وقد منا خبر ذلك عند الكلام على المختلف في نبوتهم من العرب وقيل سبب تهود العرب غير ذلك . ولما خربت اورشليم على عهد طيطوس في القرن الاول للميلاد نزح كثيرون من اليهود الى بلاد العرب وتوطنوها ونشروا تعاليم دينهم بين العرب واشهر من دان باليهودية من قبائل العرب بنو نعيم وبنو كنانة وبنو الحارث بن كعب وبنو كندة ولعلها سرت اليهم من مجاورة اليهود لهم في ثياب ويثرب وخيبر

ولم تتغلب اليهودية على الوثنية في بلاد العرب لان كثيراً من احكامها مبنى على المشقة وتلك لا يسلس لها قياد العربي ولانها وان اباحت قتال الوثنيين والقتال دين العربي الا انها لا تبسح الانتفاع بغنائمهم بل تحرقها والعربي انما يقاتل لينتقم من عدوه في نفسه ويفتفع بماله واهله ومن طرق معاشهم الغزو والسلب والنهب وكانت بعض نساء العرب تنذر تهود ابنها في الروض الانف (ان جملة من كان من اليهود بالمدينة وخيبر انما هم قريظة والنضير وبنو قينقاع غير أن في الاوس والخزرج من قد تهود . وكانت من نسايتهم من تنذر اذا ولدت ان عاش ولدها أن تهوده لان اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب) وقد ذكر لييد بن ربيعة صلاة اليهود من قصيدة له يصف رجلاً غلب عليه النعاس يلمس الاحلاس في مثله بيديه كاليهودى المصل (١)

(١) فاعل يلمس : ضمير المجود في البيت قبله وهو (ومجود من صبايات الكرى) والمجرد الذى جاده النعاس وألح عليه حتى أخذ فنام و (الاحلاس) جمع حلس بالكسر وهو كساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت رحله أى

قال البغدادى فى خزانة الادب « وقوله كاليهودى المصل . قال الطوسى فى شرحه كانه يهودى يصلى فى جانب يسجد على جبينه هذا كلامه واليهودى يسجد على شق وجهه وأصل ذلك انهم لما تتق الجبل فوقهم قيل لهم اما أن تسجدوا واما أن يلقى عليكم فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم الجبل فصار عندهم سنة الى اليوم »

✽ النصرانية ✽

هى دين المسيح بن مريم عليه السلام نسبة للناصر اول قرية بث فيها عيسى دعوته فقال العرب ناصرى ونصرانى . وكان يقال للمسيح الناصرى ودخلت النصرانية بلاد العرب زمن الحواريين فقد نقل ان القديس توما أول من دعا اليها فى بلاد اليمن اثناء مسيره الى الهند وان بولس دعا اليها فى الشام فاعتنقها كثير من عرب الشام وفى بعض التواريخ المسيحية ان اوريجانوس فى القرن الثالث لليلاد زار أحد حكام العرب فهدى قبيلة للنصرانية وفى القرن الرابع سار موسى الراهب المصرى الى العرب ودعا لهم للنصرانية فتنصرت زوجة حاكمهم المسماة موفية . وفى تاريخ القرون الوسطى ان عرب غسان تنصروا فى أيام القيصر والنتين وكان تنصرهم على يد عباد الصحراء بالشام ، (يعنى النساك) وقال ابن خلدون كان أهل نجران (هم بنو الحارث بن كعب من مذحج) من بين العرب يدينون بالنصرانية وكان لهم فضل فى الدين واستقامة أخذوا هذا الدين عن رجل سقط لهم من ملك التبعية يقال له سيمون من بقية اصحاب الحواريين وكانت العرب تسمى عيسى عليه السلام ابيل الايلين والاييل « الراهب أو الناسك والزاهد فى الدنيا » وشاهده قول عمرو بن عبد الجن .

أما والدماء المائرات تخالها على قمة العزى وبالنسر عند ما (١)

يطلب الاحلاس بيديه وهو لا يعقل من غلبة النعاس (٢) نسر صم و« المائرات » المترددات من مار الدم على وجه الارض يمور اذا تردد و(قمة العزى) اعلاها و(المندم) البقم ودم الاخوين

وما سبغ الرهبان في كل ليلة أيل الابلين المسيح بن مريما (١)
 لقد هزمني عامر يوم لدع حساما اذا ماهز بالكف صمما (٢)
 وكان ولدان النصارى يتبركون بالراهب الذي يجي من بيت المقدس ويمسحه
 الذي هو لابس وأخذ خيوط منه حتى يتمزق ثوبه وشاعده قول امرئ القيس
 الكندي يصف أدراك كلاب الصيد لفرسه

فأدر كنه يأخذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس (٣)
 وكانت النصرانية تقيم اعيادها في بلاد العرب فنما يوم السباسب ويسمونه
 يوم السعائين . ويقال شعائين وعيد الفصح وهو ما يتقدم عليه صوم الاربعين
 أنشد سيبويه لبعض العرب

صدت كما صد عما لا يحل له ساقى نصارى قبيل الفصح صوام
 وكانوا في الفصح يوقدون المشاعل قال اوس بن حجر يصف رمحاً ويشبه سنانه
 بمصباح يوقده رئيس النصارى يوم الفصح

عليه كمعباح العزيز يشبه بفصح ويحشوه الذبال المفتلا
 وقال عدى بن زيد يشير الى تعمير قنديل الفصح
 بكروا على بسحرة فصبحتهم بأناء ذى كرم كقعب الحالب
 بزجاجة ملئ اليدين كأنها قنديل فصح في كنيسة راهب
 ومن اعيادهم الدنح ذكره ابن سيده في المخصص عن ابن دريد . وكانت
 الراهبات تلبس في الاعياد الملاء والانسجة الطويلة الاذيال . قال امرؤ القيس
 يصف سرباً من بقر الوحش

فأنت سرباً من بعيد كأنه رواء عيد في ملاء مهذب
 ولم تستطع النصرانية أن تتغلب على الوثنية في بلاد العرب لان
 تعاليمها تبين اخلاقهم الفريزية فن من العرب يرضى اذا ضربته على خده

(١) سبغ أى نزه وسمى الراهب أبيلاً لتأبله وبعده عن النساء
 (٢) يريد أن عامراً وجدده حساماً ذلك اليوم و« صمم » مضى يقال
 صمم الرجل في الامر اذا جد فيه . (٣) شبرق جلده أى قطعه .

الايمان ان يدبر لك خذ الایسر لتصفعه عليه مرة أخرى بل قلد النصارى العرب
 فى كثير من أمورهم الدينية فكانوا يحجون ويعتصرون ألا أنهم كانوا يقفون
 فى الحج فى بطن محسر . وأنشد عليه السلام لما أفاض من عرفة الى مزدلفة
 وكان فى بطن محسر الذى كان موقف النصارى قول شاعر جاهلى
 اليك تعدو قلقاً وضينها معترضاً فى بطنها جنينها

مخالفا دين النصارى دينها

يشير الى الناقة التى كان راكبها فى مسيره الى الحرم . وكانوا يعظمون
 الكعبة ووضعوا فيها صورة السيدة مريم وسيدنا عيسى مع ما وضع فيها
 من صور الملائكة والانبياء كوسى وابراهيم . وكانوا لا يذكرون اسم الله
 على الذبيحة يقدّمون فى ذلك مشركى العرب . وخالفوا تعاليم المسيحية فى
 شتم الفارات وطلبهم الثارات لان العربى جعل رزقه فى ظل رحمته ولذلك
 لما قدم عدى بن حاتم الطائى على رسول الله عليه السلام قال له . أو لم تكن
 تسير فى قومك بالمربع . فقال عدى . بلى . فقال عليه السلام فان ذلك لم يكن
 يحل لك فى دينك . فقال أجل . ذلك لان الدين الذى يحرم القتال لا يحل
 غنائم الحرب . وقد بين عقيدة العرب هذه جابر بن حنى النخلى النصرانى
 فى قوله

وقد زعمت بهراء أن رماحنا رماح نصارى لا تخوض الى دم
 وأشهر من تدين بالنصرانية من العرب ريعة وبعض قضاة وكأنتهم
 تلقوها عن الروم فقد كانوا يكثرّون التردد الى بلادهم للتجارة والفساسنة
 بالشام لمجاورتهم نصارى الروم ودان بالنصرانية كثير من بنى تغلب وتنوخ
 وحير وطبيء وشاعت النصرانية فى قبائل شتى بالحيرة يقال لهم العباد « بكسر
 العين وتخفيف الباء » منهم عدى بن زيد العبادى . وتنصر ملوك الحيرة على
 عهد امرئ القيس الاول ابن عمرو فى أوائل القرن الرابع على قول . وقيل
 ان أول من تنصر منهم النعمان بن المنذر فى آخر القرن السادس . وفى سجل
 الكنيسة الشرقية أن الحيرة كان عليها أسقف سنة ٤١٠ ميلادية وأن ملكها

حتى النصرانية سنة «٤٢٠» ميلادية . وقيل أن ملوك الحيرة كانوا في أواسط القرن السادس وثنيين وأن المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء كان يقدم ذبائح من بني آدم الى العزى وكان من بين نسائه امرأة من غسان اسمها هند الكبرى ام عمرو بن هند كانت مسيحية فبثت مبادئ النصرانية في ابنها فنشأ نصرانياً . ويستظهر بعضهم أن النصرانية لم تثبت بعد عمرو المذكور . فلما مات عاد خليفته المنذر الى الوثنية ونشأ ابنه النعمان وثنياً حتى تنصر على يد الجاثليق صبر يشوع او على يد عدى بن زيد المبادى كما يقول مؤرخو العرب . وكان نصارى العرب يقولون بالطبيعة الواحدة للمسيح كاعتقاد اتباع يعقوب البرادعى اسقف اورفا سنة ٩٢٨ وهم اليمقوبيون ونسب هذا المذهب ليمقوب لانه قال به بعد ان كاد يندثر والا فقد سبقه بالقول بالطبيعة الواحدة ديوسقوروس وبرسوماس وزينياس وفلو وغيرهم من القائلين بأن طبيعتى المسيح قد اتحدتا حتى صارتا طبيعة واحدة . وكانت النصرانية شائعة في بعض أمكنة من جزيرة العرب وذكر حاتم الطائي شيوعها بين ناب ودارة في قوله

وانى لمزج للمطى على الوجا وما انا من خلانك ابنة عفزرا
ومازلت أسعى بين ناب ودارة بلحيان حتى خفت أن اتنصرا
والمعجب لصاحب شعراء النصرانية كيف عد حاتما من النصارى مع
نقله له قوله خفت أن اتنصراى خفت الدخول في دين النصارى وذلك منه كثير
فقد عد طرفه بن العبد والمتلمس نصرانيين مع نقله حلف طرفه بالنصب في قوله
فأقسمت عند النصب انى لمالك بمتلفة ليست بغبط ولا خفض
ونقله حلف المتلمس بالانصاب في قوله في هجاء عمرو بن هند
اطردتنى حذر الهجاء ولا والله والانصاب لا تثل
وعد أعشى قيس في النصارى مع نقله قوله يخاطب ناقته من قصيدة يمدح
بها سيدنا رسول الله .
وآليت لا أرثى لها من كلالة ولا من حنى حتى تزور عمدا

نبي يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمري في البلاد وأنجدا
متى ماتناخي عند باب ابن هاشم تراحي وتلقى من مكارمه يدا
﴿الاسلام﴾

كانت العرب في الجاهلية في شر حال من الاضطراب والفوضى سواء في ذلك نظام الحكومة أو سياسة البيت أو غيرها فكانت النفوس في كل حين عرضة للسفك والاموال في كل وقت معرضة للسلب والنهب لانهم كانوا شحوبا وقبائل تغلى صدورهم بالاحقاد وكل قبيلة اما مقاتلة أو لقتال غيرها على قدم الاستعداد أخذاً بثأر مقتول عمداً أو خطأ أو لطفوة لم يتناولها الصنف ولم يفرها المفور وكانوا يورثون ابناءهم الاحقاد وناهيك بحرب داحس والغبراء التي لم تضع أوزارها الا بعد اربعين سنة وسببها أهون من أن يرى فيه سهم عن كبد قوس أو يجرد فيه حسام من غمد وكان الصماليك المدلون بقوتهم يؤلفون عصابات للغارة على المراعى لسلب الانعام ورعاتها او على الاحياء اذا علموا أن المخلفين بها من الرجال لا يقدرّون على الدفاع عن أنفسهم لنهب ما بها من الاموال وأسر النساء والولدان والرجال وكان أسر النساء يجيز الاستمتاع بهن ولو كن ذوات أزواج أما الاسرى من الرجال فكانوا يكبلون بالسلاسل والاغلال ويجزأؤهم القتل او الفداء وكم قتلوا من رجال وولدان او استذلّوهم او باعواهم أرقاء وكان الغنى المدل بقوته او بمنعة عشيرته يرى الفتاة فيصبيه حسنها فيختطفها من أبيها أو أخيها أو غيرها ولو كانت في مدينة أهلة بالسكان بلا حياء ولا خجل كأنما يفعل اسراً معروفاً غير منكر ومثل هذه الحادثة كان سبباً في حاف الفضول وناهيك بقوم باغ من اعتدائهم على المرأة انهم كانوا يكرهون فتياتهم على البغاء يبتغون عرض الحياة الدنيا ولم يكن عندهم قانون للقصاص يمنع البنى ويقف في سبيل الظلم بل كان اولياء الدم يقيمون على الخسف ان كانوا ضعفاء انتهازاً لسنوح انفرصة للاخذ بثأرهم غدرآ وان كانوا أقوياء اسرفوا في القتل فربما قتلوا بظنة واحد العدد العديد والجماء الغفير قال شاعرهم .

قتلنا سبعة بأبي لبني وألحقنا الموالى بالصميم (١)
 حتى قال مهلهل بن ربيعة وهو يثأر لآخيه كليب لبجير بن الحارث بن
 عباد وهو يقتله وكان غلاماً بؤبشع نعل كليب فقال له بجيران رضيت بذلك
 بنو ضبيعة بن قيس رضيت فلما بلغ الحارث مقتله ولم يكن دخل في حربهم
 قال نعم الغلام غلام أصلح بين ابني وائل وباء بكليب فأبلغوه قول مهلهل
 اذ قتله فغضب وأدخل يده في الحرب وقال

قربا مربوط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيال (٢)
 لا بجير أغنى قتيلا ولا ره ط كليب تراجروا عن ضلال
 قربا مربوط النعامة منى ان قتل الغلام بالشع غالى
 لم أكن من جناتها علم الا وائى بحرها اليوم صالى

أما سيئاتهم للبيت فكانت أشد خرقاً وآلم جرحاً وناهيك بقوم يدفنون
 بناتهم احياء خشية الفقر أو توهم العار ولقد بلغت القسوة بأحدهم أن ولدت
 امرأته في غيبته بنتاً فخبأتها عند احد أقاربها لئلا تفتك بها يد القسوة حتى
 اذا ترعرعت واصبح مثلها قرة عين والدها وظنت انها قد أمنت قسوة ايها
 وعدوانه وان عاطفة الابوة تحول بينه وبين وأدها احضرتها من مكانها وقد
 زينتها وقدمتها لايها فسأها عنها فأخبرته خبرها فسكت منتهزاً فرصة غفلة
 أمها حتى اذا صنعت أخذ الفتاة لحفر لها حفرة ودفنها فيها حية وهى تمسح
 التراب عن لحيته وتقول ما الذى تفعله بى يا أبى ذلك صنعهم بالبنات وهن
 برد الا كباد ومسرة الفؤاد

ولم يكن صنع بعضهم بالشيوخ والمعجزة بأقل قسوة من ذلك فقد روى عنهم
 انهم كانوا اذا تبرموا بشيخ تركوه وارتملوا ليموت أو يأكله الذئب أو حملوه
 على بعير فقور يسقطه فيموت فيستريحوا منه وجاء فى امثالهم (أهون هالك

(١) أى قتلنا ساداتهم فصار الموالى سادة (٢) النعامة اسم فرس الشاعر و(لقحت)
 حملت و (الحيال) ان تضرب الناقة فلا تحمل وضربه مثلاً لما تولد عن الحرب
 وانتج منها من الامور التى لم تكن تحتسب بعد ذلك

شيخ يقادبه البعير) وقولهم (أهون هالك عجوز في سنة جذب) نعم لم يكن هذا العمل عاما فيهم

أما حالة العرب الدينية فما قدمناه في هذا الكتاب تعلم ان الدهماء منهم قد انغمسوا في عبادة الاوثان واتخذوا آلهة شتى ووصل من انحطاطهم في احكام العقل أن اتخذوا الهاً من حيس فلما جاعوا أكلوه وصاروا يتعرفون الخير والشر من أمور دنياهم بالاستقسام بالازلام لا بما فيها من نفع وضرر وكانوا على بقية من دين ابراهيم خلطوها بالوثنية خلطاً غير محاسنها وطمس معالمها فأهلوا في الحج للاصنام وأشركوها في التلبية وجعلوا صلاتهم عند البيت الحرام وهي التي شرعها الله في دين ابراهيم خالصة لله وخضوعاً له مكاء وتصدية (١) ولم تسكن اليهودية ولا النصرانية عندهم خيراً من اختهما الحنيفية . أما اليهودية فقد عبثت بها أيدي الاحبار يحرفون فيها الكلام عن مواضعه فغيروا كثيراً من الاحكام التي شرعها الله بالحيل التي استحلوها والاهواء التي ابتدعوها ومالوا للتشبيه وغلت فرقة منهم فيه فقالوا غزير ابن الله وتأولوا التوراة بالرأي والهوى واخبروا ان تأويلهم من عند الله ولقد نعى عليهم القرآن ذلك بقوله (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً) ومنهم من وقف عند الفاظ التوراة دون أن يبين معانيها ويشرح المراد منها وعم الذين وصفهم القرآن بقوله (مثل الذين حملوا النوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاداً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين) . أما النصرانية فقد انحطت في بلاد العرب الى درك الوثنية فكانوا يتركون ذكر اسم الله حمداً على (١) مكاء الرجل يمشي اذا جمع بين يديه وصنفر فيهما و (التصدية) التصفيق قال ابن عطية والذي مر بي من أثر الحرب في غير ماديوان ان المكاء والتصدية كانا من فعل العرب قديماً قبل الاسلام على جهة التقرب به وكان مخزومة بن قيس بن عبد مناف يصنفر عند البيت فيسمع من حراء وكانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفقون ويصنفرون

الذبيحة مجازاة للمشركين واتخذوا في كنائسهم الاصنام اما لانهم لم يتجردوا من الوثنية وأما لترغيب الوثنيين في المسيحية كما اتخذوا الصنم كعباً في كنيسة القليس وكانت تعاليم المسيحية لا تناسب اخلاق العربى الطامح بطبيعته الى الفخر والخيلاء والسفك لا يعرف القعود على الضيم ولا الصبر على أذى المؤذين وصنع الصافعين فنذأوا سرها اكثرهم حتى لم يبق لهم من المسيحية الا اسمها ولا من النصرانية الا وسمها . نبذوا على اختلاف اديانهم الاواسر الالهية فاكلوا الربا أضغافاً مضاعفة وعدوا شرب الخمر ولعب الميسر من مفاخرهم التي يفاخرون بها

هذا حال العرب أما غيرهم من الامم في ذلك العصر فلم يكونوا أحسن حالا منهم فكان من رحمة الله بالعالم ان يرسل اليه رسولا يخرج الناس من الظلمات الى النور فبعث محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه الصلاة والسلام بدين الاسلام . جاء الاسلام ينشر لواء السلام ويضع الدعائم الثابتة لنظام الاجتماع ويزيل الأثرة من النفوس ويقهم كل فرد انه جزء من جماعة لا يصلح الا بصلاحها ولا تصالح الا بصلاحه (المسلم للمسلم كالبنيان يهد بفضله بمضا) سوى بين الناس في القصاص ووضع من الحدود ما يكفل سعادة كل انسان ويصونه من غائلة غيره وبين ما يجب على كل فرد اداؤه والقيام به من الواجبات التي فيها صلاحه وحياة المجتمع وبث في النفوس روح العطف والرفق والتسامح حتى في أحوال الخلاف في الدين والعقيدة قال تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) صان الاسلام حقوق المرأة ونهض بها الى أوج لم تصل اليه في أمة من الامم ولا في شريعة من الشرائع فاعاد لها حقها المسلوب وجعل لها وحدها حق التصرف في مالها ونفسها وسوى بينها وبين الرجل في التكليف وغيرها ولم يميز الرجل عنها الا في الاحكام التي لا يقدر عليها اكثر افراد جنسها كالجهاد أو لامر اقتضى تمييزه عنها . والمتصدى لمعرفة ذلك يراه مفصلاً في الكتب التي تبين اسرار التشريع . نهى الاسلام عن كراهة البنات وعد وأدهن أمرا إذا فقال (واذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) وقال واذا بشر احدكم بالانثى

ظل وجهه مسودا وهو كظيم

كثيرا ما وصى النبي الكريم بالمرأة ودعا الرجال للرفق بها والاحسان اليها . احاط الاسلام الرق بسياس يحميه من عبث العابثين وسلب السالبين فلم يضرب الرق الا على الاسير الذى حارب المسلمين للايقاع بهم والاذلال بدينهم ثم طفق الشارع الحكيم يدعو الى عتق الارقاء بمختلف الوسائل حتى جملة قربة القرب وكفارة القتل والظهار واليمين والافطار في رمضان وندب اليه في غير ذلك مرضاة لله تعالى فقال عليه السلام ايما مؤمن اعتق مؤمنا في الدنيا اعتق الله تعالى بكل عضو منه عضوا منه من النار ، سوى الاسلام بين الناس في الحقوق فلم يميز جنسا من الاجناس للبشرة على آخر وضرب على أيدي الامراء والرؤساء ليرفعوا عن رهوس العامة عصا الاستبداد وينزعوا من اعناقهم غل الاستعباد وقضى على التعاليم التي ابتدعتها رؤساء الاديان من وجود الوساطة بين العبد وربّه فاجتث بذلك أصلا من أكبر أصول الوثنية . فلقد كان يتوسل لذلك الوسيط بأنواع التعظيم وبمت له بضروب التكريم مما لا يليق الا بالخالق الحكيم أمر كل واحد بالاجتهاد والعمل بما يصل اليه اجتهاده فيما لم ينزل فيه حكم بين ولا نص صريح فلم يجعل الدين بذلك بعيد التناول علي احد ومقصورا على طائفة قطاع فيما تدعيه ديننا من غير تبصر ولا تفكير * نبه العقل من نومه واحترمه وامر بالنظر والتفكر ففرق بذلك حجب الاوهام التي اسد لها رؤساء الدين علي اهل اذ زعموا ان الدين عدو العقل وما يشمره العقل الا ما كانت تفسير الكتاب منزل * جعل الاخلاق مصدرا حياة الامم والشر في بقائها قال تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) نهى عن الكسل والخمول والمسكنة التي زعمها رؤساء الدين من الدين فأمر بالعمل كل قادر عليه وأباح لكل انسان ان يتمتع بما شاء من الطيبات (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) حث على التعليم ورغب فيه ودعا لارشاد العامة

الى الصراط المستقيم والطريق القويم قال الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) . أمر الاغنياء ان يحملوا من اموالهم حقا معلوما للفقراء تطيبا لنفوسهم وسدا لموزم وعطفا على ابناء جنسهم ليستأصل من نفوس الفقراء الحسد والضعينة على الاغنياء . لم يترك الاسلام بفضيلة من الفضائل الا أمر بها ولا سنة من سنن الترقى والاصلاح الا قررها ولا وزيلة يمود وبالماء على المجتمع الا نهى عنها وقيحها . اعاد الاسلام للحنيفية شبابها وجدده عهدها وجردها من الوثنية التي أبلت محاسنها وغيّرت معالمها فالاسلام دين ابراهيم حكي ذلك القرآن في غير ما آية فقال (ان ابراهيم كان قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباها وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة ولانه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) والآيات في ذلك كثيرة ولذلك قال ابن حزم (وكان الذي يفتحله الصابئون اقدم الاديان على وجه الارض الى ان أحدثوا فيه الحوادث وبدلوا شرائعه فبعث الله عز وجل اليهم ابراهيم خليته بدين الاسلام الذي نحن عليه الآن ونصحيح ما أفسدوه بالحنيفية السمحة التي أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى) ومعنى مجيئ الاسلام بالحنيفية دين ابراهيم دون اليهودية أو النصرانية مع ان أصول الشرائع من حيث الآلهيات وتحريم المتحقق ضرره وتقرير أمهات مكارم الاخلاق واحدة أن الاسلام قرر الاحكام والمبادئ التي شرعت في دين ابراهيم بعد أن جردها من الوثنية التي الصفت بها وهذا مرما تراه من موافقة الاسلام للاحكام التي كان العرب عليها وذكرناها مفصلة في هذا الكتاب . لم يقف الاسلام عندما شرع في دين ابراهيم بل زاد كثيرا من الاحكام التي

اقتمضاها الزمان فانقذ الاحوال الاجتماعية من براثن الفوضى التي فتكت بها
 أيام الجاهلية وأصبح الاسلام بنظامه الدقيق المحكم صالحا لكل زمان ولكل
 أمة لا يزيده رقي العقول في المدنية إلا ثباتا ولا تنمو العلوم الاجتماعية
 والكونية الا لتضم برهانا بمد برهان على سداده ولطيف حكمته . كيف
 لا يكون كذلك وهو الدين الخالد التالد الذي أراد الله أن يتميد به الخلق
 الى قيام الساعة قال تعالى (ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول
 الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما)

وكان الفراغ من تأليفه وتهذيبه وترتيبه صباح يوم الجمعة رابع شهر
 رمضان المعظم سنة ثلثائة واحدى وأربعين بعد الالف من الهجرة
 الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

﴿ فهرست الكتاب ﴾

٤	مقدمة	٨٩	الصلاة على الميت
٧	ابراهيم واسماعيل	٩٠	سرير الميت
١٣	المختلف في نبوتهم من العرب	٩١	تشيعم الجنازة
١٦	الحرم ومكانته عند العرب	٩٢	قولهم للجنازة
٢١	حلف الفضول	٩٢	مقابرهم
٢٦	بناء الكعبة وكسوتها	٩٥	حى القبر
٣٢	تعظيم المعجم والعرب للكعبة	٩٥	نضح القبر بالخر
٣٧	الاربعة الاشهر الحرم والبسل	٩٦	السقيا للقبر
٤٣	النسي	٩٨	المقر على القبر ونضحه بالدماء
٤٧	الحج . احكام الاحرام به . الخمس	١٠٥	المقر للضيافة نيابة عن الميت
٥٢	التلبية . الطواف بالبيت . السعى	١٠٦	اتخاذ البلية
	الوقوف بعرفة	١٠٧	قولهم للميت لا تبعد
٦١	النزول بمزدلفة ومنى وبقية اعمال	١١٠	معتقداتهم الدينية
	الحج من سوق الهدى والنحر	١١١	الانبياء والرسل
	والحلق ورعي الجمار والطواف	١١٢	البعث والحساب
٦٨	العمرة	١١٤	الايام بالقدر
٧٠	الطهارة - الصلاة - الزكاة	١١٤	خالق افعال الانسان
	الصوم - الاعتكاف	١١٥	التناسخ
٧٥	الاستسقاء بالدعاء والنار	١١٦	المسخ
٨١	النذر	١١٧	احكامهم الدينية
٨٤	ذبح الظبي في نذر الشاة	١٢١	الختان
٨٥	ما يفعلونه للموتى	١٢٢	الدين القتشى
٨٥	نعى الميت	١٢٣	عبادة الحيوان
٨٧	غسل الميت	١٢٤	عبادة الانسان
٨٧	تحنيط الميت	١٢٥	عبادة الملائكة والجن
٨٨	كفن الميت	١٢٧	عبادتهم للاشجار

* تابع الفهرست *

١٢٨	الوثنية في العرب	١٨٤	الصائبون
١٣٢	اصنام العرب وبيوت عبادتها	١٨٦	عبادتهم للكواكب واثار عبادتهم لها
١٥٥	كثرة الاصنام	١٩٠	المجوسية
١٥٨	عبادة الاصنام وما يتقرب به لها	١٩٣	الموحدون من العرب
١٦٨	الاستقسام بالازلام	١٩٩	اليهودية
١٧٢	الاقسام	٢٠٢	النصرانية
١٨٠	التحالف	٢٠٦	الاسلام
١٨٤	الدعاء		

صحيحة	سطر	الخطا	الصواب	صحيحة	سطر	الخطا	الصواب
١١	١٠	رقولى	وقولى	١٢٥	٢١	الجرة	الجمهرة
١٢	٦	فاقرىء	فاقرئى	١٢٩	٣	ملؤا	ملثوا
١٣	٢٤	الائف	الائف	١٣٠	٢١	ركان	وكان
٣٠٠	٢٢	المشقى	المشقى	١٣١	١٧	يفقؤن	يفقثون
٣٧	٦	يأمرؤا	يؤمروا	١٣١	١٨	ققؤا	فقثوا
٣٧	١٢	طى	طى	١٣٢	٤	٨١ ٢	٢٠٨١
٣٩	١١	بغناء	بغناء	١٣٦	٢٥	اسكان	واسكان
٤٧	١٧	يجمع	يجمع	١٣٩	٢٣	بصفة	بصيغة
٥٨	١	الارد	الازد	١٤١	١٤	الضيزن	الضيزن
٦١	١١	مزلفة	بمزداقة	١٤١	٢٠	عميب	عيب
٦٦	١٣	انقرضوا	انقرضوا	١٤٤	١٠	ولا يعوق	يعوق
٦٧	٢٣	ككثف	ككثف	١٤٦	٩	حوله	حول عوض
٧٠	١٦	بن	ابن	١٥٢	٢٢	سميت	سمت
٧٩	١٠	بالقطر	بالقطر	١٥٤	١٣	هابيل	هابيل
٧٩	١٠	جناهم	جناهم	١٥٥	١٦	موندنا	موتدا
٨٩	٢٢	المختار	المختار	١٥٦	١٦	بأسم	ياسم
٩١	٢٢	الزوج	الزوج	١٧٦	٤	البطليموسى	البطليموسى
٩٧	١١:٧	موتة	موتة	١٧٨	١	نستحلف	نستحلف
١٠٣	٥	لاعقر	لاعقرى	١٨٣	٤	تخاف	يتخاف
١٠٥	٢٤	وأخذ	وأخذ	١٨٣	٥	يحالفت	تحالفت
١١٣	٤	وفى	وفى	١٨٦	١٣	للعباداة	العبادة
١١٦	١٦	المسح	المسح	١٩١	١٥	ولاملاك	والاملاك
١١٩	٢٥	وحرمة	وحرمة	١٩٢	٢٢	ذن	زن
١٢٢	١٩	السود	السود	١٩٧	١٣	وكيع	وكيع
١٢٤	١٢	حببيهم	حببيهم	٢٠٤	٥١	النغلي	التغلي

مؤلفات مؤلف هذا الكتاب

- (١) المرأة العربية في الجاهلية - كتاب تتبع فيه مؤلفه حال المرأة عند العرب في الجاهلية من المهد الى الالحد لجمع عاداتها وجميع أحوالها وهو نحو ثمانمائة صفحة
- (٢) الباب في علم الانساب - كتاب جمع انساب العرب في الجاهلية بأحسن ترتيب
- (٣) كتاب يبحث عن عادات العرب في الجاهلية في الحروب وعدتهم لها
- (٤) الاحوال المدنية والاجتماعية عند العرب في الجاهلية
- (٥) رسالة في الكلام على الحديث الموضوع وبيان القواعد التي يعرف بها وضع الحديث والاسباب الداعية اليه
- (٦) كشف اللثام عن أشعار العوام - رسالة اسهب فيها الكلام على جميع الاوزان التي لم ترد عن العرب من الموشحات والزجل والدوبيت وبحر الساسة وغيرها وبيان اوزانها
- (٧) رسالة في العلوم الموضوعية لمعرفة الغيب كعلم الرمل والاحكام والزارجة وغيرها وبيان عدم صحة دلالتها
- (٨) علوم العرب في الجاهلية - كتاب جامع لما كان عندهم من علم الاخبار وفن القصص - وعلم الريافة - وعلمى العروض والقافية - والشعر والخطب والوصايا - وعلم الالغاز - وعلم الفراسة وعلم فراسة اعضاء الانسان - وعلم الشامات - وعلم الاسارب - وعلم الاختلاج - وعلم قيافة البشر والاثر - وعلم نزول الغيث - وعلم تعبیر الرؤيا - وعلم ايجاد نسل قوى جميل في اخلاقه وتناسب اعضاءه - وعلم الكهانة - والطرق بالخصى - والعرافة - وعلم الرمل وعلم النجوم وعلم الطيرة والغال - وعلم الطب والجراحة - وفن الولادة والتشريح - وعلم البيطرة - وعلم الرقى - وعلم السحر والطلاسم - وعلم الانواء - وعلم الفلك - وعلم الموسيقى - وعلم الحساب وعلم الانساب - وعلم تقويم البلدان - وعلم الاهتداء في البراري وعلم الميراث - وعلم ما وراء المادة وعلم ايام العرب - وعلم الرمي - وعلم الفلاحة وعلم الحيوان - وعلم الابل والخيول وهو نحو ثمانمائة صفحة

